منشورات "فلسطين المسلمة"

١٢

الأرض المقدسة
بين الماضي والحاضر والمستقبل

(دراسة حديثية تحليلية)

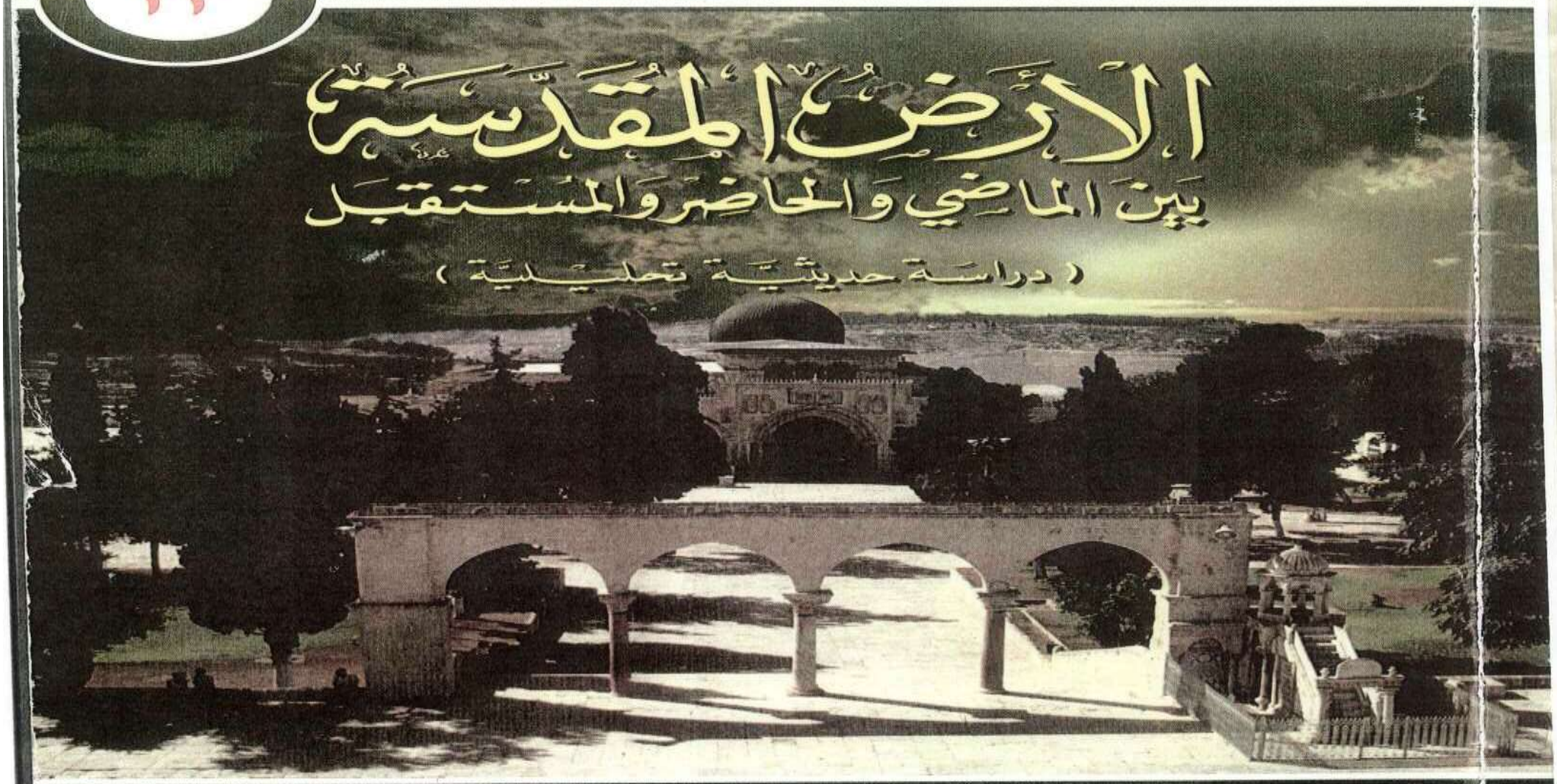

إبراهيم العلي

إبراهيم محمد العلي

الأرض المقدسة

بين الماضي والحاضر والمستقبل

(دراسة حديثية تحليلية)

منشورات " فلسطين المسلمة "

بسم الله الرحمن الرحيم

منشورات "فلسطين المسلمة"

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

لندن ١٩٩٦

المحتويات

مقدمة ١١
مقدمة تعريفية ١٥
ما هي بلاد الشام؟ ١٧
فلسطين ١٨
مكانة فلسطين الإسلامية ١٩
الأرض المقدسة بين النيل والفرات ٢٤
خلاصة هامة ٢٥
الفصل الأول: وقفة مع أحاديث فضائل الشام ٣١
وقفة مع أحاديث الفضائل ٣٣
بسط الملائكة أجنحتها على الشام ٣٤
تمام أمر الدين وظهوره سيكون في الشام ٣٥
الشام أرض المحشر والمنشر ٣٨
أرض الشام خيرة الله من أرضه ٤٠
أهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام ٤٤
دعاء النبي عليه السلام لها بالبركة ٤٥
نصح النبي بسكنى الشام ٤٧
أرض الشام أرض الحشد والرباط ٤٩
تكفل الله برعاية أهل الشام وحمايتهم ٥٣
كثرة شهداء أهل الشام وفضلهم عند الله ٥٨
شبه أشجار الشام بشجر الجنة ٦٠
شد الرحال إلى المسجد الأقصى ٦٠
مغفرة الذنوب بزيارة بيت المقدس ٦١

نزول الخلافة بيت المقدس علامة على إنهاء اليهود ١٦٨
إشارات من حديث تميم الداري ١٧٠
المرحلة الثانية: مرحلة الإبادة والإفناء ١٧٢
تبعية اليهود للدجال ١٧٣
مقارنة بين أحاديث المرحلتين ١٧٤
خامساً: نزول الخلافة الإسلامية بيت المقدس ١٧٦
سادساً: مكان استقرار المهدي في بيت المقدس ١٨٤
أوصافه عليه السلام ١٨٥
مبايعة أبدال الشام للمهدي عليه السلام ١٨٦
نزول المهدي بيت المقدس وصلاته بعيسى عليه السلام إماماً ١٨٦
سابعاً: هدنة قبل الملحمة العظمى ١٨٩
ثامناً: الملحمة العظمى (انتهاء الطغيان العالمي على يد مسلمي الأرض المقدسة) ١٩٠
أعداد التجمع الغربي الكافر ١٩٠
مكان التجمع الإيماني ١٩١
من صفات التجمع الإيماني ١٩٢
عنف المعركة وشدتها (لم ير مثلها) ١٩٣
تاسعاً: فتوحات إسلامية تنطلق من الأرض المقدسة ١٩٩
فتح روما عاصمة إيطاليا ٢٠١
فتح الهند على يد أهل الشام زمن المهدي ٢٠٥
عاشراً: خروج الدجال وهلاكه في الأرض المقدسة ٢٠٧
شدة خطره على المسلمين ٢٠٧
علامات خروج الدجال ٢٠٨
مكان خروجه ومدة بقائه في الأرض، وصفاته وأتباعه ٢١٤

قتال طائفة الحق له وحصاره لهم في بيت المقدس ٢٢٠
هوانه على الله عز وجل ٢٢١
هلاكه على أرض فلسطين على يد عيسى عليه السلام ٢٢٢
ما يحمي من فتنة الدجال ٢٢٤
الابتعاد عن طريق الدجال ٢٢٤
قراءة فواتح سورة الكهف ٢٢٤
الاستعاذة من الدجال ٢٢٥
تذكر الإيمان بالله عز وجل ٢٢٥
أحد عشر: نزول عيسى عليه السلام، وإقامته في الأرض المقدسة ٢٤٣
ملخص أعمال عيسى عليه السلام حين نزوله ٢٤٤
ثبت بأهم البركات التي تعم الناس في زمانه ٢٤٥
مكان نزوله عليه السلام في دمشق ٢٤٥
صلاته خلف المهدي عليه السلام ٢٤٦
قتله الدجال في منطقة اللد بفلسطين ٢٤٦
قتله لمن بقي من اليهود من أتباع الدجال ٢٤٦
حكم عيسى بالعدل وبعض أعماله الأخرى ٢٤٧
إخراج الأرض بركاتها في زمانه ٢٤٨
حفظ الطائفة، التي تقاتل معه من النار ٢٤٨
زيارته لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٤٨
مدة مكثه في الأرض ٢٤٩
اثنا عشر: إنهاء خطر أقوى أمة طاغية على الأرض المقدسة أو (انتهاء فتنة يأجوج ومأجوج على الأرض المقدسة) ٢٥٠
شدة خطرهم واستعاذة الرسول من شرهم ٢٥٠
كثرة عددهم ٢٥١

كون خروجهم من علامات الساعة الكبرى ٢٥١
قوتهم وبطشهم الشديد الذي لا قدرة لأحد به ٢٥٢
ثلاثة عشر: العيش الطيب بعد المسيح في الأرض المقدسة وغيره ٢٥٥
أربعة عشر: خروج الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين من الأرض المقدسة ٢٥٥
خمسة عشر: حشر الناس إلى الأرض المقدسة (أرض المحشر والمنشر) ٢٥٧
خـــاتمـــة ٢٦٢

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

في هذه الليالي الحالكة من حياة أمتنا وقد تداعت عليها الأمم من أعدائها، كما تداعت الأكلة إلى قصعتها، وتمزقت أمتنا وتشتّت إلى كيانات كثيرة، ضعيفة الشأن، غير مرهوبة الجانب، والكل فيها يتبارى في الكيد لهذه الأمة، وعدوها اليهودي الماكر يعيث فساداً في بقعة مباركة مقدسة من أرضها، محاولاً القضاء على عقيدة هذه الأمة، وإنهاء دورها الحضاري، حتى تستقر له الأحوال على هذه الأرض.

في مثل هذا الجو، يتساءل الناس، هل لهذا الليل من آخر، وهل ستسطع شمس الإسلام من جديد في حياة هذه الأمة؟ أم أن أعداءها المتآمرين عليها قد نجحت جهودهم في طمس معالم هذا الدين من حياتها؟

كان لا بد لنا للإجابة على هذه التساؤلات، أن نعود إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ نلتمس منهما قبسات مضيئة، تبث الأمل بمستقبل جديد لهذا الدين، وإزالة وإنهاء للكيد العالمي الذي يجثم بمؤامراته على صدور أبناء هذه الأمة، وإعادة البسمة المشرقة إلى وجوه طال عليها العبوس، وهي ترى ما يحل بأمتها من نكبات متتالية، وإزالة الكرب عن أرض بيت المقدس التي ترزح تحت نير الاحتلال اليهودي.

أما القبسات القرآنية فقد كفاني البحث فيها أخي العلامة الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله تعالى في كتابه النفيس والقيم «حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية»، وهو كتاب حافل استعرض فيه مؤلفه الآيات القرآنية، والقبسات

النورانية التي تعطي دلالات واضحة، وإشارات ناصعة، في إنتهاء الكرب العظيم الذي يحف بأرض فلسطين من أعدائها. على يد أبناء الإسلام، وهذا الكتاب جدير بالقراءة والوقوف معه فترات طويلة للإطلاع على هذه الإشارات، التي أحسن المؤلف عرضها والحديث حولها.

أما قبسات السنة المطهرة فقد عرضها -أو عرض بعضها- بعض من جمعوا أجزاء صغيرة في فضائل الأرض المقدسة، تحت عنوان -فضائل بلاد الشام- لكنها قبسات سريعة، وذكر للنصوص فقط في كثير من هذه الكتب، وقد اهتم الرسول ﷺ بالحديث عن الأرض المقدسة لما لها من مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، وكيف لا تتمتع بهذه المكانة، وهي من أقدس البقاع الإسلامية، وأعلاها منزلة، فهي الأرض التي أسري إليها برسول الله ﷺ وعرج به إلى السماء، وهي أرض باركها الله عز وجل في الكتاب العزيز، وعلى أرضها عاش جمع كبير من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

إن الأرض المقدسة قطعة من العالم الإسلامي، بل هي تشكل فلذة كبده، وستبقى قضية هذه الأرض حية في نفوس أبناء هذا الدين حيثما كانوا، لأنها جزء من ديار المسلمين، وهي مرتبطة عندهم بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ، وفيها ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

إن الحديث عن الأرض المقدسة -بلاد الشام وفلسطين- له متعة، حين نقرأ أن هذه الأرض بمنأى عن الفتن حين نزولها، وأنها تتخلص من الأشرار بتركهم لها، وأنها تحت رعاية الله وحفظه، وأنها موطن كمال هذا الدين وتمام أمره، وعلو شأنه في آخر الزمان.

ولما تتمتع به الأرض المقدسة من موقع جغرافي واستراتيجي فريد بين سائر البلدان، ولما تمتلئ به أرضها من خيرات كثيرة، فقد ظلت على مدار التاريخ ساحة للصراع والتنازع على ملكيتها والسيطرة على هذه الخيرات.

إن أحاديث الرسول ﷺ تعطي إشارات واضحة، ودلالات هامة على أن هذه الأرض ستكون ذات شأن عظيم، في حسم كثير من الأحداث الهامة والحاسمة في التاريخ البشري، فعلى أرضها سيحسم خطر اليهود، وعلى أرضها سيحسم خطر الدجال، وعلى أرضها سينتهي الطغيان العالمي الغربي الصليبي الذي يحشد حشوده للقضاء على دولة الخلافة التي تكون على منهاج النبوة، وعلى أرضها ستستقر الخلافة التي على منهاج النبوة، وعلى أرضها سينتهي خطر يأجوج ومأجوج، وعلى أرضها سيستقر التجمع الإيماني وطائفة أهل الحق، وعلى أرضها سيستقر مُلك المهدي عليه السلام، وعلى أرضها سينزل عيسى إبن مريم عليه السلام ليحكم بالعدل، وعلى أرضها سيفيض الخير وتعم البركات.

فكم هي عظيمة هذه الأرض، وكم هي مكانتها التي اختصها الله عز وجل بها، فهي أرض المحشر والمنشر، التي يجمع الناس فيها وهي أرض الأمان والإيمان حين تعم الفتن المتلاطمة الأمواج الأرض بأكملها، حينذاك لن يجد الناس الأمان والإيمان إلا على أرضها.

لهذا كله وجه أعداؤنا جهودهم للسيطرة عليها، فكم تعرضت لهجمة وغزوة، لكن كل هذه الإطماع تحطمت على صخرة صمود أبناء الأرض المقدسة الصلبة، ودفنوا الغزاة تحت ترابها.

ولأجل المساهمة بدور فاعل بتعريف أبناء المسلمين بهذا كله، حرصت على جمع شتات السنة الصحيحة المتفرقة في كتب الحديث، والتأليف بين هذه النصوص حتى تتكون صورة واضحة المعالم، جلية القسمات، حول هذه الأرض تاريخاً وفضائل، وحاضراً ومستقبلاً، في كتاب يجمع هذا كله أسميته (الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل- دراسة حديثية تحليلية). وجعلته في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وضحت في طياته أهمية الأرض

المقدسة، وفضائل السكنى والإقامة فيها، وتاريخها الماضي وما حصل على أرضها من الأحداث. ثم وقفت مع أحاديث النبي ﷺ الصحيحة وقفة متأنية وهي تتحدث عن معالم الصراع المستقبلي مع أعداء هذه الأمة إبتداءاً بالصراع مع اليهود، ليمتد الصراع حتى إنهاء الطغيان العالمي الصليبي، إلى فتنة الدجال، ويأجوج ومأجوج، فحاولت أن أقدم رؤية واضحة حول هذه الأحداث الجسام، بجمع النصوص المتفرقة، وتوضيح الغموض المتعلق بها، وبينت من خلال هذه الوقفة رؤية واضحة لمستقبل الأمة الإسلامية وقد عادت إلى إسلامها وعقيدتها وجاهدت أعداءها وإنتصرت عليهم.

وإنني إذ أقدم هذا الجهد المتواضع في خدمة قضية الأرض المقدسة، لأسأل الله عز وجل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يهدي به قلوب الناس الحيارى، ويثبت به قلوب المؤمنين، ويكون خطوة على طريق الخير والحق والجهاد، وأن يجعله في ميزان أعمالي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إبراهيم محمد العلي
في ٣ ذو الحجة ١٤١٥ هـ
الموافق ٣ أيار ١٩٩٥ م
عمان - الاردن

مقدمة تعريفية

إن الشام ليست كغيرها من البلدان، إذ أن لها عند كل الناس منزلة وشأناً على اختلاف أديانهم وأجناسهم.

قال المقدسي:

« إقليم الشام جليل الشأن، ديار النبيين ومركز الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدسة، والرباطات الفاضلة، والثغور الجليلة، والجبال الشريفة، ومهاجر ابراهيم، وقبر وديار أيوب وبئره، ومحراب داود وبابه، وعجائب سليمان ومدنه، وتربة إسحاق وأمه، ومولد المسيح ومهده، وقرية طالوت ونهره، ومقتل جالوت وحصنه، وجُب أرميا وحبسه، ومسجد أورِيا وبيته، وقبة محمد وبابه، وصخرة موسى، وربوة عيسى، ومحراب زكريا، ومعرك يحيى، ومشاهد الأنبياء وقرى أيوب، ومنازل يعقوب والمسجد الأقصى... وقبر موسى ومضجع ابراهيم ومقبرته، وموضع لقمان ووادي كنعان، ومدائن لوط وموضع الجنان... والباب الذي ذكره الرجلان.. والمجلس الذي حضره الخصمان... وقبر مريم وراحيل ومجمع البحرين... مع مشاهد لا تحصى، وفضائل لا تخفى، وفواكه ورخا، وأشجار وأميا، وآخرة ودنيا، به يرق القلب، وتنبسط للعبادة الأعضاء... »[1]

فإذا أحبت قلوب المؤمنين أرض الشام وفلسطين، وارتحلت إليها أفواجهم وجموعهم، وحنت إليها أفئدتهم، فإنما يرتحلون إلى أرض تهوى إليها النفوس، وتتصل بمواضع كثيرة مما يتعبدون به من قرآن، وما يدينون به من دين.

وكيف لا يحبون هذه الأرض كل الحب وهي التي باركها الله، وقدسها في كتبه، وعلى لسان نبيه ﷺ، فهي أرض البركة والخير، والطهر والعفاف،

والجهاد والرباط، وأرض الحسم لأهم وأخطر القضايا التي مرت وستمر في تاريخ البشرية جمعاء، فعلى هذه الأرض صُدت جموع التتار، واندحرت جموع الصليبية الحاقدة، وعلى هذه الأرض ستندحر جموع اليهود، وقوى المكر العالمي في آخر الزمان، وعلى هذه الأرض ستنتهي أكبر فتنة عبر التاريخ وهي فتنة المسيح الدجال، ثم فتنة يأجوج ومأجوج.

وفي هذه الأرض مستقر الإيمان في أيام الفتن المظلمة، وحصن الإسلام، والدرع الحصينة التي تدافع عنه في أحلك الظروف وأخطر المراحل والحلقات التي مرت وستمر به حتى يوم القيامة.

وفيها درة البلاد وحصن الإيمان، وموطن الخلافة الراشدة، وهي أرض فلسطين التي حطمت طموحات وأحلام الغزاة الذين أرادوها بشر، فردتهم على أعقابهم وهم يجرون أذيال الخيبة والفشل، وقد باؤوا منها بخفي حنين، وبقيت الدرة الغالية التي لا تطال، والجوهرة الثمينة التي تعجز عن نيلها همم المتخاذلين، أو تحرسها إرادات متخاذلة، وعزائم خائرة، وذلك لأن عناية الله هي التي تحرسها، ورعاية الله هي التي تحوط أبنائها، وتحولهم إلى أُسود يبيعون لله أنفسهم، فيبذلون في سبيلها الغالي والنفيس وهم يدافعون عنها، ولذلك فإن أرضاً تحوطها عناية الله، لن يستطيع أعداؤنا أن ينالوها بسوء مهما بذلوا من جهد، وأنفقوا من أموال، وجلبوا علينا من خيل ورجال، والله تعالى يقول: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون» (الأنفال آية ٣٦-٣٧).

وإن أرضاً تكفّل رب العزة عز وجل بها وبأبنائها، حماية، وعناية ورعاية، لن يضرها ولن يضر أبناءها كيد الأعداء، ومكرهم العظيم - الذي تكاد تزول

لهوله الجبال، لأن حفظ الله ليس بعده حفظ، وعناية الله التي ليس بعدها عناية فالله القائل على لسان العبد الصالح يعقوب عليه السلام «فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين» (يوسف آية ٦٤).

ما هي بلاد الشام؟

حين كان يتحدث المؤرخون والرواة القدامى عن الشام وأرضها، كانوا يقصدون بذلك الرقعة التي تشغلها الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، تلك كانت بلاد الشام على مدى تاريخ طويل، ولم يتم تقسيمها سياسياً إلى دول أربع إلا بفعل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتطبيق اتفاقية «سايكس - بيكو» على بلاد الشام، وفرض الانتداب الفرنسي على شمال الشام فقسمه إلى كيانين هما سوريا ولبنان، وفرض الانتداب البريطاني على جنوبه فقسمه إلى كيانين هم الأردن وفلسطين، وأصبح لكل كيان جواز مرور، وحدود ودستور وأعلام.

وعندما كان المؤرخون السابقون يتحدثون عن هذه الأرض، كانوا يعنون هذه الأقطار، كما قال ابن الفقيه الهمداني: «أجناد الشام أربعة: حمص ودمشق، وفلسطين والأردن»[٢]

وبالنظر إلى هذه الدول، نجد أن سوريا والأردن ولبنان قد ورد فيها أحاديث تفيد بأن كل بلد من هذه البلاد، سيكون لها دور في تقرير مستقبل العالم في آخر الزمان.

وأما فلسطين فالأمر فيها أهم وأخطر فعلى أرضها سيكون مقر القيادة الإسلامية، وعلى ثراها سيحسم أهم خطر يتهدد هذا الدين عبر الأزمان وهو خطر الدجال وما يتبعه من خروج يأجوج ومأجوج، وقبل ذلك كله هي أرض الحسم بالنسبة لأخبث شعب على هذه الأرض «اليهود» حيث ستستأصل شأفتهم، ويقضى عليهم، وتُزال شرورهم على أرضها.

ولما لهذه الأرض من أهمية، كان لزاماً علي أن أقدم تعريفاً موجزاً لهذه الأرض، ومكانتها التاريخية عبر الزمان حتى يكون القارئ على بينة من أمره، ويدرك الأهمية الكبيرة لهذه البقعة من الأرض.

فلسطين

يطلق إسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام، وإسم فلسطين إسم معرب من «بالستين»، Palestine، وبالستين هو اسم مشتق من إسم الشعب الذي كان يسكن السهول الجنوبية من فلسطين ويسمى «الفلستينيون» وقد أطلق على هذه الأرض رسمياً إسم «بالستين» لأول مرة الإمبراطور الروماني «فسباسيون» Vespasian وذلك حين وضع هذا الإسم على النقود التي صكها إثر قهره ثورة اليهود سنة ٧٠م[٣]

ولم يتحدد شكل فلسطين وحدودها الجغرافية المتعارف عليها في عصرنا هذا إلا أيام الانتداب البريطاني على فلسطين، وقد كان تحديد أرض فلسطين يضيق ويتسع باختلاف العصور المتعاقبة عليها، على أن العرب ظلوا يعتبرون فلسطين جزءاً من بلاد الشام، وفي عهد العثمانيين كانت فلسطين تتبع وحدتين إداريتين مختلفتين هما ولاية بيروت، ومتصرفية القدس، وكانت ولاية بيروت تضم -بالإضافة إلى أجزاء من لبنان- قسماً كبيراً من فلسطين، فكانت تمتد إلى منتصف الطريق بين نابلس والقدس، ضامة بذلك نابلس وجنين وطولكرم وحيفا والناصرة وطبريا وصفد، وقد ظلت جزءاً منها حتى عام ١٩١٤[٤]

وكان من عادة العرب أن يطلقوا على فلسطين إسم «سوريا الجنوبية» وذلك باعتبارها جزءاً من سوريا (بلاد الشام)، وفي أثناء عهد الحكومة العربية في دمشق (منذ أوائل أكتوبر ١٩١٨ - حتى يوليو ١٩٢٠) كانت فلسطين رغم الاحتلال البريطاني ممثلة في المؤتمر السوري العام، وأول جريدة عربية ظهرت بعد الاحتلال البريطاني حملت إسم «سوريا الجنوبية» وكان الكثير من

رجالات فلسطين في دمشق، ومنهم نواب في المؤتمر السوري الذي أعلن استقلال سوريا في ٨ مارس ١٩٢٠م، ولم يغب هذا الإسم عن فلسطين إلا بعد معركة ميسلون، والاحتلال الفرنسي لسوريا، وسقوط الحكم العربي فيها (يوليو ١٩٢٠)[٥]

وأثناء الاحتلال البريطاني تعينت الحدود بين فلسطين من جهة ولبنان وسوريا من جهة أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي-البريطاني المنعقد في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٠ وقد حدث عليها بعض التعديل عام (١٩٢٢-١٩٢٣)، أما حدود فلسطين مع شرق الأردن فقد حددها المندوب السامي لفلسطين وشرق الأردن في الأول من سبتمبر ١٩٢٢، وبهذا التحديد بلغت مساحة فلسطين حوالي (٢٧٠٠٩) كيلومترات مربعة، وامتدت بين خطي عرض ٢٩,٣٠ و ٣٣,١٥ شمالاً، وبين خطي طول ٣٤,١٥ و ٣٥,٤٠ شرقي غرينتش.[٦]

مكانة فلسطين الإسلامية

تعتبر فلسطين من أكثر البقاع الإسلامية قداسة في العالم، ففيها المسجد الأقصى مسرى النبي ﷺ وأول قبلة للمسلمين، وثالث المساجد مكانة ومنزلة في الإسلام بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وتعتبر فلسطين أرض الأنبياء -عليهم السلام- ومبعثهم، فعلى أرضها عاش ابراهيم، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وسليمان، وداود، وصالح، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام.[٧]

وفلسطين وما حولها من البلاد بلاد مباركة، باركها الله تعالى، وبلاد مقدسة ذكر الله تعالى قدسيتها في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ. وقد أشارت الآيات القرآنية إلى ديمومة بركتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هذه الآيات التي أشارت إلى بركة أرض فلسطين :

١- قال تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام : «وأرادوا به كيداً فجعلناهم

الأخسرين. ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين» (الأنبياء، الآيتان ٧٠-٧١).

ومعلوم أن ابراهيم إنما نجاه الله ولوطا من أهل العراق، ووجههما الله سبحانه وتعالى إلى فلسطين من أرض الشام ليستقرا عليها، ويقيما فيها، وقد استقر ابراهيم عليه السلام في منطقة بيت المقدس من الأرض المباركة، بينما وجه الله نبيه لوطاً عليه السلام إلى الشرق من بيت المقدس، ليكون نبياً عند القوم القاطنين شرق فلسطين، والذين عرفوا فيما بعد بقوم لوط.

هذه الأرض التي أقام فيها النبيان الكريمان -ابراهيم ولوط عليهما السلام- هي المقصودة بقوله تعالى في آية سورة الأنبياء «ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين»[٨]

٢- قال الله تعالى :«وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون، مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه، وما كانوا يعرشون» (سورة الأعراف آية: ١٣٧).

أورث الله موسى وقومه المؤمنين الذين كانوا مستضعفين في مصر، عند فرعون وملئه، الأرض التي باركها، وصاروا يتجولون بين مشارق هذه الأرض ومغاربها.

وجعل الله لاولئك القوم المؤمنين هذه الأرض المباركة، جائزة لهم على إيمانهم، وثمرة مباركة لجهادهم وصبرهم، وثباتهم على الحق «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، التي باركنا فيها».

يقول شيخ الإسلام إبن تيمية : «ومعلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغربها بعد أن أغرق فرعون في اليم»[٩]

٣- قال الله تعالى : «ولسليمان الريح عاصفة، تجري بأمره إلى الأرض

التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين» (سورة الأنبياء الآية : ٨١).

قال الإمام الطبري معلقاً على هذه الآية : تجري الرياح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام لذلك قيل «إلى الأرض التي باركنا فيها»[١٠]

وفي هذا يقول أخي الدكتور صلاح الخالدي : «هذه الريح كانت تغدو بأمر سليمان عليه السلام في مدة شهر، وتروح وتعود في مدة شهر، وتتحرك في مختلف بقاع وأطراف مملكته الإسلامية، من فلسطين إلى اليمن : «ولسليمان الريح، غدوها شهر،ورواحها شهر، وأسلنا له عين القطر» (سورة سبأ :١٢) وقد أخبر الله في سورة الأنبياء، أن هذه الريح كانت تجري بأمر سليمان عليه السلام إلى الأرض المباركة فلسطين، التي بارك الله فيها، وتحمل له الرخاء والغيث والخصب والخير : «ولسليمان الريح عاصفة، تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها»[١١]

٤- قال الله تعالى : «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها، قرىً ظاهرة، وقدرنا فيها السير، سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين، فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا، وظلموا أنفسهم، فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور»(سورة سبأ :١٨-١٩).

جعل الله قرى ظاهرة بارزة عامرة، آهلة بالسكان بين قوم سبأ في اليمن، وبين القرى التي بارك الله فيها، والقرى التي بارك الله فيها، هي قرى ومدن فلسطين المباركة، التي كانت عامرة آهلة بالسكان، أثناء حكم سليمان عليه السلام. وتسجل الآية آثار حكم سليمان لفلسطين واليمن، زمن مملكة سبأ، وتبين مظاهر الخير والبركة والرخاء التي شملت المنطقة كلها نتيجة لحكمه، حيث حكم البلاد بشرع الله، ومعلوم أن النماء والرخاء والبركة ملازمة للحكم

بما أنزل الله. ولكن أهل سبأ في اليمن ظلموا أنفسهم، بعد حكم سليمان عليه السلام، وعادوا إلى الكفر، وكفروا بتلك النعمة والرخاء، فأوقع الله بهم عذابه، وحرمهم ذلك الرخاء ودمر جناتهم وبساتينهم، وخرب قراهم وتجمعاتهم، ومزقهم شر ممزق، وجعلهم أحاديث.

وزالت تلك القرى الظاهرة بين اليمن وبين الأرض المباركة في فلسطين، بسبب كفر أهلها، وهذه نتيجة لازمة لكل اقصاء لحكم الله، وحكم بغير ما أنزل الله.

٥- قال الله تعالى : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» (سورة الإسراء : آية ١).

كان الإسراء إلى الأرض المباركة ربطاً آخر بين البقعتين المباركتين في الحجاز وفلسطين، مكة والقدس، المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

لقد تم الارتباط بين البقعتين مرتين :

المرة الأولى : زمن سليمان عليه السلام عندما جمع ملك فلسطين وملك اليمن، والحجاز وعسير، وكان هذا الربط ثمرة من ثمار الحكم الإسلامي الرباني، الذي أقامه سليمان عليه السلام في كل من فلسطين واليمن.

المرة الثانية : لما أسرى الله برسوله ﷺ إلى الأرض المباركة، لأنه خاتم المرسلين، ورسالته خاتمة الرسالات، وأمته خاتمة الأمم، أمة الشهادة والخلافة على العالمين، حتى قيام الساعة، والأمة الوارثة للدين والإيمان والإسلام، الذي جاء به الأنبياء السابقون، والأمة الوارثة للبركة والقداسة، وهي الأمة الوارثة للأرض المباركة فلسطين، ورثتها من الأنبياء الكرام، إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان عليهم السلام.

وبوصول إرث الأرض المباركة، إلى هذه الأمة المباركة، عمت البركة الربانية هذه الأرض وما حولها «إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» وشملت كل البقعة المباركة، الممتدة ما بين النهرين الإسلاميين : الفرات

والنيل ولهذا رأى رسول الله ﷺ هذين النهرين -الفرات والنيل- ينبعان من الجنة، لما صعد إلى السماء السابعة في ليلة المعراج، أثناء رحلة الإسراء والمعراج»[١٢]

وبركة هذه الأرض بركة شاملة تشمل كل جوانب الحياة فيها، بغض النظر عما قال بعض العلماء السابقين الذين قصروا البركة فيها على جوانب معينة :

قال العز بن عبد السلام : «إختلف العلماء في هذه البركة، فقيل : هي بالرسل والأنبياء، وقيل : بما بارك فيها من الثمار والمياه»[١٣]

وقال الطبري رحمه الله : «الذي جعلنا البركة لسكانه في معايشهم، وأقواتهم وحروثهم، وغروسهم»[١٤]

وأميل إلى ما قاله الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله :

١- إن فعل باركنا مسند إلى الله سبحانه، فبركات هذه الأرض بركة ربانية، وهي بركة إيجابية ظاهرة.

٢- إن فعل باركنا غير مقيد، ولا محدد، وهذا يدل على أن البركة الربانية لهذه الأرض المباركة مطلقة غير محددة، ولا مقيدة، وهي شاملة لكل أنواع البركة، ومن مظاهر هذه البركة الربانية : البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والبركة الإقتصادية، والبركة الإجتماعية، والبركة الجهادية، والبركة الحضارية، والبركة المستقبلية... وغير ذلك.

٣- التعبير عن البركة الربانية بالفعل الماضي «باركنا» يدل على ثبوت واستقرار البركة الربانية لهذه الأرض، ولأن الفعل الماضي يفيد الثبات والاستقرار، فالله سبحانه قد شاء استقرار البركة في هذه الأرض، وجعلها ثابتة فيها.

ولهذا ستبقى هذه البركة الشاملة مستقرة فيها، على اختلاف فترات التاريخ، ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بذلوا من جهود في ذلك

وستبقى لها هذه البركة حتى قيام الساعة»[١٥]

٦- قال تعالى : «ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق» (سورة يونس الآية : ٩٣)

عن قتادة «بوأهم الله تعالى الشام وبيت المقدس».[١٦]

وقال سلطان العلماء العز بن عبد السلام : «قد يكون المبوأ حسناً لما فيه من البركات الدينية، وذلك موجود وافر بالشام وبيت المقدس»[١٧]

وقال الأستاذ سيد قطب رحمه الله : «والمبوأ : مكان الإقامة الأمين، وإضافته إلى الصدق تزيده أمناً وثباتاً واستقراراً كشبات الصدق الذي لا يضطرب ولا يتزعزع اضطراب الكذب وتزعزع الافتراء»[١٨]

الأرض المقدسة بين النيل والفرات

إن ما يستوقف الباحث عن مكان الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه على لسان موسى عليه السلام وهو يخاطب قومه : «يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أدباركم، فتنقلبوا خاسرين» (المائدة :٢١) ليدرك أن الأرض المقدسة التي أمرهم الله بدخولها، هي أرض فلسطين، حيث كانوا مقيمين في صحراء سيناء وقتها.

لقد كانت كتابة الأرض المقدسة لبني إسرائيل زمن موسى عليه السلام، كتابة خاصة، في زمن خاص، لجيل خاص، لعلة خاصة، وليست كتابة أبدية عامة «جنسية» لليهود باعتبارهم يهوداً، حتى قيام الساعة، كما يزعم يهود هذا الزمان. لقد كانت كتابة الأرض المقدسة فلسطين لذلك الجيل المؤمن من بني إسرائيل لإيمانهم وفضلهم على الكافرين الذين كانوا في زمانهم، فلما تخلت الأجيال الجديدة بعد ذلك الجيل المؤمن، وخالفوا شرط الاستخلاف، ونقضوا عهد الله وكفروا وبغوا، أوقع الله بهم لعنته وسخطه، نزع الله هذه الأرض منهم، وأوصل إرثها إلى الأمة الإسلامية، الأمة المباركة، وحين وصل هذا الإرث إلى أمة الإسلام، عمت البركة هذه الأرض وما حولها، «إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» وشملت كل البقعة المباركة، الممتدة ما

بين النهرين الإسلاميين : الفرات والنيل.

ولهذا رأى رسول الله ﷺ هذين النهرين -الفرات والنيل- ينبعان من الجنة، لما صعد إلى السماء السابعة في أثناء رحلة الإسراء والمعراج.

وقد وصف الله تعالى هذه الأرض بالقداسة دون باقي البلاد وورود هذا الوصف في كتاب الله، دليل على أن هذه الأرض هي عنوان القداسة والطهارة، وهي رائدة هذه القداسة والطهارة إلى سائر البلدان، بإستثناء الأرض الشريفة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

فالطهارة والقداسة تنطلق منها، وتشع منها، لتعم مختلف المناطق.[١٩] وقد جاء في سنة النبي ﷺ ما ينبأ عن كون بلاد الشام هي الأرض المقدسة :-

١- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال :

أتاني نبي الله ﷺ وأنا نائم في مسجد المدينة، فضربني برجله فقال : (ألا أراك نائماً فيه؟)

قال : قلت : يا نبي الله ﷺ، غلبتني عيني.

قال : (كيف تصنع إذا أخرجت منه؟).

قال : آتي الشام الأرض المقدسة المباركة.

قال : (كيف تصنع إذا أخرجت منها؟).

قال : قلت : ما أصنع يا نبي الله أضرب بسيفي.

فقال النبي ﷺ : (ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك، وأقرب رشداً تسمع وتطيع، وتنساق لهم حيث ساقوك).[٢٠]

خلاصة هامة

وختاماً لهذه المقدمة التعريفية أقدم خلاصة قرآنية هامة، ذكرها الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله بقوله :

« نقف في ختام كلامنا عن (الأرض المباركة) و(الأرض المقدسة) في القرآن لنشير إلى هذه الخلاصة القرآنية الهامة، في هذه النقاط :

١- الأرض المباركة في القرآن هي أرض الرباط والتحدي والحسم، وهي

الواقعة ما بين الفرات والنيل.

٢- والأرض المقدسة في القرآن هي هذه الأرض نفسها.

٣- وقد سكن هذه الأرض المقدسة في الماضي أجيال مؤمنة من بني إسرائيل وأقاموا عليها حكماً إسلامياً مباركاً، زمن يوشع بن نون، وطالوت، وزمن داود وسليمان عليهما السلام.

٤- أخرج الله الأحفاد الكافرة لتلك الأجيال المؤمنة من تلك الأرض المباركة المقدسة، والذين سُمّو بإسم «اليهود» وقطعهم في بقاع الأرض المختلفة بسبب كفرهم وبغيهم.

٥- جعل الله هذه الأرض المباركة المقدسة، لأطهر وأقدس أمة، وهي التي تحمل أطهر وأقدس رسالة، وهي أمة محمد ﷺ، حاملة الرسالة للعالم الإسلام، وجعل هذه الأرض لها، حتى قيام الساعة.

٦- أوجب الله على أمة محمد ﷺ الوقوف أمام أطماع اليهود الأنجاس، في هذه الأرض المقدسة المباركة، وذلك بجهادهم وقتالهم، وتطهير هذه الأرض من رجسهم ودنسهم.

٧- إن فلسطين هي أرض البركة والقداسة، وإن ما حولها من الأرض والواقعة ما بين الفرات والنيل، هي أرض البركة والقداسة، وهي أرض إسلامية تنشر الإسلام في باقي الأراضي، وتقدم الطهر والخير إلى باقي البلدان.[٢١]

ولأجل كل ما سبق ولأهمية بلاد الشام، وقداسة أرضها -بما فيها قلب هذه الأرض ومركز النبض فيها بيت المقدس-، وقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يحث الناس على الوقوف أمام زحف التتار، والدفاع عن هذه المقدسات ، وذلك حين جمع قازان جموعه ورجاله، وقدم أرض الشام لينتقم لهزيمة أجداده في عين جالوت، حتى هزمه الله كما هزم أسلافه في معركة شقحب.

وفي بركة هذه الأرض يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «لبث

للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء، وهي أحد ما اعتمدته في تحريضي للمسلمين على غزو التتار، وأمري لهم بلزوم دمشق، ونهي لهم عن الفرار إلى مصر، واستدعائي للعسكر المصري إلى الشام، وتثبيت العسكر الشامي فيه».[٢٢]

هذه أرضنا، وهذه هي صفتها التي جعلها الله لها، فهل يلومنا أحد في محبتها وعشقنا لها؟ وهل نخطئ إذا ربطناها بعقيدتنا؟ وهل يمكن أن نفرط بشبر مبارك مقدس منها؟ وهل نستكثر عليها جهادنا لإعادة المفقود منها، والمحافظة على الأرض المتبقية منها، وهل نستكثر أن نستشهد على ثراها المبارك الطهور. ولذلك لا تستغرب أن يهاجمنا أعداؤنا في الصميم، وتتكالب كل قوى الشر لمساعدة أعداء الله «اليهود» للاستقرار في وسط هذه الأرض وقلبها، وإكساب هؤلاء المحتلين لأرضنا الشرعية في السيطرة على بلادنا، لأن كل قوى الشر تدرك الأهمية الكبيرة التي تتمتع بها هذه البلاد المباركة، ولحقدهم على هذا الدين وأتباعه فإنهم يسعون للقيام بكل عمل يفتت وحدة هذه الأمة المباركة، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره، إن الله على كل شيء قدير»(البقرة :الآية ١٠٩).

لهذا كله أدعو أهل هذه البلاد ليدركوا طبيعة بلادهم وأهميتها، وقداستها، وطبيعة الدور الموكل إليهم، وعظم الأمانة المؤتمنين عليها، حتى يؤدوها على خير وجه والله الموفق.

الهوامش

١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ص (١٥١).

٢- مختصر كتاب البلدان / إبن الفقيه : نقلا عن كتاب الأردن وفلسطين / سعيد التل ط دار الجليل ص (١٩).

٣- تاريخ فلسطين القديم لظفر الإسلام خان ص (١٨).

٤- رجال من فلسطين لعجاج نويهض ص (٣١٤ - ٣٢٥).

٥- المرجع السابق ص (١٠٢)، ص(٣٢١).

٦- بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدباغ : الجزء الأول، القسم الأول ص (١٥-٢١).

٧- القبائل العربية وسلالتها في فلسطين لمصطفى الدباغ ص (٢١).

٨- حقائق قرآنية للدكتور صلاح الخالدي ص (١٧).

٩- فضائل الشام للربعي ص (٧١).

١٠- تفسير الطبري (١/ ٤١ - ٤٢).

١١- حقائق قرآنية ص (٢١).

١٢- حقائق قرآنية ص (٢٣ - ٢٤).

١٣- ترغيب أهل الإسلام ص (٢٤) وقد ذكر القولين القرطبي في التفسير (١١/ ٣٠٥) (١٠/ ٢١٢) والألوسي في روح المعاني (٩/ ٣٧).

١٤- الطبري في التفسير (١٥/ ١٧).

١٥- حقائق قرآنية ص (٢٥ - ٢٦) للدكتور صلاح الخالدي.

١٦- الطبري في التفسير (١١/ ١٦٦).

١٧- ترغيب أهل الإسلام ص(٢٦).

١٨- في ظلال القرآن : (٤/ ٤٧٣).

١٩- حقائق قرآنية ص (٣٢، ٢٤).

٢٠- أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٥٦)، وإبن حبان برقم (٦٦٦٨)

مطولا، والدارمي (١/ ٣٢٥) مختصراً وإسناده رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح، سوى عم إبي حرب بن أبي الأسود لا يعرف إلا أنه لم ينفرد بروايته، فقد توبع في روايته عن أبي ذر : فقد تابعه عبد الرحمن بن غنم عند أحمد (٥/ ١٤٤) وأسماء بنت يزيد عند أحمد (٦/ ٤٥٧) والطبري رقم (١٦٢٣) وفي إسنادهما شهر بن حوشب ضعيف لكن حديثه حسن في المتابعات، وقد تابعه أيضاً أبو السليل ضريب بن نفير القيسي عن أبي ذر وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٧٨-١٧٩) وإبن حبان رقم (٦٦٦٩) وأحمد بن منيع كما في مصباح الزجاجة برقم (١٥٠٧) وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢٣) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا سليل ضريب بن نفير لم يدرك أبا ذر، فالحديث بهذه المتابعة حسن، وقد حسن إسناده إبن عبد الهادي في فضائل الشام برقم (١٣).

٢١- حقائق قرآنية ص (٣٦).

٢٢- مناقب الشام وأهله ص (٦٩).

الفصل الأول

وقفة مع أحاديث فضائل فلسطين وبلاد الشام

وقفة مع أحاديث الفضائل

إن لبلاد الشام من المكانة في أحاديث النبي ﷺ الشيء الكثير، فهو يذكر ما حباها الله تعالى من الخير والبركة، ويبين الخصائص التي تميزت بها، ولذلك فقد أولاها المحدثون وأصحاب التصانيف مكانة عالية، وذكروا ما قاله فيها سيد الأولين والآخرين، فمنهم من أفرد هذا الموضوع بتصنيف خاص وهم كثر، ومنهم من ذكر من فضائلها الشيء الكثير، فبوّبوا لفضل الشام وفلسطين أبواباً خاصة ضمن أحاديث الفضائل التي ذكروها في كتبهم، وعما تتمتع به هذه البلاد من فضل ومكانة يحدثنا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ملخصاً لفضائلها في عبارات مختصرة جامعة فيقول:

«ففيها الطور الذي كلم الله عليه موسى[1]، والذي أقسم الله به في سورة الطور[2]. وفي ﴿والتين والزيتون وطور سنين﴾[3].

وفيها المسجد الأقصى، وفيها مبعث أنبياء بني إسرائيل، وإليها هجرة إبراهيم، وإليها معراج ومسرى نبينا، ومنه معراجه، وبها ملكه، وعمود دينه وكتابه، والطائفة المنصورة من أمته، وإليها المحشر والمعاد.

كما أن مكة المبدأ، فمكة أم القرى من تحتها دحيت الأرض، والشام إليها يحشر الناس كما في قوله: ﴿لأول الحشر﴾[4]، نبه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ، وإيلياء[5] معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر، فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيلياء[5]، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام، فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية، ومن ذلك أن بها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة»[6].

فإذا كان هذا هو فضل بلاد الشام وبيت المقدس، قد أوردته شيخ الإسلام مجملاً، فقد آليت على نفسي أن أقوم بجمع ما صح عن النبي ﷺ، في فضل

فلسطين وبلاد الشام من الأحاديث، وأقوم بتخريجها والتعليق عليها، حتى أشارك بتوعية سكان هذه البلاد المباركة للدور الهام الذي يضطلعون به، في صيانة هذه البلاد وحمايتها من شر الأشرار، ومن كيد الكائدين، ويدركوا كم لهم من الأجر والمكانة عند الله، فيكون ذلك حافزاً لهممهم فيحققوا البركة والخيرية في أنفسهم من خلال الالتزام بأحكام الله تعالى، والسير وفقاً لمنهج هذا الدين، لأن الخيرية لا تتحقق بمجرد السكن في بلاد الشام، وإنما تتحق بطاعة الله والالتزام بأحكام دينه، وعند ذلك يتحقق للسكان الخيرية والبركة، وإن لم يفعلوا ذلك، فإن الله عز وجل قادر على أن يستبدل بهم قوماً غيرهم، ليقوموا بهذه المهمة، ويحافظوا على هذا الإرث المبارك، الذي ورثته أمة الإسلام عن الأمم السابقة.

وسيكون هناك مزيد من التوضيح عند إيرادي لكل حديث من أحاديث الفضائل، لأبين من خلال هذه التوضيحات ما قد يعلق بأذهان الناس من لبس أو إشكال، عند الإطلاع على هذه الأحاديث. وهذا هو أوان إيراد هذه الأحاديث:

أ- بسط الملائكة أجنحتها على الشام

٢- من حديث زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا طوبى للشام! يا طوبى للشام! يا طوبى للشام!)

قالوا: يا رسول الله وبم ذاك؟

قال: (تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على الشام)[٧].

ويتضح لنا من خلال هذا الحديث أن لأهل الشام خصال ثلاث:

الخصلة الأولى: ما دعا لهم به النبي ﷺ من الراحة وطيب العيش.

الخصلة الثانية: بسط ملائكة الرحمة أجنحتها على الشام وأهل الشام

بالمحافظة عليهم وحراستهم.

الخصلة الثالثة: حف الملائكة للشام وأهله يكون سبباً في إنزال البركة، وجلب الخير، ودفع الشر والمهالك والمؤذيات عنهم.

وهذه الخصال من الخير حين تعطى لبلد من البلاد، فإن هذا يدل على ما له من المكانة العظيمة عند الله تعالى، فحراسة الملائكة لبلد من البلاد دليل على مدى الرعاية والعناية التي يمنحها الله لهذا البلد، ودعاء النبي له برغد العيش وطيب المقام والراحة دليل آخر على المكانة التي يحتلها أيضاً عند رسول الله ﷺ.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: أشار رسول الله ﷺ إلى أن الله سبحانه وتعالى وكل بها الملائكة، يحرسونها، ويحفظونها، وهذا موافق لحديث عبد الله بن حوالة في أنهم في كفالة الله تعالى ورعايته[٨].

ب- تمام أمر الدين وظهوره سيكون في الشام

٣- من حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

(رأيت ليلة أسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة، تحمله الملائكة، فقلت: ما تحملون؟)

فقالوا: عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام، وبينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلص من تحت رأسي، فظننت أن الله تعالى قد تخلى عن أهل الأرض، فاتبعته بصري، وإذا هو نور ساطع بين يدي حتى وضع بالشام.

فقال ابن حوالة: يا رسول الله خر لي.

قال: (عليك بالشام)[٩].

٤- من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ:

(إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت فإذا هو نور ساطع عُمد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام)

وفي رواية (إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام)[10].

٥- ومن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بينا أنا قائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام)[11].

وتضيء لنا هذه الأحاديث شمعة من الأمل في قلوب المؤمنين، كاد ظلام اليأس والإحباط أن يطفأها، وتحفز همم العاملين الذين كاد مكر الأعداء وإجلابهم عليهم بخيلهم ورجلهم، ووسائل إعلامهم وصحافتهم، وتحالف الأقارب معهم على أبناء جلدتهم من أهل الإيمان، أن يذهب بعزائمهم. وتبث الشجاعة في قلوب المؤمنين في وسط «وبيئة» فقدت الشجاعة أو كادت، ورفرفت أعلام التخاذل على جنباتها، وتوقد مشعل الهداية في نفوس المهتدين، في مجتمع يعيش في حيرة دائمة، يغدو ويروح ولا يدري له هدفاً أو غاية يصل إليها، كأن أبناءه قد أصابت الواحد منهم صدمة كهربائية أفقدته توازنه.

وكيف لا تفعل هذه الأحاديث فعلها في القلوب، وهي الصادرة عن المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، وإنما هو وحيٌ يوحى، فهو بكلامه وفعله يهدي إلى الله، ويخبر عن المهمة العظيمة الموكولة لأهل الشام، حين يعلمون أنهم الذين اختارهم الله تعالى لاتمام أمر هذا الدين الذي بدأه سيدنا محمد ﷺ، فمن مكة كان مبعث الدين ومخرجه، وفي الشام كماله وظهوره وتمامه إلى يوم القيامة.

ومن أبرز الأمور التي أظهرتها هذه الأحاديث ما يلي:

١- استقرار عمود الكتاب، أو عمود الإسلام في بلاد الشام حيث قامت الملائكة بنقله من تحت رأس النبي ﷺ، وفي هذا الأمر إشعار بأن كمال ظهور الدين وتمامه وعلوه حتى يملكه المهدي عليه السلام سيكون في بلاد الشام، كما أن مبعث هذا الدين ومخرجه وبدايته كان في مكة والمدينة من بلاد الحجاز.

٢- عظم المسؤولية الموكولة لأهل الشام، حيث أن الله تعالى قد عهد إليهم بحماية هذا الدين والدفاع عنه، حين وضع عمود الكتاب في أرضهم وبلادهم، والله تعالى لا يختار لهم إلا الخير، ولأنهم كما قال النبي ﷺ (خيرة عباد الله أسكنهم خيرته من أرضه -وهي الشام) وهذا لا يتحقق لهم إلا إذا كانوا مطيعين لله تعالى، ملتزمين بأحكام كتابه وهدي نبيه ﷺ.

٣- نصيحة النبي ﷺ لابن حوالة رضي الله عنه بسكنى الشام، حين طلب منه النصيحة، والرسول ﷺ لا يختار لمن يستشيره ويسأله إلا الخير، لأن المستشار مؤتمن، والنبي ﷺ أفضل من يستشار، فيصدق في النصيحة.

٤- أخبار النبي ﷺ عن الشام أنها معسكر الإيمان والأمان عند وقوع الفتن ونزولها، وأن الذي يريد الأمن والطمأنينة عند نزول الفتن فعليه بأرض الشام فإنها موطن الأمان والإيمان.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «أخبر النبي ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام.

بمعنى: أن الفتن إذا وقعت في الدين، كان أهل الشام برآء من ذلك، ثابتين على الإيمان.

وإن وقعت في غير الدين، كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك.

والمعني بعمود الإسلام: ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجؤون إليه،

والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء، واختلاف الآراء.

وقد قال عبد الله بن شوذب: تذاكرنا بالشام، فقلت لأبي سهل: أما بلغك أنه يكون بها كذا؟

فقال: ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها.

والذي ذكره معلوم بالتجربة، معروف بالمشاهدة، إذ الفتن من القحط والغلاء، وغير ذلك من أنواع البلاء، إذا نزلت بأرض كانت بالشام أخف منها في غيرها»[١٢].

ج- الشام أرض المحشر والمنشر

٦- من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الشام أرض المحشر والمنشر)[١٣].

٧- من حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: يا رسول الله! أفتنا في بيت المقدس؟

قال: (أرض المحشر والمنشر)

وفي رواية أبي داود: (يا رسول الله! أفتنا في بيت المقدس؟

فقال: (ائتوه فصلوا فيه) وكانت البلاد إذ ذاك حرباً (فإن لم تأتوه وتصلوا فيه، فابعثوا بزيت يسرج في قناديله)[١٤].

٨- من حديث بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله أين تأمرني؟

قال: (ها هنا).

وأومأ بيده نحو الشام.

قال: (إنكم محشورون رجالاً وركباناً، ومُجْرَون على وجوهكم).

وفي رواية

(ستكون فتن)، قيل: يا رسول الله! ماذا تأمرنا.

قال: (عليكم بالشام)[١٥].

٩- من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا -ونحن عند رسول الله ﷺ- أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟

فقال رسول الله ﷺ:

(صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً). قال: أو قال: (خير له من الدنيا وما فيها)

وفي رواية (صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى في أرض المَحْشَر والمَنْشَر، وليأتين على الناس زمان لقيد سوط، -أو قال: قوس - الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له- أو أحب- من الدنيا جميعاً)[١٦].

١٠- من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال: قال رسول الله ﷺ:

(ستخرج نار من نحو حضرموت، أو من حضرموت تحشر الناس)، قلنا: يا رسول الله: ما تأمرنا؟

قال: (عليكم بالشام)[١٧].

إن الله سبحانه وتعالى عليم حكيم، يفعل ما يشاء، ويختار ما يشاء، ويفضل ما يشاء وفق حكمته سبحانه، يفضل ما يشاء من الأماكن بحكمته، فهو يعلم ما يستحق التكريم، وما يستحق التفضيل، فالأماكن ليست متساوية عند الله، لأنه فضل بعضها على بعض.

والله سبحانه حين اختار بلاد الشام، وفلسطين، وبيت المقدس لتكون الأرض التي يحشر إليها العباد، يعلم أنها من خير الأرض عنده، وأنها تتمتع بمنزلة عالية من التكريم والأفضلية، ولذلك استحقت أن تكون أرض المحشر

والمنشر.

والنبي ﷺ حين نصح الناس بأن يلزموا أرض الشام ليسلموا من تأثير النار التي تخرج آخر الزمان، فإنه صدقهم النصح وهو القائل: (الدين النصيحة)، لأنه يعلم أن ملائكة الرحمة متوكلة بحفظ أرض الشام، ولذلك فإن هذا الحفظ كفيل بأن يدفع شر هذه النار عن أهلها، والقادمين إليها، والساكنين فيها، ولو أن النبي ﷺ علم أرضاً خيراً منها تحمي من هذه النار لنصحهم بها.

ومن هنا يعلم عظم الأمانة الموكولة لأهلها للمحافظة عليها طاهرة بعيدة عن دنس الأعداء وشرورهم، ومن كيد اليهود ومكرهم، فيؤدوا هذه الأمانة على الوجه الأكمل الذي يُرضي اللهَ تبارك وتعالى.

قال العز رحمه الله: «أشار ﷺ بالشام عند خروج النار لعلمه بأنها خير للمؤمنين حينئذٍ من غيرها، والمستشار مؤتمن»[18].

وقد أبرزت هذه الأحاديث بعض الأمور الهامة أوردها فيما يلي:

١- أرض الشام وبيت المقدس وفلسطين هي الأرض التي يحشر الناس إليها، وهذا يعطيها من المنزلة العالية ما لم يعط لبلد من البلاد غير أرض الشام.

٢- نصح النبي ﷺ من سأله من الصحابة عن أي البلاد يسكنون، فأشار عليهم بسكنى الشام.

٣- أرض الشام هي الأرض التي يأمن بها الناس من الفتن إذا نزلت، ولذلك أمر النبي بالسكن فيها.

٤- امتدح النبي ﷺ الصلاة في أرض المحشر والمنشر وخاصة في أرض بيت المقدس.

د- أرض الشام خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده

١١- من حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ:

(سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق)

قال ابن حوالة: خِرْ لي يا رسول الله إن أدركت ذلك.

فقال: (عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدُرِكم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله)

وفي لفظ آخر أن ابن حوالة رضي الله عنه قال:

يا رسول الله خر لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك شيئاً.

قال: (عليك بالشام)

فلما رأى كراهتي للشام قال: (أتدري ما يقول الله تعالى في الشام؟ إن الله تعالى يقول: يا شام، أنت صفوتي من بلادي، ادخل فيك خيرتي من عبادي، إن الله تكفل لي بالشام وأهله)[19].

● الغُدُر: جمع غدير، وهي القطعة من الماء يغادرها السيل، ولأنه يغدر بأهله، أي يقطع بهم عند شدة حاجتهم إليه.

١٢- من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قام يوماً في الناس فقال:

(أيها الناس، توشكون أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن)

فقال ابن حوالة: يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي، قال: (إني أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين وصفوة الله من بلاده، يجتبي إليها صفوته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غدره. فإن الله قد كفل

بالشام وأهله)[٢٠].

١٣- من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (صفوة الله من أرضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، وليدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليه، ولا عذاب)

وفي رواية أخرى قال:

(الشام صفوة الله من بلاده، إليها يجتبي صفوته من عباده، من خرج من الشام إلى غيرها فبسخطة، ومن دخلها من غيرها فبرحمة)[٢١].

١٤- من حديث وائلة رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول لحذيفة بن اليمان، ومعاذ بن جبل، وهما يستشيرانه في المنزل، فاوما إلى الشام، ثم سالاه فاوما إلى الشام، ثم سالاه فاوما إلى الشام، قال: (عليكم بالشام، فإنها صفوة بلاد الله -عز وجل- يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله -عز وجل- تكفل لي بالشام وأهله)[٢٢].

إن الله تعالى حين يعطي الخيرية لقوم، أو لأرض، فإنما ذلك لميزة خاصة خصهم الله بها، والناظر المتفحص في هذه الأحاديث يرى أن هذه الأرض إنما أعطيت هذه الخيرية لعظم المهمة الموكلة لأهلها في الدفاع عن حياض الإسلام، فهم يشكلون الصف الأمامي المتقدم في المعركة الخالدة بين المسلمين وبين أعدائهم، ولأهمية هذا الصف الأمامي الذي يكون بمثابة القلب في الجيوش، والمعلوم أن الجيوش لا تضع في مكان القلب إلا خيرة جنودها، وكذلك اختيار أهل الشام ليكونوا بمثابة القلب للأمة الإسلامية ولذلك فإن الله يسوق إلى هذه البلاد خيار المسلمين الذي يحسنون الدفاع عن الإسلام وحصونه.

ونلحظ أيضاً أن النبي ﷺ ذكر مجموعة من الخصائص والميزات التي

تتميز بها أرض الشام وأهلها، نذكرها فيما يلي:

١- إخبار النبي ﷺ أن جيوش الإسلام ستتمركز في ثلاثة محاور رئيسية للدفاع عن حصون الإسلام، وهذه المحاور الرئيسية هي جند الشام، وجند اليمن، وجند العراق، وأن أفضل هذه المحاور وأكثرها أهمية في الدفاع عن الإسلام هو محور بلاد الشام، وأن خير هؤلاء الجنود هم جند الشام.

٢- نصيحة النبي ﷺ لمن سأله عن أي هذه المحاور أفضل، فأرشده النبي ﷺ أن ينضم إلى محور بلاد الشام وجندها فإنه خير المحاور وجنده أفضل الجند.

٣- إخبار النبي ﷺ عن بلاد الشام بأنها خيرة أرض الله وصفوتها، والله تعالى يحب خير البلاد، ولذلك فإنه يخصها بأن يكون لها أعظم الأدوار في حسم المعركة مع أعداء الله، وهكذا هي بلاد الشام التي ستلعب هذا الدور الهام.

٤- إخبار النبي ﷺ أن أهل بلاد الشام، ومن يسوقهم الله تعالى للسكنى والإقامة فيها هم خيرته من عباده، وصفوة خلقه الذين يحبهم، وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين يقومون على حراسة دينه، ورفع رايته، وحمايته من كيد أعدائه، ويضطلعون بأهم وأعظم الأدوار، ويقدمون أكثر التضحيات، ويسترخصون بذل أنفسهم وأموالهم من أجل تحقيق هذا الهدف.

٥- تكفل الله تعالى بحماية الشام، ومن توكل وتكفل الله به فلا يخشى عليه الضيعة، أو مكر الأعداء، لأن هذه الحماية والتكفل ستقلب الموازين وترد كيد الأعداء في نحورهم، وسيكون كل هذا الكيد مضيعة لأوقات أعدائنا وأموالهم، والعاقبة في النهاية هي النصر للمؤمنين وحماية بلاد الشام وبقاؤها حصن للإسلام وقلعة للإيمان.

٦- إن من يأتي بلاد الشام من المؤمنين وأهل الخير فإنما يأتيها لأن قدر

الله تعالى ساقه ليكون من الخيار الذين يسكنون هذه الأرض، ولأن الله تعالى يحبه، ولذلك اختاره للسكنى في الشام، وأن من يخرج من أرض الشام ليسكن غيرها فإن قدر الله تعالى ساقه من أجل أن يبتعد عن خير الأرض، ولعل ذنباً من ذنوبه كان سبباً في إبعاده عن بقاع الخير وهي أرض الشام.

وقد أكدت في أكثر من موطن، وسأعيد التأكيد أن الخيرية التي أعطاها الله تعالى لأهل الشام إنما هي للمؤمنين من أبنائه، العاملين بكتابه، والمهتدين بسنة نبيه ﷺ، ولذلك فهي لا تشمل العاصين والمبدلين والمضيعين لحقوق الله تعالى، والمتخلين عن حق أمة الإسلام في أرض المقدسات فلسطين، حتى لا يظن هؤلاء وأشباههم أن هذه الخيرية والأفضلية تشملهم، وهم ليسوا كذلك، لأن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين، وأن الله تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

هـ- أهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام

١٥- من حديث معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

(إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة)[٢٣].

هذا الحديث يشكل بالنسبة لأمة الإسلام ميزاناً دقيقاً يقاس فيه مدى قربها أو ابتعادها عن دينها، فكلما كان أهل الشام أكثر قرباً من دينهم، وأكثر تمسكاً بأحكامه، وحرصاً على الدفاع عن حرمته، كلما كانت أمة الإسلام بخير، بل إن هذا ليشكل علامة بشرى لأمة الإسلام إنها تسير في الطريق الصحيح في طاعة الله، ولذلك فإن التزام أهل الشام بأحكام الدين يجب أن يملأ قلوب المؤمنين فرحاً وحبوراً لأن ذلك يشكل بالنسبة لهم علامة خير بأنهم على طريق الجادة.

وإن فسد أهل الشام، وابتعدوا عن دينهم، فإن ذلك يشكل علامة سوء في

بعد هذه الأمة عن دينها، وهذا يوجه أنظارنا إلى الجهود الهائلة التي يبذلها أعداؤنا لإفساد أبناء الشام، حتى يسهل عليهم السيطرة على بقية بلاد المسلمين، وكما سبق أن بينت أن أبناء الشام في أرض الشام بمثابة القلب بالنسبة للأمة الإسلامية، فإذا سيطر الأعداء على القلب سهل عليهم أن يسيطروا على سائر أنحاء الجسد الإسلامي الكبير.

وهنا لا بد أن أوجه إلى أبناء أمة الإسلام توجيهاً هاماً، وأبين لهم أمراً بالغ الخطورة ليحرصوا عليه وهذا الأمر هو أن يحافظوا على أرض الشام قوية أمام أعدائها، لأنها تشكل بالنسبة للمسلمين الدرع الحصينة، فإذا أتلف الدرع فإن التلف سرعان ما يصل إلى بقية أعضاء الجسم الإسلامي، وإن قصروا في هذا الواجب فلا يلوموا إلا أنفسهم.

وهنا لفتة أخرى لا بد من أن نقف عندها في هذا الحديث، وهي ربط النبي ﷺ بين أثر فساد أهل الشام على أمة الإسلام، وبين بقاء الطائفة المنصورة، التي لا يضرها من يخذلها من المتخاذلين إلى قيام الساعة، هذا الربط الذي يدل على أن الطائفة المنصورة مرتبطة بأهل الشام ارتباطاً وثيقاً، وقد جاء التصريح في الأحاديث الصحيحة الأخرى التي سيأتي بيانها في الفصول اللاحقة أنها في أرض الشام، ولذلك يجب الحرص على نصرة هذه الطائفة الموجودة في أرض الشام، ولا يمنع هذا الحديث أن يكون هناك من أبناء المسلمين في بلاد المسلمين المختلفة من هم على قلب هذه الطائفة، ويحرصون على نصرتها وتأييدها، ولكن جمهرة هذه الطائفة المنصورة موجودون في أرض الشام.

و- دعاء النبي ﷺ لها بالبركة

١٦- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:

«ذكر النبي ﷺ قال:

(اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا)

قالوا: وفي نجدنا

قال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا)

قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة:

(هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع الشيطان)[٢٤].

١٧- من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

إن النبي ﷺ قال:

(اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا -مرتين-)

فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله.

فقال ﷺ:

(من هناك يطلع قرن الشيطان، وبها تسعة أعشار الشر) اللفظ لأحمد[٢٥].

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنى باليمن، دل على تفضيل الشام على اليمن، مع ما أثنى به على أهل اليمن في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم»[٢٦].

دعاء النبي ﷺ بالبركة للشام دليل على الأفضلية والأهمية التي تتمتع بها بلاد الشام في نفس النبي ﷺ، خاصة وأنه أتى بالدعاء للشام واليمن بالبركة مضافين إلى نفسه الشريفة، وأتى بضمير الجمع تعظيماً وذلك في قوله «بارك لنا في شامنا ويمننا وكرر الدعاء.

إن هذه الإضافة إلى نفسه الكريمة تعطي للشام ميزة خاصة وشرفاً لا يضاهيه شرف، خاصة حين نعلم أن النبي ﷺ لا يضيف لنفسه إلا ما يحب، وهذا يعطي أهل الشام حافزاً ودافعاً للعمل والبذل لهذا الدين، حين يعلمون مدى الشرف العظيم المكتسب بانتسابهم للنبي ﷺ، فهنيئاً لمن تعلق نسبه بالمصطفى ﷺ، وتعلقت أسبابه بأسبابه، فالأسباب كلها منقطعة إلا سبب

واحد، وهو المتعلق بالمصطفى ﷺ.

والدعاء للشام بالبركة يعطي آثاراً إيجابية على ما جاورها من بلاد المسلمين، خاصة بلاد الحجاز والجزيرة العربية، وهذا ملاحظ بالمشاهدة فإن البركة حين تعم مثلاً مزروعات وثمار الشام، فإن أهلها يعيشون في رغد وطيب عيش، وهذا ينعكس على الجزيرة العربية بما فيها المدينة المنورة، ومكة المكرمة بما يتوفر فيهما من خيرات وبركات دعاء النبي ﷺ بالبركة للشام واليمن، وقس على ذلك سائر مظاهر البركة في الإنسان والزمان والمكان وغيرها من الأمور، والله يمنح من فضله لمن يشاء من عباده.

ز- نصح النبي ﷺ بسكنى الشام دليل على أفضليتها

١٨- من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال:

(إنكم ستجندون أجناداً، جند بالشام ومصر والعراق واليمن)

قالوا: فخر لنا رسول الله؟

قال: (عليكم بالشام)

قالوا: إنا أصحاب ماشية، ولا نطيق الشام.

قال: (فمن لم يطق الشام فليلحق بيمنه، فإن الله قد تكفل لي بالشام)[٢٧].

١٩- من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال:

«لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام، ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق».

وقال رسول الله ﷺ: (عليكم بالشام)[٢٨].

وقد جاء نصح النبي ﷺ لمن سأله أن يختار له بلداً يسكن فيه، أو جنداً من الأجناد ينتمي إليه، فنصحهم النبي ﷺ بسكنى الشام، من ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن حوالة الذي سبق برقم(٣) حين قال: (عليك بالشام)، وحديث معاوية بن حيدة الذي سبق برقم(٨) حين قال: (ستكون فتن، قيل يا

رسول: ماذا تأمرنا؟ قال: (عليكم بالشام)، وحديث عبد الله بن عمر الذي سبق برقم(١٠) حين قال: (عليكم بالشام)، وحديث عبد الله بن حوالة الذي سبق برقم(١١) حين قال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه)، وحديث العرباض بن ساريه الذي سبق برقم (١٢) حين قال: إني اختار لك الشام، ومن حديث واثلة الذي سبق برقم (١٤) حين قال: عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله».

يبرز لنا هذا الحشد من الأحاديث مدى اهتمام النبي ﷺ بنصح أصحابه لسكنى الشام، وهذا النصح منه لأصحابه نصح لأمته من بعد ذلك الجيل من خيار أصحابه، بأن يسكنوا الشام، وأن يأووا إليها عند اشتداد الخطوب، ونزول البلاء والفتن بالأمة الإسلامية، فإنهم سيجدون فيها الأمن والطمأنينة والإيمان في أرضها وبين أبنائها.

وحين ينصح النبي ﷺ أصحابه بسكنى الشام، أو حين يختار لمن استشاره أن يشير عليه ببلد يسكنه ويأوي إليه فيقول: إني اختار لك الشام، يبرز مجموعة الأسباب التي من أجلها ينصح أصحابه وأحبابه بسكنى الشام، هذه الأسباب أستطيع تلخيصها بما يلي:

١- أنها خيرة الله من أرضه، أو صفوته من بلاده.

٢- فيها خيرة الله من عباده، ويجتبي إليها خيرته من عباده.

٣- فيها معسكر الإيمان عند الفتن، ويجد فيها الأمن والطمأنينة عند الفتن.

٤- تكفل الله تعالى بالشام وأبنائها بالحفظ والعناية والرعاية.

٥- فيها خيرة الأجناد وقلب الدفاع عن الدين الإسلامي والأمة الإسلامية.

وغيرها من الأسباب التي أوردها عليه السلام.

وإن سبباً من هذه الأسباب كاف لأن يشير النبيّ ﷺ بسكنى الشام، فكيف إذا اجتمعت كل هذه الأسباب والفضائل في الشام، فإن النصح عندها سيكون

أكثر لزوماً بسكنى الشام.

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله: (أشار ﷺ بالشام عند خروج النار لعلمه بأنها خير للمؤمنين حينئذٍ من غيرها، والمستشار مؤتمن)[٢٩]. فإذا كان للشام هذه المكانة في نفس النبي ﷺ حين نصح أصحابه وأحبابه بسكناها لأنها أرض رباط وجهاد إلى يوم القيامة، فإن الإنسان ليعجب من أبنائها حين يفكر أحدهم بالإرتحال إلى غيرها من البلاد للسكن فيها لغير ما حاجة تدفعه إلى ذلك، أو عمل يرتزق منه، أو تعليم يتعلمه، والخير والبركة فيها عملاً وعلماً والحمد لله، فالممعن النظر يجد أن فرص العمل متوفرة فيها، لو أحسن المسؤولون استثمارها. والعلم بجميع جوانبه وأشكاله وأنواعه متوفر فيها، فحين نجد مثلاً في إطار العلم الشرعي على أرض الشام عشرات المعاهد الشرعية، وبضع عشرة كلية جامعية تمنح درجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية، ومثل ذلك في سائر العلوم الإنسانية والتطبيقية وغيرها، فإن أبناءها حين يفكرون بالارتحال عنها إلى غيرها يرتكبون بذلك جرماً عظيماً، لأن الأصل فيهم أن يكونوا عوامل جاذبة لقوى الخير في الأرض من أبناء المسلمين ليضعوا فيها استثماراتهم، لا أن يكونوا عوامل طاردة لهذه الطاقات، فليدركوا هذا جيداً، ويعلموا عظم مسؤوليتهم عند الله تعالى.

ح- أرض بلاد الشام أرض الحشد والرباط إلى يوم القيامة (قلب دار المؤمنين بالشام)

٢٠- من حديث سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه قال:

«كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله؟ أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها»

فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال:

(كذبوا، الآنَ الآنَ جاءَ القتالُ، ولا يزالُ من أمتي أمةٌ يقاتلون على الحق،

ويُزِيغُ اللهُ لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يُوحى إليّ أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني افتاداً، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين الشام)[٣٠].

٢١- من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

(سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض الزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير)[٣١].

٢٢- ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(لتكونن هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم إبراهيم ﷺ، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم، وتقذرهم روح الرحمن عز وجل، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تقيل حيث يقيلون، وتبيت حيث يبيتون، وما سقط منهم فلها)[٣٢].

إن الذي يمعن النظر في هذه النصوص التي أوردتها ليدرك تمام الإدراك، ويعي تمام الوعي، حقيقة هامة وهي أن أرض الشام الأرض المباركة المقدسة، هي أرض إسلامية إيمانية، رغم ما يغشاها أحياناً من التجاوزات والمعاصي، وتحكم الظلم، وعدوان الكفر، وسيطرة الجاهلية، وهذه الأرض هي أرض رباط دائم منذ الفتح الإسلامي الأول على يد الصحابة. وحتى قيام الساعة.

وهذه الأرض -فلسطين وما حولها- هي أرض جهاد حي مستمر على اختلاف الأزمان والقرون.

وهذه الأرض -فلسطين وما حولها- هي أرض حية ساخنة، لأنها أرض

التحدي القوي الحاد بين المسلمين وأعدائهم، وهي ميدان الصراع والعراك والحرب معهم، كما أنها هي أرض الحسم، حسم المعركة بين الحق والباطل، وبين المسلمين وأعدائهم، فعلى ثراها الطهور تتحطم مكائد وجيوش الكفر والبغي، ومن ثراها الطهور ترتفع أعلام النصر والتحرير.

ولهذا جعلها الله أرض الرباط والجهاد والتحدي والحسم، ولهذا فضلها الله على سائر البقاع والبلدان»[٣٣].

وتبرز لنا قضية مهمة من حديث سلمة بن نفيل رضي الله عنه أن النبي ﷺ ثار وغضب حين قيل له أنه انتهى الجهاد إلى غير رجعة، فأخبر أن الجهاد ماضٍ وأن الرباط مستمر، وأن طائفة الحق المنصورة التي تقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمته ستبقى موجودة إلى قيام الساعة، وأن الله تعالى سينصرهم على أعدائهم وسيرزقهم من أيدي أعدائهم الخير الكثير. وربط النبي ﷺ ذلك كله بسلامة قلب دار المؤمنين، وهي أرض الشام.

فالنبي ﷺ اعتبر بلاد الشام وأرض الشام هي عقر دار المؤمنين وقد فسر الإمام السيوطي هذا بقوله: «وعُقر دار المؤمنين الشام، قال في النهاية: عُقْر: بضم العين وبفتحها، أي أصلها وموضعها، كأنه أشار به إلى أنه عند وقت الفتن يكون الشام يومئذٍ آمناً منها، وأهل الإسلام به أسلم»[٣٤].

فإذا كان أصل الإيمان وموضعه بالشام، فإن ذلك يعطي أهمية بالغة لهذه البلاد، وكيف لا يكون لها هذه الأهمية وهي تتمتع بهذه المنزلة، فأصل الإيمان فيها، وموضع الإيمان فيها، ومعسكر الإيمان فيها، ومنزل الأمن والأمان فيها، وهي موضع رعاية الله وعنايته، فهنيئاً لك يا شام بما أعطاك الله تعالى من هذا الخير العظيم العميم. وبعد هذا كله فإنها ستبقى أرض الجهاد والرباط إلى يوم القيامة كما جاء على لسان الحبيب ﷺ.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث

بالردة التي تقع ممن أراد الله تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام، وأشار بقتل المرتدين، ثم بسكنى الشام إشارة منه إلى أن المقام بها رباط في سبيل الله تعالى، وإخباراً بأنها ثغر إلى يوم القيامة، وقد شاهدنا ذلك، فإن أطراف الشام ثغور على الدوام»

وزيادة في هذا الخير العظيم الذي منحه الله للشام فقد زادها خصلة أخرى من الخير، فجعل المقام بها أو الهجرة إليها للسكن والإقامة وتقوية المؤمنين فيها تعدل أجر المهاجرين إلى المدينة المنورة زمن النبي ﷺ، وجعل أهلها والمقيمين فيها من أهل الصلاح والخير، والذين يأتونها ويقيمون فيها من أهل الصلاح للمرابطة في هذه الأرض هم خير أهل الأرض بنص الحديث، حين قال النبي ﷺ (فخيار أهل الأرض الزمهم مهاجر إبراهيم).

ومهاجر إبراهيم كما هو معلوم إلى أرض بلاد الشام، واستقراره ووفاته في أرض بيت المقدس من فلسطين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقد أخبر أن خيار أهل الأرض الزمهم مهاجر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم هي الشام» إلى أن قال «وقد جعل مهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ، فإن الهجرة إلى مهاجره انقطعت بفتح مكة»[٣٥].

ولئن كانت الهجرة إلى مهاجر نبينا ﷺ انقطعت بفتح مكة، فإن الهجرة إلى مهاجر إبراهيم مفتوحة ودائمة إلى يوم القيامة، ولذلك فإن الله تعالى يُيَسِّرُ بين الفترة والأخرى ظرفاً، أو سبباً، يكون له أثره في هجرة جموع من المؤمنين الخيار إلى أرض الشام ليسكنوها ويقيموا بها، وهذا من توفيق الله لتلك الجموع بأن تقيم في هذه الأرض المباركة، وأما الذين يكره الله خروجهم إلى الشام للإقامة فيها فإن الله لا يوفقهم لذلك.

وهذا علم من أعلام نبوته ﷺ حين أخبر عن هذه الهجرات المتتابعة إلى

أرض الشام، ولعل هذا أن يكون سبباً من أسباب تحقيق التفوق للمسلمين في الأرض المباركة -الشام- حين تحين الفرصة للمؤمنين ليشفوا صدروهم، ويذهبوا غيظ قلوبهم من أعدائهم، فيحطموا تجمعات البغي التي يجمعها اليهود على أرض فلسطين أولاً، ثم يحطموا جيوش الغرب وتجمعاته التي تجلب على بلاد الشام بخيلها ورجالها، فيتحقق للشام كونها أرض الحسم وتقرير المصير لهذه التجمعات الحاقدة التي تريد أمة الإسلام بسوء والله يمنح من فضله لمن يشاء والعاقبة للمتقين.

ط- تكفل الله تعالى برعاية أهل الشام وحمايتهم

٢٣- من حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«ستجندون أجناداً، جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن»

قال عبد الله: فقمت فقلت: خر لي يا رسول الله!

فقال: (عليكم بالشام، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليستق من غدره، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله)

قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول:

«ومن تكفّل الله به فلا ضيعة عليه»[٣٦].

وقد جاء لفظ «فإن الله عز وجل قد تكفل -أو توكل- لي بالشام وأهله» من حديث العرباض بن سارية الذي سبق برقم (١٢) وحديث أبي الدرداء رقم (١٨) وحديث واثلة رقم (١٤).

إنني كلما ازددت إطلاعاً على فضائل الشام أزداد إدراكاً لأهميتها، والخيرية الممنوحة والمبثوثة في أرضها وأبنائها، وأزداد إدراكاً لمَ يهتم أعداؤها كل هذا الاهتمام بالسيطرة على أرضها، وتشتيت شمل أبنائها، ولذلك وجهوا إليها الجيوش لتدميرها وسحق أبنائها، ليسهل لهم السيطرة عليها، والعبث بأرجائها

ورحابها فساداً دون أن يخشوا شيئاً، فقد وجهوا إليها حملات صليبية متتالية وحشدوا فيها كل حاقد وحاسد وطامع في خيرها، واجتمع فيها كل عتل جواظ لا تعرف الرحمة طريقاً إلى قلبه، فأقاموا لأبنائها المذابح، وأرض الرها وأنطاكية، ولبنان، وفلسطين تشهد بذلك، وكان أعظم هذه الملاحم وأكثرها شراسة وبطشاً بالأبرياء والعلماء والصالحين من عباد الله من الرجال والنساء والأطفال على أرض بيت المقدس حين غاص الفرسان في دماء وجثث المسلمين إلى الركب، وبلغ تعداد من استشهد على أرضها أكثر من سبعين ألفاً، وهذا يبرز مدى العداء والحقد الذي يملأ قلوب أعداء الله على هذه الأمة.

وبالرغم من هذا البطش وهذا العنف فإن هذه الحملات الصليبية تحطمت على صخرة الإيمان الصلبة في أرض الشام، وعاد أعداؤنا يجرون أذيال الخيبة والفشل، حين استيقظت هذه الأمة من غفلتها المؤقتة، لترد هؤلاء الحاقدين وتحطم جموعهم، من خلال تمسكها بدينها، وسعيها لإعلاء كلمة ربها، فكانت معركة حطين قاضية على أحلامهم، وبداية النهاية لأطماعهم، على يد السلطان الصالح صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ومن كان معه من خيار عباد الله الذين هبوا لنصرة الإسلام وإعلاء رايته، وكانت النهاية عى يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون لينهي آخر آثار هذه الحملات الصليبية من على أرض بلاد الشام.

وجاءت بعد هذه الحملات وفي أثنائها أعتى حملة تعرض لها تاريخنا الإسلامي الماضي، وهي مجيء جموع التتار وجحافلهم بتحريض من الذين قاموا بحشد الحملات الصليبية، فعاث هؤلاء التتار في أرض المسلمين فساداً، وقتلاً، وتشريداً، وسقطت على أيديهم بغداد مقر الخلافة العباسية، وأقاموا مذابح لم يشهد التاريخ لها مثيلاً حين قتلوا في عاصمة الخلافة وحدها ما يزيد

على المليونين من البشر، ولكن شاء الله أن تتحطم جموعهم على أرض فلسطين على أيدي العباد المؤمنين الذين ساقهم الله تعالى من أقصى الأرض ليسكنوا أرض الشام فكانت معركة عين جالوت على أيدي المماليك الذين أتي بهم من أجل إظهار السلطان في ذلك الزمان بأعظم أبهة وعلو، فشاء الله أن يكونوا جنداً للإسلام ليحطم بهم جموع التتار على أرض فلسطين.

ولم ييأس أعداؤنا من الكيد لأرض الشام، ومحاولة السيطرة عليها، وتمزيق وحدتها وشملها، وزرع الأحقاد والضغائن بين أبنائها، ففي بداية هذا القرن غرسوا خنجراً مسموماً في قلب بلاد الشام من خلال وعد بلفور الذي أعطى فلسطين وأرضها لليهود كوطن قومي لهم، وسعى أعداؤنا لتحقيق هذا الوعد، فمنحوا كل التسهيلات من أجل هجرة اليهود إلى أرض فلسطين، وزودوهم بالأسلحة، ووفروا لهم الحماية والتدريب في معسكرات الجيش البريطاني في فلسطين، في الوقت الذي ضيقوا على أبناء فلسطين وأهلها من خلال حملات القمع والإرهاب والإعدام التي مورست في حقهم لمجرد الوشاية بأن أحدهم يملك قطعة سلاح يدافع بها عن أرضه وعرضه، وحين حانت الفرصة ورأى أعداء هذه الأمة من الانجليز أن الظروف قد تهيأت لليهود لإقامة وطنهم أعلنوا انسحابهم من أرض فلسطين عام ١٩٤٧، لتقوم بذلك تلك الدولة المسخ من أبناء القردة والخنازير على أرضنا، وليمدها سائر أعدائنا في الشرق والغرب بحبال التمكين وأسباب القوة والمنعة، ويعطوها من الأسلحة ما يحقق لها تقدماً نوعياً وتفوقاً على الدول العربية المجاورة لها، وتمتد بعدها لتلتهم البقية الباقية من أرض فلسطين عام ١٩٦٧.

ورغم كل هذا فإن الله الذي تكفل بالشام -ومن ضمنها فلسطين- وأبناء الشام رعاية وحفظاً وحماية، سيرد كيد هؤلاء الأعداء في نحورهم، ويجعل هذه الأرض مقبرة لليهود، كما كانت مقبرة لكل الغزاة الذين أرادوها بسوء،

وما الحملات الصليبية، والتتار منهم ببعيد، وليحقق على أيدي هؤلاء الخيار من أهلها موعود الله بالقضاء على اليهود، وإراحة البلاد والعباد في هذه الأرض، بل وكل بلاد الأرض من شرورهم وخبثهم وما ذلك على الله بعزيز.

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله: «وإخبار النبي ﷺ أن الشام في كفالة الله تعالى، وأن ساكنيه في كفالته، وكفالته حفظه وحمايته، ومن حاطه الله تعالى وحفظه فلا ضيعة عليه»[٣٧].

ويقول أيضاً: «هذه شهادة من رسول الله ﷺ باختيار الشام، وبفضلها، وباصطفائه ساكنيها، واختياره لقاطنيها، وقد رأينا بالمشاهدة، فإن من رأى صالحي أهل الشام، ونسبتهم إلى غيرهم، رأى بينهم من التفاوت ما يدل على اصطفائهم واجتبائهم»[٣٨].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، معلقاً على هذا الحديث: «ومن ذلك أنها خيرة الله في الأرض، وأن أهلها خيرة أهل الأرض»[٣٩].

وحين يتكفل الله تعالى بقوم رعاية، وحفظاً، وعناية، واصطفاءً، واختياراً، فهل يتطرق الشك إلى قلب إنسان مؤمن أن الله تعالى سيضيعهم، كلا وألف كلا، فالله القائل: «والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين»، ولكن السؤال الذي قد يتبادر إلى الأذهان، إذا كان أهل الشام، وأرض الشام، في كفالة الله تعالى فلماذا كل هذا الأذى الذي يلحق بالشام وأهلها؟

وجواب ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الله تعالى إذا أراد أن يصطفي ويختار ويفضل ويميز قوماً، فإنه يسوق الامتحان تلو الامتحان، والابتلاء تلو الابتلاء، ليختبر بذلك صبرهم وليرفع بذلك من درجاتهم، ويعلي بذلك مكانتهم وهو القائل في كتابه العزيز: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم» (محمد: آية ٣١) فهو سبحانه يبتلي المؤمنين ليعلم صدق إيمانهم، وليختار

منهم أهل الجهاد والفضل والخير، فلا ضير فيما يصيب أهل الشام من هذا الأذى والابتلاء، إذا كانت النتيجة ما سمعنا في كتاب الله من رفعة الدرجات والعاقبة للتقوى والمتقين.

الوجه الثاني: أن كل ما يصيب أهل الشام عامة من الأذى -وأهل فلسطين خاصة، من كيد الأعداء ومكرهم- وخاصة اليهود- في أيامنا، ومحاولاتهم الشرسة لردنا عن ديننا، وتحويلنا إلى الكفر، حسداً من عند أنفسهم كما قال الله تعالى: «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم، من بعد ما تبين لهم الحق» (البقرة: ١٠٩) لن يكون إلا مجرد أذى سطحي لن يصيب عقيدتنا وديننا.

فرغم كل الجهود المبذولة من أعدائنا -اليهود ومن والاهم من الصليبيين وغيرهم- والأموال الهائلة، والمخططات الماضية والمكائد الحاضرة والمشاريع المستقبلية، فإن كل هذا لن يفت في عضد المؤمنين الذين يسكنون أرض فلسطين وبلاد الشام، وهم يقرأون كتاب الله حين يقول: «لن يضروكم إلا أذى، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون» (آل عمران آية ١١١). وهم يدركون هذا الوعد القرآني الجازم، والحقيقة القرآنية القاطعة، أن كيد اليهود ومخططاتهم لن تنجح إلا في إيقاع الضرر والأذى السطحي بهم، وأما الأرواح ومحاولة إماتتها، والنفوس ومحاولة السيطرة عليها، والهمم ومحاولة قتلها، ووجودنا ومحاولة اجتثاثه، فإنهم مهما حاولوا كل محاولاتهم، وبذلوا جهودهم، للسيطرة على كل هذا، أملاً منهم في النفاذ إلى أعماقنا، للنيل من جهاد وصمود المؤمنين على هذه الأرض فلن يستطيعوا ذلك بفضل الله وعنايته وحفظه وكفالته، وإن كل هذه الجهود لم تسفر إلا عن بعض الأذى الذي يتقرب به المؤمنون إلى ربهم عز وجل، يطلبون به الأجر منه سبحانه وتعالى، والواقع يدل أعظم الدلالة على هذا الذي نقول، حين فشل أعداؤنا

من اليهود وأحلافهم من السيطرة على جهاد أبناء فلسطين في انتفاضتهم المباركة، فحاولوا الالتفاف على هذا الجهاد بمحاولاتهم الجديدة من خلال توقيع الاتفاقيات السلمية المخادعة لشعبنا عبر أناس باعوا أنفسهم للشيطان، فأعطوا لليهود صكاً شرعياً للسيطرة على أرض فلسطين. ولكن ورغم كل هذا فإن هناك حقيقة قرآنية ناصعة أخبرنا عنها ربنا عز وجل في قوله: «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد» (آل عمران: آية ١٢) هذه الحقيقة القرآنية، سيحققها الله تعالى على أيدي المؤمنين، بتوكله وتكفله بحفظهم ورعايتهم إنه على ما يشاء قدير.

ي- كثرة شهداء الشام وفضلهم عند الله

٢٤- من حديث أبي عسيب مولى النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ:

(أتاني جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون، فأمسكت الحمى في المدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، والطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجس على الكافرين)[٤٠].

٢٥- عن أبي المنيب أن معاذ بن جبل خطب بالشام فذكر الطاعون فقال: «إنها رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وقبض الصالحين قبلكم، اللهم ادخل على آل معاذ نصيبهم من هذه الرحمة».

ثم نزل من مقامه ذلك، فدخل على عبد الرحمن بن معاذ، فقال عبد الرحمن: «الحق من ربك فلا تكونن من الممترين».

فقال معاذ: «ستجدني إن شاء الله من الصابرين»[٤١].

٢٦- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:

(لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم الأعماق، أو بدابق، فيخرج اليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ...) إلى أن قال:

(.... فيقول المسلمون: لا، والله! لا نخلي بينكم وبين اخواننا،

فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً...)[٤٢].

٢٧- من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(ستهاجرون إلى الشام، فيفتح لكم، ويكون فيكم داء كالدمل، أو كالحزة، يأخذ بمراق الرجل يستشهد الله به أنفسهم، ويزكي بها أعمالهم)[٤٣].

- الحزة: وهي القطعة من اللحم وغيره، النهاية: (١/ ٣٧٧).
- مراق: ما سفل من البطن فما تحته من المواضع التي نزق جلودها. النهاية: (٢/ ٢٥٢).

يخبر النبي ﷺ في هذه الأحاديث أن الله تعالى أسكن الطاعون في بلاد الشام لحكمة معينة، هي أن يكثر شهداء هذه البلاد، ويرفع به درجاتهم، ويزكي أعمالهم، وسأجمل أهم الفوائد والخصال التي أعطيت لأهل الشام وشهداء بلاد الشام فيما يلي:

١- إسكان الطاعون في بلاد الشام شهادة لأهل الشام، حيث يكثر شهداؤهم، ولعل ذاكرتنا التاريخية تسجل أهم حدث لتكثير شهداء هذه البلاد المباركة في طاعون عمواس، حيث توفي على أثر هذا الحدث آلاف من خيار أصحاب رسول الله ومن تبعهم بإحسان، ومن أبرزهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، وغيرهم كثير.

٢- جعل الطاعون رحمة لأهل الشام حيث ترتفع درجاتهم بمغفرة ذنوبهم وراحة لهم من أعدائهم حيث جُعل رجزاً على الكافرين والمنافقين ممن يسكنون هذه البلاد المباركة.

٣- جعل الله تعالى الطاعون في بلاد الشام رحمة لأهل الشام، ودعوة من نبي الله ﷺ ليكون شهادة لأهل الشام، وهو المرض الذي كان يقبض به

الصالحون من عباد الله فيما مضى من الأزمان.

٤- جعل الله تعالى أفضل الشهداء عند الله تعالى هم شهداء أهل الشام، الذين يستشهدون في المعركة العظمى مع تجمعات المكر العالمي وقادته، الذين يأتون لحرب المسلمين في أرض الشام، وهذه ميزة عظيمة، وفضيلة كبرى حظي بها أهل الشام لم يحظ بها أحد من المسلمين في أي بقعة أخرى من أرض الإسلام.

ك: شبه أشجار الشام بشجر الجنة

٢٨- من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: «أفيها -يعني في الجنة- فاكهة؟

قال: (نعم وفيها شجرة تدعى طوبى وهي تطابق الفردوس)

فقال: أي شجرة أرضنا تشبهه؟

قال: (وليس من شجر أرضك بشيء يشبهه، ولكن هل أتيت الشام؟)

قال: لا يا رسول الله؟

قال: (فإنها تشبه شجرة بالشام يقال لها الجوزة تنبت على ساق واحد، ثم يتشر أعلاها).

قال: فما عظم أصلها؟

قال: (لو ركبت ناقتك لم تقطع أصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً)

.. وذكر بقية الحديث[٤٤].

ل: كون بيت المقدس من الأماكن الثلاثة التي تشد إليها الرحال

٢٩- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

ثلاث قالهن رسول الله ﷺ، أو سمعتهن منه أنقتني وأعجبتني:

(لا تسافر امرأة مسيرة يومين ولا ليلتين إلا ومعها ذو محرم أو زوجها، ولا صوم يومين، يوم النحر ويوم الفطر، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع

الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس.

ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا)[٤٥].

٣٠- من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى)[٤٦].

٣١- من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا)[٤٧].

وقد جاء هذا الحديث أيضاً من حديث عدد من الصحابة رضوان الله عليهم: منهم: حميل بن بصرة الغفاري: أخرجه أحمد في المسند، ومالك في الموطأ، والحميدي، والنسائي، والطحاوي في مشكل الآثار، والطبراني في الكبير والأوسط، والبخاري في التاريخ الكبير والصغير وغيرهم والحديث إسناده صحيح.

ومن حديث أبي الجعد الضمري: أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، والبزار. والطحاوي في مشكل الآثار، والطبراني في الكبير والأوسط، والمقدسي في فضائل بيت المقدس والحديث حسن.

م: مغفرة الذنوب بزيارة بيت المقدس

٣٢- من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(أن سليمان سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين، وأرجو أن يكون أعطاه الله الثالثة:

سأله أن يحكم بحكم يواطىء حكمه فأعطي.

وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه.

وساله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يُريد إلا الصلاة فيه، أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه)[٤٨].

ن: الصلاة في بيت المقدس بـ ٢٥٠ صلاة

٣٣- من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال:

«تذاكرنا -ونحن عند رسول الله ﷺ- أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟

فقال رسول الله ﷺ:

(صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً)[٤٩].

وكما هو ثابت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)[٥٠].

فالصلاة إذن في بيت المقدس تعدل مائتين وخمسين صلاة فيما سواه من المساجد، وليس كما جاء في أحاديث أخرى أن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة، أو ألف صلاة فيما سواه من المساجد، فكل ما ثبت في هذا الأمر من الأحاديث هو ما أوردته من حديث أبي ذر فقط أن الصلاة فيه تعدل مائتين وخمسين صلاة فقط، وعدا ذلك فلم يثبت عن النبي ﷺ شيء من الأحاديث فيه. وكل الأحاديث التي جاءت ضعيفة لا تقوم بها حجة.

وبهذا يثبت للشام فضيلة أخرى، وميزة أخرى، حيث أن بيت المقدس هو جزء من أرض الشام، فما يثبت لبيت المقدس من الفضل فهو لبلاد الشام، وما يثبت من الفضل لبلاد الشام فلبيت المقدس منه نصيب وافر والله أعلم.

س: ولنعم المصلى أرض المحشر والمنشر

٣٤- من حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي سبق قوله:

(.. صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو... وذكر الحديث».

وفي رواية (ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر)[٥١].

إن النبي ﷺ حين يفضل مكاناً من الأمكنة، فإنما يفعل ذلك بإلهام من الله سبحانه وتعالى، لأنه يزن بميزان الله سبحانه وتعالى، وهو تفاضل وتفضيل وفق حكمة الله الباهرة.

ونحن نرى النبي ﷺ يثني على أرض بيت المقدس، ويمدح الصلاة فيها، ويخبر أن أرضها أرض المحشر والمنشر نعم المصلى والمكان الذي يتوجه به إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة، وهذه الميزة لم تعط لأرض سوى هذه الأرض إلا أرض البيت الحرام، والمسجد النبوي.

وبعد كل هذه الأحاديث التي ذكرت في فضائل أرض الشام، فإن ما ذكرت ليس إلا باقة من الأحاديث المختارة التي ذكرها النبي ﷺ في هذه البقعة المباركة أبرز من خلالها الدور الحاسم الذي ستلعبه في تقرير التاريخ البشري بشكل عام، وهي ليست كل ما جاء من أحاديث في فضلها، فسيرد في ثنايا وسطور هذا الكتاب في الفصول اللاحقة مجموعة أخرى من الأحاديث تبرز فضائل وخصال مباركة لهذه الأرض المباركة المقدسة.

وكما بدأت هذا الفصل بعبارات جميلة لشيخ الإسلام ابن تيمية أبرز فيها أهم خصال وفضائل بلاد الشام، أختم هذا الفصل بعبارات أخرى جميلة لسلطان العلماء العز بن عبد السلام:

«فإذا كان الشام وأهله عند الله بهذه المنزلة، وكانوا في حراسته، وكفالته، ودلت الأدلة على أن دمشق خير بلاد الشام -يعني بعد بيت المقدس- فلذلك

أخبر السلف، وشاهد الخلف أن من ملك دمشق من ملوك الإسلام، فبسط على أهله الفضل، ونشر فيهم العدل، فإن النصر ينزل عليه من السماء، ومع ما يحصل له من الود في قلوب الأبرار، والأولياء والأخيار والعلماء، ومع ما يلقيه الله تعالى من الرعب في قلوب الأضداد والأعداء.

ومن عاملهم من ملوك الإسلام بخلاف ذلك، فأحل به شيئاً من الضراء، وأنزل بهم نوعاً من البأساء، وأخذهم بالجبروت والكبرياء، فإن الله تعالى لا يهمله، بل يعاجله باستلاب ملكه في حياته، أو بإلقائه في أنواع البلاء، وأبواب الشقاء، وذلك أنهم في كفالة رب الأرض والسماء، كما أخبر به خاتم الأنبياء...)[٥٢].

الهوامش

١- إشارة لقوله تعالى: «وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً» مريم آية: (٥٢).

٢- الطور آية: (١)

٣- سورة التين: الآيتان (١-٢).

٤- الحشر الآية (٢).

٥- إيلياء: هي القدس. وهو اسم أطلقه الرومان عليها.

٦- مناقب الشام وأهله ص(٧٣-٧٥).

٧- أخرجه الترمذي برقم (٣٩٥٤) وأحمد في المسند (٥/ ١٨٤) (٥/ ١٨٥)، والحاكم (٢/ ٢٢٩) والطبراني في الكبير برقم: (٤٩٣٣، ٤٩٣٤، ٤٩٣٥)، وابن حبان موارد: (٢٣١١)، إحسان: (٧٢٦٠)، وأحمد في الفضائل رقم: (١٧٢٨)، والفسوي في المعرفة والتاريخ: (٢/ ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٢) وابن أبي شيبة في المصنف: (١٢/ ١٩١-١٩٢) رقم: (١٢٥١٢)، وقال المنذري في الترغيب: (٤/ ٦٣) رواه ابن حبان في صحيحه، والطبراني بإسناد صحيح، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الهيثمي في المجمع: (١٠/ ٦٠) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، قلت: والحديث صحيح من طريق ابن حبان والطبراني.

٨- ترغيب أهل الإسلام ص(٣٤).

٩- قال الهيثمي في المجمع: (١٠/٥٨): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة، وعزاه الشيخ الألباني في فضائل الشام للربعي: ص٢٨، لابن عساكر (١/ ١٠١ - ١٠٢).

١٠- أخرجه الحاكم: (٤/ ٥٠٩)، وأبو نعيم في الحلية: (٥/ ٢٥٢)، وقال

الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع: (١٠/٥٨) رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد وفي أحدها ابن لهيعة وهو حسن الحديث وقد توبع على هذا وبقية رجاله رجال الصحيح، قلت: والحديث صحيح، وقد صححه الشيخ الألباني في فضائل الشام للربعي ص(١٣) حديث رقم (٣).

١١- أخرجه أحمد في المسند: (٥/١٩٨-١٩٩)، وفضائل الصحابة: (١٧١٧)، وأبو نعيم في الحلية: (٦/٩٨)، والبزار برقم (٣٣٣٢) كشف الأستار، وقال الهيثمي في المجمع: (٧/٢٨٩) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي وهو ثقة، وقال أيضاً في: (١٠/٥٧) رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح: قلت والحديث صحيح في إسناد أحمد اسحاق بن عيسى صدوق لكنه توبع من أبي توبة الربيع بن نافع وهو ثقة فصح الحديث بهذا.

١٢- ترغيب أهل الإسلام: ص(٣٠).

١٣- أخرجه الربعي في فضائل الشام برقم: (٤) صفحة: (١٤)، وقد جاء موقوفاً عن أبي ذر عند أحمد في المسند: (٦/٢٥٧)، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أقره على ذلك ولم ينكره عليه، فهو في حكم المرفوع وهو ضعيف، وقد صححه الشيخ الألباني لوروده من الطريقين ولشاهد من حديث ميمونة بنت سعد، قلت: وله شواهد من حديث عبد الله بن عمر، ومعاوية القشيري وسأوردها جميعاً بعده.

١٤- أخرجه أحمد في المسند (٦/٤٦٣)، وابن ماجة: (١٤٠٧)، وأبو يعلى برقم: (٧٠٨٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/٢٤٨، ٢٤٩) والطبراني في الكبير: (٢٥/٣٢-٣٣) رقم (٥٤-٥٦)، والمقدسي في فضائل بيت المقدس رقم: (١٧)، وقد روى أبو داود بعضه برقم

(٤٥٧) والبيهقي (٢/٤١) وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/١٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/٦-٧) روى أبو داود قطعة منه من حديث ميمونة مولاة النبي ورواه أبو يعلى بتمامه من حديث ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم، ورجاله ثقات، وقواه النووي في المجموع.

١٥- أخرجه أحمد في المسند: (٥/٣، ٥)، وفضائل الصحابة: (١٧١١) والترمذي رقم: (٢٤٢٤، ٣١٤٢)، والفسوي في تاريخه: (٢/٢٩٦)، والربعي في فضائل الشام رقم: (١٣)، والحاكم: (٤/٥٦٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح: وسنده قوي كما في تحفة الأحوذي: (٧/١١٠)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال مرة أخرى: حسن.

١٦- أخرجه إبراهيم بن طهمان في مشيخته: رقم: (٦٢)، والحاكم في المسند: (٤/٥٠٩) والمقدسي في فضائل بيت المقدس: رقم: (١٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/٢٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان: (٨/٨٣ رقم ٣٨٤٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة أحمد بن محمد بن عاصم الرازي (٧/٣٢٨)، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٤/٧) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، وقال المنذري في الترغيب (٢/٢١٧) رواه البيهقي بإسناد لا بأس به وفي متنه غرابة) وصححه الألباني في تحذير الساجد ص: (١٩٨).

١٧- أخرجه أحمد في المسند (٢/٨، ٥٣، ٦٩، ٩٩، ١١٩)، والترمذي برقم: (٢٢١٧)، وابن حبان كما في الموارد (٢٣١٢)، والفسوي: (٢/٣٠٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه أحمد شاكر في

تعليقه على المسند: (٤٥٣٦، ٥١٤٦، ٥٣٧٦، ٦٠٠٢)، وقال الهيثمي في المجمع: (١٠/ ٦١) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

١٨- ترغيب أهل الإسلام: ص(٢٨).

١٩- أخرجه أبو داود: (٢٣٨٣)، وأحمد في المسند: (٤/ ١٠٠، ١١٠) (٥/ ٣٣-٣٤، ٨٨) والحاكم: (٤/ ٥١٠)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٢/ ٣٥)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٧٠٧)، وابن المبارك في الجهاد: ص(١٥١)، والطبراني في الكبير: (٤/ ٢٧٥) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وأخرجه ابن حبان كما في الإحسان رقم: (٧٢٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٩) رجال ثقات، وقال في موطن آخر: (١٠/ ٥٨-٥٩) رواه أبو داود باختصار كثير، ورواه الطبراني من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة.

٢٠- أخرجه الطبراني في الكبير: (١٨/ ٢٥١) رقم: (٦٢٧)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٩) ورجاله ثقات.

٢١- أخرجه الطبراني في الكبير رقم: (٧٧١٨، ٧٧٢٣، ٧٧٩٦)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٩) وفيه عبد العزيز بن عبيد الله الحمصي وهو ضعيف، وقال أيضاً (١٠/ ٤٠٩) رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف فيهم، وقال الألباني في الصحيحة (١٩٠٩) رواه ابن عساكر عن طريق الطبراني ثم قال: قلت: لكن الحديث صحيح لغيره، له شاهد من حديث عبد الله بن حوالة، ولبعضه طرق صحيحة عن أبي إمامة عند الطبراني: (٧٧٨٠، ٧٥٢٠، ٧٥٢١، ٧٦٦٥، ٧٦٧٢).

٢٢- أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٥٨) رقم (١٣٧، ١٣٨) وفي مسند الشاميين رقم: (٣٣٨٢، ٣٣٨٣)، وقال الهيثمي في المجمع:

(١٠/ ٥٩) رواه الطبراني بأسانيد كلها ضعيفة، قلت: الحديث له شواهد، سبق بيانها في الأحاديث الماضية من حديث ابن حوالة، وأبي إمامة، والعرباض بن سارية، ولذا فقد حكم عليه الشيخ الألباني بالصحة في صحيح الجامع رقم (٣٩٤٩).

٢٣- أخرجه الطيالسي برقم: (١٠٧٦)، وأحمد في المسند: (٣/ ٤٣٦) (٥/ ٣٤، ٣٥): وفي فضائل الصحابة: (١٧٢٢)، والترمذي برقم: (٢١٩٢)، وابن ماجة رقم (٦) واقتصر على الجزء الثاني، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٧) وأخرج الطرف الأول منه ابن حبان كما في الإحسان (٧٢٥٨) موارد (٢٣١٣) وأبو نعيم في الحلية: (٧/ ٢٣٠) والطبراني (٢٠/ ٢٧) والفسوي في تاريخه: (٢/ ٢٩٥)، والخطيب في تاريخه (٨/ ٤١٧، ٤١٨) (١٠/ ١٨٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ١٩٠) رقم: (١٢٥٠٦) والحديث صحيح.

٢٤- أخرجه البخاري رقم: (٧٠٩٤)، والترمذي رقم: (٣٩٥٣)، والربعي في فضائل الشام، رقم:(٨)، وأحمد في المسند: (٢/ ١١٨، ١٢٦)، وفضائل الصحابة رقم: (١٧٢٤) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٣٣)، وابن حبان رقم: (٦٦٤٨، ٦٦٤٩، ٧٣٠١).

٢٥- أخرجه أحمد في المسند: (٢/ ٩٠)، والطبراني في الكبير: (١٢/ ٣٨٤) رقم: (١٣٤٢٢) وقال الهيثمي في المجمع: (١٠/ ٥٧) رواه الطبراني في الأوسط وأحمد ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن عطاء وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر، وقد صحح إسناده أحمد شاكر برقم: (٥٦٢٤) في تعليقه على المسند.

٢٦- ترغيب أهل الإسلام ص:(٣٤).

٢٧- رواه البزار برقم (٢٨٥١) (٣/ ٣٥٣) كشف، وقال الهيثمي في

المجمع: (١٠/٥٨) رواه البزار والطبراني، وقال: فليلحق وليست من غدره: وفيهما سليمان بن عقبة وقد وثقه جماعة وفيه خلاف لا يضر، وبقية رجاله ثقات. وللحديث شواهد يرقى بها إلى الصحة منها حديث عبد الله بن حوالة رقم (١١)، والعرباض بن سارية رقم: (١٢).

٢٨- أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٤٩) وفي سنده عبد الصمد وهو صدوق وأبو المثنى ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، والحديث صحيح لشواهده: ومنها حديث واثلة الذي أوردته برقم (١٤) ومن حديث ابن عمر الذي أخرجه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد (١٠/٦١).

٢٩- ترغيب أهل الإسلام ص(٢٨).

٣٠- أخرجه النسائي: (٦/٢١٥ - ٢١٦) حديث رقم: (٣٥٦١)، وأحمد في المسند: (٤/١٠٤) وابن سعد في الطبقات: (٧/٤٢٧-٤٢٨)، والطبراني في الكبير (٧/٦٠-٦١) رقم (٦٣٥٨، ٦٣٥٩، ٦٣٦٠)، وقال الهيثمي في المجمع: (١٠/٦٠) رواه الطبراني ورجاله ثقات، قلت: والحديث إسناده صحيح.

٣١- أخرجه أبو داود برقم (٢٤٨٢) وفيه شهر بن حوشب ضعيف من قبل حفظه، ولكن له طريق أخرى عند الحاكم (٤/٥٤٠) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ولم يخرج له مسلم، فالحديث قوي بمجموع الطريقين، كما قال الشيخ الألباني في تعليقه على فضائل الشام للربعي ص(٧٩)، قلت: الحديث صحيح لشاهده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي يأتي بعده مباشرة.

٣٢- أخرجه أحمد في المسند (٢/٨٤) وفي إسناده يحيى بن أبي حية

ضعيف لكثرة تدليسه، وقد عنعنه، ولكن الحديث أخرجه ابن عساكر (١/١٥١-١٥٢) من طريق أخرى عن ابن عمر ورجاله ثقات كما قال الشيخ الألباني في تعليقه على فضائل الشام للربعي ص(٨٠).

٣٣- من مقال للدكتور صلاح الخالدي بعنوان فلسطين أرض الرباط والجهاد والحسم/ مجلة فلسطين المسلمة شهر آب ١٩٩٣

٣٤- شرح السيوطي على النسائي (٦/٢١٥).

٣٥- مناقب الشام وأهله لابن تيمية ص(٨٠).

٣٦- سبق تخريجه برقم (١١).

٣٧- ترغيب أهل الإسلام ص(٢٨).

٣٨- ترغيب أهل الإسلام: ص(٣٣).

٣٩- مناقب الشام وأهله: ص(٧٨).

٤٠- أخرجه أحمد في المسند: (٥/٨١)، وابن سعد في الطبقات: (٧/٦١)، وبحشل في تاريخ واسط: ص(٤٣)، والطبراني في الكبير: (٢٢/٣٩١) رقم (٩٧٤)، والدولابي في الكنى والأسماء: (١/٤٤، ٨٥)، (٢/١٤١) وابن حبان في الثقات: (٥/٣٩٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة: (٢/٣٩٣) رقم (١٠١٦)، وقال الهيثمي في المجمع: (٢/٣١٠) رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد ثقات، قلت: والحديث صحيح.

٤١- أخرجه أحمد في المسند: (٥/٢٤٠)، والطبراني في الكبير: (٢٠/١٢١) رقم (٢٤٣)، وقال الهيثمي في المجمع: (٢/٣١١)، ورجال أحمد ثقات وسنده متصل.

٤٢- أخرجه مسلم برقم (٢٨٩٧)، وابن حبان كما في الإحسان (٦٧٧٤).

٤٣- أخرجه أحمد في المسند: (٥/٢٤١) وقال الهيثمي في المجمع

(٢/ ٣١١): رواه أحمد وإسماعيل بن عبيد الله لم يدرك معاذاً، قلت: لكن إسماعيل قد توبع، فقد تابعه كثير بن مرة الحضرمي: وأخرجه الطبراني في الكبير: (٢٠/ ١١٤) (حديث ٢٢٥) وفي مسند الشاميين برقم (٣٥٢٧) وابن عساكر في تاريخ دمشق: (١/ ٣٨٢، ٥٥٨، ٥٥٨-٥٥٩) وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٣٧) في ترجمة الحسن بن يحيى الخشني، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣١٤) وفيه الحسن بن يحيى الخشني وثقه دحيم وغيره، وضعفه النسائي وغيره؛ قلت: رجال إسناد الطبراني بين ثقة وصدوق، والحسن بن يحيى الخشني ضعفه الدار قطني والنسائي ووثقه دحيم وابن معين وابن عدي وقواه أبو حاتم، وقال ابن حجر: صدوق كثير الخطأ؛ انظر ميزان الاعتدال: (١/ ٥٢٥) وتهذيب الكمال (٦/ ٣٣٩) وتقريب التهذيب: (١/ ١٧٢) فالحديث حسن بهذه المتابعة.

٤٤- أخرجه أحمد في المسند: (٤/ ١٨٣-١٨٤) والطبري في التفسير: (١٣/ ١٤٩)، والطبراني في الكبير: (١٧/ ١٢٦-١٢٧) برقم (٣١٢)، والأوسط رقم: (٤٠٤)، وابن عبد البر في التمهيد: (٣/ ٣٢٠، ٣٢١) والفسوي في المعرفة والتاريخ: (٢/ ٣٤١-٣٤٢)، والبيهقي في البعث: (٢٧٤)، وابن حبان كما في الموارد (٢٦٢٦، ٢٦٢٧)، وأبو نعيم في صفة الجنة برقم: (٣٤٦)، وهو حديث صحيح لغيره.

٤٥- أخرجه البخاري برقم: (١١٩٧، ١٨٦٤، ١٩٩٥)، ومسلم برقم: (٨٢٧)، والترمذي برقم: (٣٢٦)، وابن ماجة برقم: (١٤١٠)، والحميدي برقم: (٧٥٠)، وابن أبي شيبه في المصنف: (٢/ ٣٧٤) (٤/ ٦٦) وأحمد في المسند: (٣/ ٧، ٣٤، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٩٣).

٤٦- أخرجه البخاري برقم: (١١٨٩)، ومسلم برقم: (١٣٩٧)، وأبو داود رقم: (٢٠٣٢)، النسائي: (٢/ ٣٧)، وابن ماجه برقم:(١٤٠٩)، والحميدي رقم: (٩٤٣)، وعبدالرزاق (٩١٣٢)، وابن أبي شيبه: (٤/ ٦٥، ٦٧)، وأحمد في المسند: (٢/ ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٧٨، ٥٠١).

٤٧- أخرجه ابن ماجة رقم: (١٤١٠)، والفسوي في التاريخ: (٢/ ٢٩٥)، والفاكهي في أخبار مكة: (٢/ ٩٩) رقم (١٢٠٧)، والطحاوي في مشكل الآثار: (١/ ٢٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين: (٢/ ٣٠٩) رقم (١٤٠٠)، والحديث صحيح رجاله ثقات عند ابن ماجة.

٤٨- أخرجه النسائي: (٢/ ٣٤) رقم (٦٩٣)، وابن ماجة حديث رقم: (١٤٠٨)، وأحمد في المسند: (٢/ ١٧٦)، وابن حبان برقم: (١٦٣٣)، والحاكم: (١/ ٣٠ - ٣١) (٢/ ٤٢٤) والمقدسي في فضائل بيت المقدس رقم: (٤٩)، والفسوي في المعرفة والتاريخ: (٢/ ٢٩٣) (٢/ ٢٩١) والخطيب في الرحلة في طلب الحديث رقم: (٤٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم: (٦٦٤٤)، قلت: والحديث صحيح.

٤٩- سبق تخريجه برقم:(٩).

٥٠- أخرجه البخاري برقم: (١١٩٠)، ومسلم برقم:(١٣٩٤)، ومالك في الموطأ: (١/ ١٩٦)

٥١- سبق تخريجه رقم:(٩).

٥٢- ترغيب أهل الإسلام.

الفصل الثاني

الأرض المقدسة في الماضي

فلسطين وبلاد الشام في الماضي

تعتبر فلسطين من أقدس البقاع الإسلامية مكانة في العالم، ففيها المسجد الأقصى مسرى النبي صلى الله عليه وسلم وأول قبلة للمسلمين، وثالث المساجد مكانة ومنزلة في الإسلام بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، ويسن شد الرحال إليه وزيارته.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)[1]

والصلاة في المسجد الأقصى وعلى أرض الشام قد أثنى النبي ﷺ عليها وذكرها بخير فمن ذلك قوله : (فنعم المصلى أرض المحشر والمنشر)، وقد أخبر أن الصلاة فيه تعدل مائتان وخمسون صلاة فيما سواه من المساجد.

وتعتبر فلسطين وبلاد الشام أرض الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ومبعثهم فعلى أرضها عاش ابراهيم، واسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وسليمان، وداود، وصالح، وزكريا، ويحيى، وعيسى، عليهم السلام، وعلى أرضها استقر ابراهيم الخليل عليه السلام بعد أن هاجر من أرض العراق، وعلى أرضها حدثت معظم الأحداث مع هؤلاء الأنبياء الكرام الذين بعثهم الله واصطفاهم، وخصهم بتنزيل الوحي، وتبليغ أوامره إلى الخلق.

ومن على هذه الأرض عرج نبينا محمد ﷺ إلى السماء، بعد أن أسري به إليها من البيت الحرام، قال تعالى «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»[2]

وإليها توجه خيار هذه الأمة في أول عهد الدعوة الإسلامية التي جاء بها نبي الله محمد ﷺ في صلاتهم، حتى شاء الله تبارك وتعالى أن يتحولوا إلى البيت الحرام، قال تعالى «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع

الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم»[٣]

وفيها وضع الله البركة والقداسة، والعفاف والطهر، والفضيلة والخير، وبها تكفل حماية ورعاية وعناية وحفظاً، قال الله تعالى على لسان موسى «ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين»[٤]

وقد قال أكثر أهل العلم وتأويل القرآن إلى أن الأرض المقدسة هي المنطقة الواقعة بين نهر الفرات والنيل، ويقول الإمام الطبري بعد أن ذكر اختلاف أهل التأويل في الأرض المقدسة :

«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال هي الأرض المقدسة كما قال نبي الله موسى ﷺ، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات، وعريش مصر، لإجماع أهل التأويل والسير، والعلماء، بالإخبار على ذلك»[٥]

وقد ذكرت في المقدمة التعريفية تحديداً للأرض المقدسة فلينظر هناك.

وهنا لا بد لي من أن أفصل بعض الشيء حول تاريخ هذه الأرض المباركة من خلال ما سأورده في هذا الفصل من الأحاديث الصحيحة التي ذكرت أبرز الأحداث التي وقعت على هذه الأرض المباركة فيما سلف من الأزمان، حتى يدرك كل عاقل متدبر للأمور أهمية هذه الأرض لنا معاشر أبناء أمة الإسلام، ومدى عظم المسؤولية الملقاة على عاتق أبناء هذه الأرض خاصة، وأبناء أمة الإسلام عامة، في المحافظة عليها طاهرة من كل دنس يهودي، أو صليبي، وحمايتها من كل خطر قد يتهددها.

وفيما يلي تفصيل لأهم الأحداث، مكتفياً بإيراد الحديث الصحيح الذي له

علاقة بالحدث، وموردا توجيهاً بسيطاً للحديث باتجاه الحدث والله المستعان :

أ - بلاد الشام هي مهاجر ابراهيم عليه السلام

٣٥- من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال :

(سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر ابراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير)[٦]

٣٦- ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(لتكونَنَّ هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم ابراهيم ﷺ، ... وذكر الحديث)[٧] ومعلوم أن ابراهيم عليه السلام إنما نجاه الله تعالى من أهل العراق، ووجهه هو ولوط عليهما السلام إلى فلسطين من أرض الشام ليستقرا عليها، ويقيما فيها، وقد استقر ابراهيم عليه السلام في منطقة بيت المقدس من الأرض المباركة، بينما وجه الله نبيه لوطاً عليه السلام إلى الشرق من بيت المقدس، ليكون نبياً عند القوم القاطنين شرق فلسطين، والذين عرفوا فيما بعد بقوم لوط.

فبلاد الشام ومنها فلسطين وبيت المقدس هي موطن هجرة ابراهيم الخليل عليه السلام، وفيها توفي ودفن ﷺ في مدينة الخليل من أرض فلسطين.

ب - بيت المقدس - المسجد الأقصى - ثاني مسجد بني على الأرض

٣٧- من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال :

قلت : يارسول الله ! أيُّ مسجدٍ وضع في الأرضِ أوّلاً ؟

قال : (المسجد الحرام).

قلت : ثم أيٌّ؟

قال : (المسجد الأقصى).

قلت : كم بَينهُما؟

قال : (أربعون سنةً، وأينمَا أدركتكَ الصَّلاة فصلِّ فإنه مسجدٌ).[٨]

أخبرنا الله تعالى في القرآن أن «الكعبة» هي أول بيت بني لله ولعبادته، وأول مسجد في الأرض، قال تعالى «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة، مباركاً وهدى للعالمين»[٩]

وأخبرنا الله أن ابراهيم واسماعيل -عليهما السلام- هما اللذان بنيا الكعبة بيت الله الحرام، قال تعالى «وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم»[١٠]

فابراهيم عليه السلام هو باني الكعبة، أول مسجد في الأرض، والمسجد الأقصى في بيت المقدس هو ثاني مسجد بني على الأرض بنص حديث أبي ذر رضي الله عنه، ويقرر النبي ﷺ المدة الزمنية بين بناء الكعبة وبناء المسجد الأقصى بأنها أربعون سنة، وهذا يعني أن ابراهيم عليه السلام هو باني المسجد الأقصى في بيت المقدس.

بنى ابراهيم الكعبة، ثم عاد إلى موطنه في بيت المقدس، وهناك أمره الله ببناء ثاني بيت لله، وهو المسجد الأقصى، وكون ابراهيم عليه السلام هو باني أول مسجدين في الأرض، يوضح كونه إمام هدى، وامة دعوة.

ليس غريباً إذن، ولا مستبعداً أن يبني ابراهيم المسجد الأقصى بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة، وفي هذا إبطال لحجج ومزاعم اليهود حول القدس، وحقهم فيها، وحرصهم على إعادة هيكل سليمان على انقاض المسجد الأقصى.[١١]

جـ- دعوة سليمان عليه السلام بأن يغفر الله لمن صلى في بيت المقدس

٣٨- من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

- (إن سليمان سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين، وأرجو أن يكون أعطاه الثالثة : . . . .) إلى أن قال (. . . . . وسأله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يريد إلا الصلاة فيه أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه)[١٢]

ومن هذا يتبين لنا مدى ما لبيت المقدس من منزلة في قلب كل نبي من الأنبياء، فسليمان عليه السلام حين سأل الله تعالى أن يخص بيت المقدس بإحدى المسائل الثلاث التي دعا الله عز وجل أن يعطيه إياها، وقد أعطاه الله ذلك وعطاء الله سبحانه متصف بالكمال ولذا فالرجاء المذكور في الحديث متحقق إن شاء الله تعالى.

د - خطبة يحيى بن زكريا عليه السلام في بيت المقدس

٣٩- من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

- (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن، وإن عيسى إبن مريم قال له : إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل بهن، وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم؟

قال : إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب أو يخسف بي .

قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس على الشرفات، قال : فوعظهم : قال :

إن الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن : أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، قال : هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إلي، فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً.

- وآمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وآمركم بالصيام، وإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة فيها مسك، ومعه عصابة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك.

وآمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال : فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفك نفسه منهم.

وآمركم بذكر الله كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا-يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله).

وقال رسول الله ﷺ :

(وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن : الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله : فمن فارق الجماعة قيد شبر خلع الإسلام من رأسه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم) قيل : وإن صام وصلى.

قال : (وإن صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله)[١٣]

هـ - رؤيا أم النبي محمد ﷺ قصور الشام عند ولادته

٤٠- من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :

«قلت : يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟»

قال : (دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي نوراً أضاءت منها قصور الشام)[١٤]

٤١- من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته،

وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم)[١٥]

٤٢- من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال :

«إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال : كيف كان أول شأنك يارسول الله؟»

قال : (كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا، ولم نأخذ معنا زاد ....)

إلى أن قال (.... فرحّلت بعيراً لها، فجعلتني أو فحملتني على الرحل، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي.

فقالت : أو أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت، فلم يرعها ذلك، فقالت لها : رأيت خرج مني نوراً ، أضاءت منه قصور الشام)[١٦]

إن لهذه الرؤيا من والدة النبي ﷺ دلالة عميقة، فحيث كانت بداية أمره في مكة، فإن تمام أمره سيكون في بلاد الشام حيث رأت أمه قصور الشام من خلال النور والضوء الذي رأته عند ولادته، فإن أول أمر النبي ومبعثه ونزول الوحي عليه كان هناك في مكة، وإن مهاجره إلى المدينة المنورة، وإن تمام أمره وعمود ملكه سيكون في الشام حيث رأت أمه قصور الشام، وحيث كان نبي الله ﷺ يتطلع بنظره لتلتقي دعوته عليه السلام وتتصل بمقر دعوات إخوانه من الأنبياء الذين تنزل الوحي عليهم في أرض بلاد الشام وبيت المقدس، وهكذا كان إبتداءً من رحلة الإسراء والمعراج إلى دعاء النبي لأهلها لتقبل قلوبهم على هذا الدين، وحتى يتم الله هذا الأمر على يد المهدي عليه السلام من أهل بيته الكرام.

و - الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس

٤٣- من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال :

«أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدثهم بمسيره،

وبغلامة بيت المقدس وبعيرهم، فقال ناس : نحن لا نصدق محمداً فارتدوا كفاراً، فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل»[١٧]

٤٤- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

(لما كان ليلة أُسراء بي وأصبحت بمكة فظعت بأمري وعرفت أن الناس مكذبي).

قال : فقعد رسول الله ﷺ معتزلاً حزيناً، فمر به أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء؟

قال : (نعم) قال : وما هو؟ قال : (إني أسري بي الليلة).

قال : إلى أين قال : (إلى بيت المقدس).

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال : (نعم).

قال : فلم يُرِه أنَّه يُكذبُه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه، وقال له : أتحدث قومك ما حدثتني إن دعوتهم إليك؟

قال : (نعم) . قال : هيا يا معشر بني كعب.

قال : قال : فنقضت المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما فقال : حدث قومك ما حدثتني.

قال رسول الله ﷺ : (إني أُسري بي الليلة).

قالوا : إلى أين؟ . قال : (إلى بيت المقدس).

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ . قال : (نعم).

قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه مستضحكاً لما زعم، فقالوا : أتستطيع أن تنعت لنا المسجد؟

قال رسول الله ﷺ : (فذهبت أنعت لهم، فما زلت أنعت وأنعت حتى إلتبس علي النعت.

قال : فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وُضع دون دار عقيل أو دار عقال.

قال : فنعته وأنا أنظر إليه، فقال القوم : أما النعت فقد -والله- أصاب)[١٨]

٤٥- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

«إن رسول الله ﷺ أُتي بالبراق، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره حتى منتهى طرفه.

قال : (فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين، ثم خرجت . . .) وذكر الحديث»[١٩].

٤٦- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

(لما كذبني قريش قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه).[٢٠]

شاء الله الحكيم سبحانه أن يكون الإسراء برسول الله محمد ﷺ من المسجد الحرام في مكة، إلى المسجد الأقصى في القدس، وأن يريه هناك في المسجد الأقصى ما يريه من آياته، وأن يكون معراجه من المسجد الأقصى إلى السموات العلا، وأن يريه هناك ما يريه من آياته.

وهذه الآيات الربانية التي أراها الله لرسوله محمد ﷺ، ليست له وحده، ولا خاصة به، وإنما هي للأمة المسلمة من بعده، على اختلاف أجيالها.

فقد وصل رسول الله ﷺ بيت المقدس، وأتى المسجد الأقصى، وربط البراق الدابة بالحلقة التي على باب المسجد الأقصى، والتي كان الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام، يربطون بها دوابهم، التي يركبونها عند قدومهم المسجد الأقصى للصلاة فيه.

وهذا الفعل من رسول الله ﷺ، والإخبار عن فعل الأنبياء السابقين دليل على الأصالة التاريخية للمسجد الأقصى، وأنه كان مبنياً على هذه البقعة

المباركة من بيت المقدس قبل مئات أو آلاف السنين.

وقد سبق أن ذكرنا في موضع سابق أن المسجد الأقصى بني في بيت المقدس قبل أن يخلق الله بني إسرائيل، وقبل أن يأتي أبوهم إسرائيل، وهو يعقوب عليه السلام. واعتمدنا على حديث رسول الله ﷺ الصحيح في أن أول المساجد بني أولاً هو المسجد الحرام في مكة، والثاني هو المسجد الأقصى في بيت المقدس. والمدة الزمنية بينهما هي أربعون سنة، فإذا كان ابراهيم عليه السلام هو باني المسجد الحرام في مكة، فيكون هو الذي بنى المسجد الأقصى بعد ذلك بأربعين سنة.

ونعلم تاريخياً أن المسجد الأقصى قد عدت عليه العوادي، وتأثر بالمتغيرات، وهدم بناؤه فيما بعد،ولم يكن ليلة الإسراء مسجداً قائما متكاملاً، وإنما كانت أساساته موجودة، وبعض أعمدته وأطلاله باقية، ومنها تلك الحلقة التي ربط بها رسول الله ﷺ البراق ليلة الإسراء، وقد سمى الله هذه الأطلال والأعمدة والأساسات مسجداً، وإن لم يكن بناءً قائماً حيث قال : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»، على اعتبار ما كان، واعتبار ما سيكون.

فقد كان مسجداً قائماً من قبل، واستمر مسجده قائماً مئات أو آلاف السنين، وكان يأتيه الأنبياء السابقون على دوابهم للصلاة فيه، حيث أتاه ابراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، وسيعود في المستقبل مسجداً قائماً، عندما ترثه أمة محمد ﷺ وتطهره من استعمار الرومان، ورجس اليهود.

وهذ ما حصل في الفتوحات الإسلامية، ثم جدد بناءه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ولقد دخل رسول الله ﷺ الأقصى، بعد أن ربط البراق على حلقة الباب فصلى فيه ركعتين، وهذا دليل على أصالة هذه المسجد، وعلى تخصيصه للصلاة ولعبادة الله سبحانه.[٢١]

ز - إمامة النبي ﷺ للأنبياء في بيت المقدس في الصلاة

٤٧- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي إلى بيت المقدس، يسألوني عن أشياء من بيت المقدس، فكربت كرباً ما كُربتُ مثله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه، فما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، ورأيتني في جماعة من الأنبياء، فرأيت موسى قائماً يصلي، رجل جعد كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى قائماً يصلي أشبه الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، ورأيت ابراهيم ﷺ قائما يصلي أشبه الناس بصاحبكم -يعني النبي ﷺ- وحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من صلاتي، قيل : يا محمد، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت لأسلم عليه فبدأني بالسلام)[٢٢]

٤٨- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال :

(ليلة أسري بنبي الله ﷺ ودخل الجنة . . .) إلى أن قال : (. . . فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي، فالتفت ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه)[٢٣]

وقد تظافرت الروايات على أنه ﷺ صلى بالأنبياء في بيت المقدس، وسواء صلى بهم قبل عروجه إلى السماء أو بعد العروج، فالمهم أن الصلاة في بيت المقدس أثبتها الجمهور من الصحابة.

«وقد جمع الله الأنبياء والرسل السابقين لمحمد ﷺ في تلك الليلة، في المسجد الأقصى، ومنهم أنبياء ورسل بني إسرائيل، فأمهم في الصلاة أي صلى هو بهم إماماً، وصلوا هم خلفه مأمومين!!.

وجمعهم هذا جمع غيبي، لا نعرف كيف جرى، وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية، لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا، والتحقوا بالرفيق الأعلى، فهم في حساب البشر أموات.

ولكنهم عند الله أحياء، حياة خاصة غيبية، كما أراد الله سبحانه، ثم إن صلاتهم في المسجد الأقصى مأمومين خلف رسول الله ﷺ، يقدم لنا بعض الدلالات :

منها : إعتراف هؤلاء الرسل بفضل ومنزلة رسول الله ﷺ، ومكانته عند الله، وتسليم منهم أنه أفضل الخلق وأكرمهم، وأقربهم إلى الله سبحانه، فهو إمام الخلق أجمعين، وإمام الأنبياء والمرسلين، في السير في طريق الله، وفي القرب من الله.

ومنها : إعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين، بختم النبوة والرسالة بنبوة ورسالة محمد ﷺ، فلا وحي بعده، ولا نبي يأتي بعده، ولا رسالة بعد رسالته، وهو اعتراف منهم أيضاً بنسخ رسالتهم برسالته، ونسخ كتبهم بكتابه، فلا عمل بالتوراة أو الزبور أو الإنجيل، بعد إنزال الله للقرآن.

ومنها : دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين -بخاصة أنبياء بني إسرائيل- لأقوامهم وأتباعهم بالدخول في الإسلام، والإيمان بالقرآن، واتباع محمد ﷺ، والتخلي عما كانوا عليه من اليهودية أو النصرانية، إن أرادوا القبول عند الله، ودخول جنة الله.

فإن لم يستجيبوا له، ولم يدخلوا في دينه، فهم كفار ضالون، مخلدون في النار، وإن إدّعوا أنهم على طريق ابراهيم أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام.

ومنها : تسليم هؤلاء الأنبياء والمرسلين «مفاتيح» الأرض المقدسة إلى محمد ﷺ وأمته.

فمعظم هؤلاء عاشوا على الأرض المقدسة، وكان هو المسؤول عنها، الراعي لها، الخليفة عليها، وأنوار رسالته ونبوته انتشرت عليها، وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة تتابع على الأرض المقدسة، إلى أن ختمت

هذه الحلقات بنبوة رسالة محمد ﷺ، الدائمة حتى قيام الساعة.

وفي ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلموا محمد ﷺ المسؤولية والخلافة، والأمانة والعهد، وأوكلوا له -ولأمته من بعده- مهمة الأرض المقدسة، ورعايتها وحمايتها، والخلافة عن الله فيها، واستمرار الإيمان عليها، حتى قيام الساعة.

لقد سلم الأنبياء السابقون -ومنهم أنبياء بني إسرائيل- مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد ﷺ ليلة الإسراء، أعلنوا بذلك عن انتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى، وانتهاء مسؤولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة، وتحويل هذه الخلافة والمسؤولية لأمة محمد ﷺ، وانتقال الاشراف على الأرض المقدسة، إلى هذه الأمة، واستمرار هذه المسؤولية فيها حتى قيام الساعة.

وجعل الصلاة ميداناً ومجالاً لهذا الإنتقال، وجواً مناسباً للتسلم والتسليم، حيث محمد ﷺ هو الإمام، والأنبياء خلفه مأمومون مسلمون له، يعطي دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة ووجوب تعمقه في أمة الإمامة والخلافة، التي تناط بها مسؤولية الإشراف على الأرض المقدسة.

إن الأقوام السابقين من اليهود والنصارى ليسوا مصلين لله صدقاً، ولا عابدين له حقاً، ولذلك انتزع الله منهم هذه الخلافة والإمامة، وجعلها في أمة العبادة والصلاة، وتسلم رسولها محمد ﷺ هذه المهمة والمسؤولية من إخوانه الأنبياء في الصلاة!

ومنها : أن رسول الله ﷺ كان أول فاتح للأرض المقدسة، ليلة الإسراء، وهذا منه عهد لأمته من بعده، بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عملياً، بعد أن فتحها هو نظرياً، وتسلم مفاتيحها من إخوانه الأنبياء، وهذه بشرى لأمته منه، بأنها ستفتح هذه الأرض المقدسة، وتنشر فيه الإسلام، وتحقق فيها الخلافة

الربانية الراشدة، ولقد حققت هذه الأمة هذا الأمر بعد محمد ﷺ، وفهمت منه هذا الإيحاء، وأخذت عنه هذه الإشارة»[٢٤]

ح - قبلة المسلمين الأولى إلى الشام - بيت المقدس

٤٩- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال :

«أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده -أو قال أخواله- من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون.

فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول لله ﷺ قبل مكة فداروا -كما هم- قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت، أنكروا ذلك».

قال زهير حدثنا إسحاق، عن البراء في حديثه هذا : أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندري ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى : «وما كان الله ليضيع إيمانكم».[٢٥]

٥٠- من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :

«بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، جاءهم آت، فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة، وأمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[٢٦]

٥١- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

«أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولّينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام».

فمر رجل ، وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى : إلا إن

القبلة قد حولت، ألا إن القبلة قد حولت إلى الكعبة، فمالوا كما هم نحو القبلة».[٢٧]

٥٢- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال :

«كان رسول الله ﷺ يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ثم صرف إلى الكعبة».[٢٨]

من خلال هذه الأحاديث يتبين لنا مدى الأهمية التي تتمتع بها بلاد الشام -ومن ضمنها بيت المقدس- حيث أنها القبلة الأولى للمسلمين وعلى أرضها يقوم المسجد الأقصى الذي أسري إليه محمد ﷺ، فصلى فيه بالأنبياء إماماً، ثم عرج به إلى السماء، وهذا يلقي حملاً وعبئاً ثقيلاً على كواهل أبناء أمة الإسلام في حماية بيت المقدس وإبقائه طاهراً من رجس اليهود ودنسهم، فهل قامت أمة الإسلام في عصرنا بهذه المهمة، الناظر المدقق يرى كم قرطت هذه الأمة ممثلة بشعوبها وحكوماتها في القيام بهذه المهمة، فإلى الله المشتكى والله المستعان.

ط - تبشير النبي ﷺ بفتح بلاد الشام وبيت المقدس

٥٣- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال :

لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال :

(بسم الله)، فضربها ضربة فكسر ثلثها، وقال :

(الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة)

ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر فقال :

(الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض)

ثم ضرب الثالثة، وقال :

(بسم الله) فقطع بقية الحجر فقال :

(الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة).[٢٩]

٥٤- من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال :

«أتيت رسول الله ﷺ وهو في بناء له، فسلمت عليه فقال :

(عوف؟)، قلت : نعم يا رسول الله! قال (ادخل).

قلت : كلي أم بعضي؟ قال : (بل كلك) قال : فقال لي : (أعدد عوف! ستاً بين يدي الساعة؛ أولهن موتي).

قال : فاستبكيت حتى جعل رسول الله ﷺ يسكتني.

قال : (قل إحدى ، والثانية فتح بيت المقدس، قل : إثنين. والثالثة : فتنة تكون في أمتي، وعظمها.

والرابعة : موتان يقع في أمتي يأخذهم كقُعَاصِ الغَنَم.

والخامسة : يفيض المال فيكم فيضاً حتى إن الرجل ليعطى المائة دينار فيظل يسخطها، قل : خمساً.

والسادسة : هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، يسيرون إليكم على ثمانين راية،تحت كل راية إثنا عشر ألفاً،فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها : الغوطة، فيها مدينة ويقال لها دمشق» اللفظ لأحمد.[٣٠]

قُعاص الغَنَم : قال ابن الأثير : داء يأخذ الغَنَم، لا يُلبثها أن تموت.

٥٥- من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال :

(ست من أشراط الساعة : موتي، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذ الناس كقُعَاصِ الغنم، وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها، وأن تغدر الروم فيسيرون في ثمانين بنداً، تحت كل بند إثنا عشر ألفاً)[٣١]

٥٦- من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :

(إن الله استقبل بي الشام، وولى ظهري اليمن، وقال لي : يا محمد : إني جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقاً، وخلف ظهرك مدداً.

ولا يزال الإسلام يزيد، وينقص الشرك وأهله، حتى تسير المرأتان لا تخشيان إلا جوراً.

والذي نفسي بيده، لا تذهب الأيام والليالي حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم)[٣٢]

٥٧- من حديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

(تفتح اليمن، فيأتي قوم يُسُّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق، فيأتي قوم يسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)[٣٣]

وفي لفظ للإمام أحمد في المسند ـ . . . (ويوشك الشام أن يفتح فيأتيه رجال من أهل هذا البلد، فيعجبهم ريفه ورخاؤه، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. . .)[٣٤]

● يسون : يدعون الناس إلى بلاد الخصب.

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر، وإن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع أبناءها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة في كل زمان ومكان، وهي التي تبرهن على أنه لا يجوز اليأس في تحقيق السيادة للمسلمين في دين الله، وهي التي تُبقي لأمة الإسلام أصالتها في المحافظة على العزة والقوة والكيان -مهما أصابها من كوارث وأحداث!!

والذي يغرس الأمل بالنصر هو وجود قيادة مؤمنة، راسخة العقيدة قوية الإيمان بوعد الله ونصره، شديدة التمسك بتعاليم الإسلام، وآدابه وأخلاقه، مجردة من كل أنانية وعصبية جاهلية.

ولقد كان رسول الله ﷺ يبث الأمل في نفوس أصحابه، في الوقت الذي كانت تتزلزل فيه قلوب أعظم الرجال، من شدة ما يرى من الأحداث الجسام، فمنذ بداية بعثته ﷺ وهو يبعث الأمل في قلوب أصحابه بأن الله تعالى سيتم أمر هذا الدين ويعلي كلمته، وينشر فكرته، فهو قد أخبر خباب بن الأرت رضي الله عنه أن الظعينة ستسير بين حضرموت وصنعاء لا تخشى إلا الله، في فترة كان خباب وأصحابه أحوج ما يكونون إلى رفع الأذى الذي ينزل بهم على أيدي كفار قريش.

وهو الذي بشّر سراقة بأنه سيلبس سواري كسرى بن هرمز في أثناء رحلة هجرته عليه الصلاة والسلام، في الوقت الذي كان لا يملك شيئاً، بل ويطارده فرسان قريش وصناديد العرب في ذلك الزمان.

وغير هذا كثير لا يتسع هذا المقام لذكر كثير من هذه المبشرات التي تحدث عنها رسول الله ﷺ.

وقد اشتملت أحاديث النبي ﷺ بفتح الشام وبيت المقدس والتي ذكرتها في هذا الموضع على النقاط البارزة التالية :

١- بث روح الأمل في تمام أمر هذا الدين في نفوس الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهذا ينزع من القلوب اليأس والقنوط الذي يحاول الأعداء زرعه فيها من أن هذا الدين لا يصلح لكل زمان ومكان.

٢- كلما ضاقت الحلقات واشتدت الأمور، واحلولكت الظلمة، كلما قرب الفرج، واقترب طلوع الفجر المشرق، وعلو كلمة هذا الدين مرة أخرى، فأشد اللحظات ظلمة في الليل هي الأقرب إلى طلوع الفجر الصادق، وفي

ذلك يقول الشاعر :

ولرب حالكة يضيـــق به الفتى ذرعاً وعند الله فيهـــا المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فـرجت وكنت أظنهـا لا تفـرج

وهذا ما وضحه النبي ﷺ يوم أن بشر أصحابه بفتح الشام واليمن والعراق، وهم محاصرون بالأحزاب من كل جانب، والقلوب قد بلغت الحناجر، وتزلزلت الأقدام، وخاف الشجعان، واشتد الكرب عليهم، وليس هناك أكثر وضوحاً وبياناً من قول الله تعالى وهو يصف حالة المؤمنين يوم الأحزاب :

«إذ جـاؤكم من فـوقكم ومن أسـفل منكم، وإذ زاغت الأبصـار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا» (الأحزاب آية : ١٠-١٢).

فقد وصفت هذه الآيات الحالة التي وصل الناس إليها في عهد رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، وهي حالة مهولة مخيفة مفزعة، حتى ظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض بالله الظنونا، وكذبوا بوعد الله ورسوله.

ولكن أصحاب الإيمان الراسخ، والعقيدة المتينة، الذين صدقوا بوعد الله ورسوله كانوا مؤمنين بأن ما أخبرهم النبي ﷺ به سيحققه الله تعالى إن عاجلا أم آجلاً، ولذلك ازدادوا يقيناً على يقينهم، وإيماناً على إيمانهم وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

«ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً» (الأحزاب آية : ٢٢).

ولذلك فإن ما نراه اليوم من تكالب الأعداء علينا في جميع بقاع الأرض الإسلامية، وما يلاقيه الدعاة إلى الله من التنكيل والتعذيب، والتضييق على حرياتهم، وما يحدث لكثير من الشعوب الإسلامية من المذابح والمجازر على

أيدي أعدائنا، في فلسطين أو في البوسنة و الهرسك أو بورما أو كشمير أو غيرها من البلاد الإسلامية، ما هو إلا عملية مخاض تقدم فيها الكثير من التضحيات حتى يبزغ الفجر الجديد الصادق في علو كلمة هذ الدين وتمام أمره. ولهذا فلن يتطرق اليأس إلى قلوبنا بتحقيق هذا الوعد لأن اليأس قرين الكفر والعياذ بالله.

٣- إخبار النبي ﷺ أن الإسلام في زيادة دائمة، وعلو مطرد، وأن الشرك وأهله في نقص دائم، وهبوط مستمر، وأن الله سبحانه سيبلغ بهذا الدين مبلغ النجم، وهذا يعني أن الإسلام سيعم الأرض بكاملها لأن النجم يرى في بقاع الأرض كلها، وهذا لم يتحقق بعد، وفي هذا بشرى للمسلمين في أيامنا أن الله تعالى سيحقق على أيديهم من الخير لهذا الدين، ما حقق على يدي أسلافهم الأوائل يوم أن أوصلوا رسالة الإسلام إلى الكثير من بقاع الأرض المعروفة في ذلك الزمان.

وقد يقول قائل كيف سيحصل هذا ونحن نرى الضعف والذل والهوان الذي يعيشه المسلمون في هذه الأيام، فنقول إن الله تعالى قادر على أن يجعل من الضعف قوة، ومن الذل عزة، ومن الهوان كرامة ومجداً، إن أخلص أبناء هذه الأمة نياتهم، وصدقوا في القيام بواجبهم تجاه ربهم ودينهم وعقيدتهم. وهذا ما حصل مع أسلافهم الصحابة الكرام، فقد كان العرب في الجزيرة ممزقين تمزيقاً شديداً، كل قبيلة تغير على الأخرى وتبطش بها، يأكل القوي الضعيف، لا يؤبه لهم لتفرقهم، ولا ينتبه لهم سادة ذلك الزمان من الأكاسرة والقياصرة، فتبدل حالهم ببعثة محمد ﷺ فاجتمعوا بعد تفرقهم، واتحدوا بعد تمزقهم، وتحابوا بعد العداء والبغضاء، وانطلقوا يحملون مشاعل الهدى والخير إلى الأمم من حولهم، وعلم الله صدقهم فوطأ لهم أكناف الأرض مشرقها ومغربها، ودانت لهم البلاد، وعم خيرهم العباد، لأن الأمر كله لله، بيده

مقاليد الأمور وتصريفها، وبيده الميزان يرفع به أقواماً ويخفض به آخرين.

٤- إخبار النبي ﷺ عن خصوبة أرض الشام، وكثرة خيراتها، وجمال أرضها، وهذه مواصفات جيدة لأرض يتوقع لها أن تكون مقراً لعسكر الإيمان عند الفتن، ودرعاً حصيناً تدافع عن الإسلام، في وقت يتكالب فيه الكل على حرب هذا الدين، ففي خصوبة أرضها، وكثرة خيراتها عون لأبنائها في الصبر على كيد الأعداء حين يحاصرونها محاولين تضييق الخناق على أبنائها حتى يتنازلوا عن مبادئ دينهم وعقيدتهم، ويسلموا أرضهم وأوطانهم لهم.

ي - دعاء النبي ﷺ للشام بالبركة

٥٨- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال :

ذكر النبي ﷺ وقال :

(اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا).

قالوا وفي نجدنا؟

قال : (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا)

قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا. فأظنه قال في الثالثة : (هناك الزلازل والفتن وفيها يطلع الشيطان).[٣٥]

قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : «لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنى باليمن، دل على تفضيل الشام على اليمن، مع ما أثنى به على أهل اليمن في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم».[٣٦]

وهذا الحديث يدل على أفضلية بلاد الشام وموضع القلب فيها فلسطين وبيت المقدس وقد علقت على هذا الحديث في فصل سابق.

ن - دعاء النبي ﷺ لأهلها

٥٩- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

سمعت رسول الله ﷺ يوماً، ونظر إلى الشام فقال :

(اللهم أقبل بقلوبهم).

ونظر إلى العراق، قال : نحو ذلك، ونظر مثل ذلك إلى كل الأفق ففعل ذلك، وقال :

(اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض، وبارك لنا في مُدنا وصاعنا)[٣٧]

٦٠- من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال :

نظر رسول الله ﷺ قِبلَ اليمن فقال : (اللهم أقبل بقلوبهم).

ونظر قبل العراق فقال : (اللهم أقبل بقلوبهم)

ونظر قبل الشام فقال : (اللهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا في صاعنا ومدنا)[٣٨]

٦١- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

أن النبي ﷺ نظر قبل العراق والشام واليمن، فقال :

(اللهم أقبل بقلوبهم على طاعتك، وحُطْ عَمنْ وراءهم)[٣٩]

لقد دعا النبي ﷺ لأهل اليمن والشام والعراق بالهداية وإقبال قلوبهم على الإسلام. والإقبال عكس الإدبار. ويعني السرعة في التوجه للإيمان والدخول في الإسلام، والتمسك بتعاليمه، حتى يكونوا بعد ذلك جنوداً يحمون هذا الدين، ويقومون على حراسته.

ولقد تحقق هذا الإقبال -ببركة دعاء النبي ﷺ- مع أول مراحل إنتشار هذا الدين، وقد نال قصب السبق في هذا الإقبال أهل اليمن، فما مات النبي ﷺ حتى قرت عينه بإسلام أهل اليمن ودخولهم في هذا الدين. ثم تبعهم أهل الشام -الأرض المقدسة- في نيل بركة هذا الدعاء من النبي ﷺ. فقد برز اهتمام النبي ﷺ بالأرض المقدسة، يوم أن وجه جيش مؤتة إلى الأرض المقدسة، ثم اتجه بنفسه إلى حدود هذه الأرض في غزوة تبوك، فعقد صكوك الأمان لبعض أمرائها، ووجه جيش أسامة في آخر حياته إلى الأرض المقدسة،

وذلك ليشعر أصحابه وأتباع هذا الدين بالأهمية البالغة التي يوليها لهذه الأرض المقدسة كونها موطناً لأقدام إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً، وإرثاً ربانياً أعطيه يوم أن صلى بالأنبياء إماماً على أرضها في بيت المقدس.

وبعد وفاته فهم أصحابه هذه الرسالة التي وجهها إليهم عليه الصلاة والسلام. فكان من أولى اهتمامات الخليفة الراشد أبي بكر الصديق أن يهتم بالأرض المقدسة، فأنفذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى الأرض المقدسة رغم حاجته الماسة لكل جندي من هذا الجيش لمحاربة المرتدين الذين كانوا يهددون عاصمة الخلافة في المدينة المنورة، ثم إرساله الجيوش إلى الأرض المقدسة بعد قضائه على حركة المرتدين لفتح الأرض المقدسة وقد حقق الله عز وجل على يديه هو والخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب هذا الأمر. فقد برز اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بالأرض المقدسة حين إتجه بنفسه ليتسلم مفاتيح بيت المقدس من بطريركها صفرو نيوس. ولتطوى إلى الأبد صفحة الشرك والكفر عن أرضها وما يحيط بها، وليدخل أهل الشام في الإسلام طائعين لتصبح الأرض المقدسة المعقل الحصين الذي يدافع عن حمى الإسلام، وليزداد بعد ذلك الاهتمام عبر العصور المختلفة بهذه الأرض لأنها تشكل رأس الحربة في صدور أعداء المسلمين، وليتجه الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان إلى تحصينها وعمارتها والاهتمام بها، ويمتد هذا عبر الخلافة الأموية التي اتخذت من الأرض المقدسة مقراً لها، ومروراً بالخلافة العباسية وما جاء بعدها من الممالك والسلطنات.

الهوامش

١- سبق تخريجه من حديث جماعة من الصحابة في الفصل الأول.

٢- سورة الاسراء : آية (١).

٣- سورة البقرة : آية (١٤٣).

٤- المائدة : آية (٢١).

٥- تفسير الطبري : (٦/ ١٧٣).

٦- سبق تخريجه رقم : (٢١).

٧- سبق تخريجه رقم : (٢٢).

٨- أخرجه البخاري برقم :(٣٣٦٦، ٣٤٢٥)، ومسلم برقم : (٥٢٠)، والطيالسي برقم : (٤٦٢)، والحميدي برقم :(١٣٤)، وابن ماجة برقم : (٧٥٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ١١٦)، والنسائي : (٢/ ٣٢)، وابن خزيمة برقم : (١٢٩٠)، والبيهقي في السنن : (٢/ ٤٣٣)، وفي الدلائل: (٢/ ٤٣)، والطحاوي في مشكل الآثار : (١/ ٣٢)، والمقدسي في فضائل بيت المقدس رقم :(٤٧)، وأحمد في المسند : (٥/ ١٥، ٥٧، ١٦٠، ١٦٦, ١٦٧)، والطبراني في الأوائل: (١٠٤)، والأزرقي في فضائل مكة : (٢/ ٦٢, ٦٣).

٩- سورة آل عمران آية (٩٦).

١٠- سورة البقرة : آية (١٢٧).

١١- حقائق قرآنية للدكتور صلاح الخالدي ص (٤٩-٥٠) بتصرف، ولمزيد من التفاصيل أنظرص (٤٤-٥٣).

١٢- سبق تخريجه رقم :(٣٢).

١٣- أخرجه الترمذي (٢٨٦٣-٢٨٦٤) والطيالسي برقم (٢١٤٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٦٠)، وابن سعد في الطبقات

(٤/ ٢/ ٧٦)، وأبو يعلي برقم :(١٥٧١)، والآجري في الشريعة : ص(٨)والطبراني في الكبير (٣٤٢٨, ٣٤٣٠, ٣٤٢٧)، وابن حبان (٦٢٣٣)، وابن خزيمة برقم: (٩٣٠, ١١٨٥)، وعبد الرازق برقم: (٢٠٧٠٩)، وأحمد في المسند: (٤/ ١٣٠, ٢٠٢)، والحاكم : (١/ ١١٧, ٢٣٦, ٤٢١)، وصححه ووافقه الذهبي وقال الترمذي حسن صحيح غريب. قلت : إسناد الحديث صحيح.

١٤- أخرجه أحمد: (٥/ ٢٦٢)، والطيالسي برقم : (١١٤٠)، والطبراني في الكبير برقم :(٧٧٢٩)، وابن سعد (١/ ١٠٢)، والبيهقي في الدلائل : (١/ ٨٤)، وقال الهيثمي في المجمع : (٨/ ٢٢٢)، رواه أحمد وإسناده حسن، وله شواهد تقويه.

ومن هذه الشواهد حديث خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أخرجه الحاكم : (٢/ ٦٠٠)، والبيهقي في الدلائل : (١/ ٨٤)، والطبري برقم : (٢٠٧٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال إبن كثير في البداية : (٢/ ٢٥٦) وهذا إسناد جيد قوي، قلت الحديث حسن لشواهده.

١٥- أخرجه أحمد : (٤/ ١٢٧, ١٢٨). والطبراني في الكبير : (١٨/ ٢٥٢)، البيهقي في الدلائل : (١/ ٨٠، ٢/ ١٣٠)، والآجري في الشريعة : ص ٤٢، والبخاري في التاريخ الكبير : (٦/ ٦٨)، والبزار في الكشف : (٣/ ١١٢-١١٣)، رقم : (٢٣٦٥)، والحاكم : (٢/ ٦٠٠)، وقال الهيثمي في المجمع : (٨/ ٢٢٣) رواه أحمد والطبراني بنحوه، والبزار وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، ووثقه إبن حبان قلت : والحديث صحيح لغيره منها الحديث السابق عن أبي أمامة، وبعض أصحاب النبي، وحديث ميسرة

أخرجه أحمد : (٥/٥٩)، والحاكم : (٢/٦٠٨، ٦٠٩)، والبيهقي في الدلائل : (١/ ٨٤، ٨٥) وقال الهيثمي في المجمع : (٨/ ٢٢٣) ورجاله رجال الصحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

١٦- أخرجه أحمد في المسند : (٤/ ١٨٤-١٨٥)، والدرامي : (١/ ٨-٩)، والحاكم في المستدرك : (٢/ ٦١٦-٦١٧)، والطبراني في الكبير : (١٧/ ١٣١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع : (٨/ ٢٢٢) وقال : أسناد أحمد حسن.

قلت : والحديث صحيح لغيره ولشواهده التي سبقت في الحديثين السابقين.

١٧- أخرجه أحمد في المسند : (١/ ٣٧٤) مطولا، وأبو يعلى رقم : (٢٧٢٠)، والطبري في تهذيب الآثار مسند عبد الله بن عباس رقم : ١٧(١/ ص٤٠٨)، والنسائي في الكبرى -أنظر تحفة الأشراف رقم :(٦٢٣٧)، وقال الهيثمي في المجمع:(١/ ٦٦-٦٧): رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن هلال بن خباب، قال يحيى القطان، أنه تغير قبل موته، وقال يحيى بن معين : لم يتغير ولم يختلط ثقة مأمون، ورواه أبويعلي، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند رقم : (٣٥٤٦)، وإبن كثير في التفسير : (٣/ ١٥-١٦)

قلت : الحديث صحيح.

١٨- أخرجه أحمد في المسند : (١/ ٣٠٩)، والطبراني في الكبير برقم : (١٢٧١٢)، والنسائي في الكبرى أنظر تحفة الأشراف : (٥٤٣٠)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٦٥) رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم: (٢٨٢٠)، وزاد السيوطي عزوه في الدر:

(٤/ ١٥٥)، لإبن أبي شيبة وإبن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والضياء في المختارة إبن عساكر وقال : بسند صحيح.

١٩- أخرجه البخاري برقم :(٧٥١٧)، ومسلم برقم :(١٦٢)، والترمذي برقم :٣١٥٧، وأبو عوانة في المسند :(١/ ١٢٦)، وأحمد في المسند: (٣/ ١٤٨، ٢٦٠)، والنسائي في السنن :(١/ ٢٢١-٢٢٣) رقم :(٤٥٠).

٢٠- أخرجه البخاري برقم :(٢٨٨٦، ٤٧١٠)، مسلم برقم :(١٧٠) والترمذي برقم :(٣١٣٢)، وعبد الرزاق :(٥/ ٣٢٩)، وأحمد في المسند: (٣/ ٣٧٧-٣٧٨).

٢١- من مقالة الدكتور صلاح الخالدي بعنوان الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة من مجلة "فلسطين المسلمة" عدد أيلول ١٩٩٣.

٢٢- أخرجه مسلم برقم : (١٧٢)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٢٨٤، ١١٤٨٠) بنداري.

٢٣- أخرجه أحمد في المسند :(١/ ٢٥٧) وصححه أحمد شاكر تعليقه على المسند رقم: (٢٣٢٤)، وإبن كثير في التفسير : (٣/ ١٤)، وقال : إسناد صحيح ولم يخرجوه وصححه إبن حجر في الفتح (٧/ ٢٠٩).

٢٤- مجلة "فلسطين المسلمة" عدد ٩ / سنة ١١/ أيلول ١٩٩٣ من مقال للدكتور صلاح الخالدي بعنوان الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة.

٢٥- أخرجه البخاري برقم :(٤٠، ٣٩٩، ٤٤٨٦، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢)، ومسلم برقم :(٥٢٥)، والترمذي برقم : (٣٤٠، ٢٩٦٢)، وإبن ماجة برقم : (١٠١٠)، والطيالسي رقم : (٧١٩)، وأحمد في المسند : (٤/ ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٠٤)، وأبو عوانة : (١/ ٣٩٣)، وإبن أبي شيبة : (١/ ٣٣٤)، وإبن سعد : (١/ ٢/ ٥٠٤)، وإبن الجارود رقم : (١٦٥)، وإبن حبان كما في الإحسان : (١٧١٦)، الدارقطني في السنن :

(١/ ٢٧٣-٢٧٤)، والبيهقي : (٢/ ٣٢٢) والنسائي : (١/ ٢٤٢-٢٤٣).

٢٦- أخرجه البخاري رقم : (٤٠٣، ٤٤٨٨، ٤٤٩٠، ٤٤٩١، ٤٤٩٣، ٤٤٩٤، ٧٢٥١)، ومسلم برقم : (٥٢٦)، وأحمد : (٢/ ١٦، ٢٦، ١٠٥، ١١٣)، والنسائي : (١/ ٢٤٤)، والدرامي: (١/ ٢٨١)، مالك : (١/ ١٩٥)، الشافعي في المسند رقم : (١٩١)، والأم : (٢/ ١١٣)، وابن أبي شيبة : (١/ ٣٣٥). والترمذي برقم : (٣٤١)، وأبو عوانة : (١/ ٣٩٤)، البيهقي في السنن : (٢/ ٢، ١١).

٢٧- أخرجه مسلم برقم : (٥٢٧)، أحمد في المسند : (٣/ ٣٨٤).

٢٨- أخرجه الترمذي برقم : (٢٩٦٤)، والطيالسي برقم : (١٩٢٤)، الحاكم في المستدرك : (٢/ ٢٦٩)، وأحمد في المسند : (١/ ٣٢٥)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع : (٢/ ١٢)، رواه أحمد والطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم :(٢٩٩٣)، وزاد السيوطي عزوه في الدر المنثور : (١/ ١٤٢)، لابن أبي شيبة وأبي داود في ناسخه والنحاس والبيهقي.

٢٩- أخرجه أحمد في المسند : (٤/ ٣٠٣)، والنسائي : (٦/ ٤٣-٤٤)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤١٧-٤١٨)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح: (٧/ ٣٩٧)، وقد خرجته بشواهده في صحيح السيره برقم :(٤٢٧).

٣٠- أخرجه البخاري رقم : (٣١٧٦)، وأبو داود برقم :(٤٢٩٣)، وابن ماجة: (٤٠٤٢، ٤٠٩٥)، وأحمد في المسند : (٦/ ٢٢، ٢٥، ٢٧)، المقدسي في فضائل بيت المقدس حديث رقم : (٤١)، والربعي في فضائل الشام رقم : (٣٠)، والطبراني في الكبير : (١٨/ ٤٢)،

والبيهقي في السنن : (١٠/ ١٥٥، ٩/ ٢٢٣)، وفي الدلائل (٦/ ٣٢٠-٣٢١)، وابن منده في الإيمان رقم : (٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠)، وابن حبان في الإحسان رقم : (٦٦٤٠).

٣١- أخرجه أحمد في المسند : (٥/ ٢٢٨)، والطبراني في الكبير : (٢٠/ ١٢٢) برقم :(٢٤٤)، وبرقم : (٣٦٨)، وقال الهيثمي في المجمع : (٧/ ٣٢٢) وفيه النهاس بن قهم وهو ضعيف، قلت : وفيه أيضاً شداد أبو عمار لم يدرك معاذ، لكن للحديث شواهد من حديث عوف بن مالك الذي سبق قبله، ومن حديث عبد الله بن عمرو أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٧٤)، وفيه ضعف لضعف أبي جناب الكلبي، وقال الهيثمي في المجمع، (٧/ ٣٢١-٣٢٢)، رواه أحمد والطبراني وفيه أبو جناب الكلبي، وهو مدلس وقد صحح الحديث الشيخ الألباني في الصحيحة حديث رقم :(١٨٨٣).

٣٢- أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٠٧-١٠٨) والطبراني في الكبير (٨/ ١٧٠- ١٧١) رقم (٧٦٤٢) والحديث صحيح لشواهده وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم : (٣٥)، وصحيح الجامع برقم : (١٧١٢).

٣٣- أخرجه البخاري برقم : (١٨٧٥)، ومسلم برقم : (١٣٨٨)، ومالك في الموطأ : (٢/ ٨٨٧-٨٨٨)، وعبد الرزاق في المصنف : (٩/ ٢٦٥) برقم: (١٧١٥٩). والحميدي برقم : (٨٦٥)، وأحمد في المسند :(٥/ ٢٢٠)، والنسائي في الكبرى كما في التحفة : (٤/ ١٩)، والجندي في فضائل المدينة برقم :(٣٦)، والطبراني في الكبير من رقم : (٦٤٠٧ -٦٤١٣) والبيهقي في الدلائل : (٦/ ٣٣٠).

٣٤- أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢١٩-٢٢٠)، وبعض هذه الرواية في

الصحيحين وله شواهد أيضاً فالحديث صحيح.

٣٥- سبق تخريجه برقم (١٦) وانظر رواياته رقم (١٧، ١٨).

٣٦- ترغيب أهل الإسلام ص (٣٤).

٣٧- أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٤٢)، البخاري في الأدب المفرد (١/ ٥٧٤) رقم (٤٨٥)، والبزار كما في كشف الأستار (٢/ ٢٥١) رقم : (١١٨٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٠٤)، رواه أحمد والبزار وإسناده حسن قلت : الحديث حسن الإسناد كما قال الهيثمي، والمتن صحيح بمجموعة طرقه.

٣٨- أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٨٥)، وفضائل الصحابة (٢/ ٨٦١) رقم: (١٦٠٧)، والترمذي رقم : (٣٩٣٠) -طبعة الدعاس- والطبراني في الكبير رقم : (٤٧٨٩، ٤٧٩٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٣٦)، والحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

٣٩- أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٢٧٣) رقم : (١٧٣)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٣٦)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٧)، رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير علي بن بحر بن بري وهو ثقة، وإسناد الحديث صحيح، ويشهد له الحديثين السابقين.

الفصل الثالث

الأرض المقدسة في الحاضر والمستقبل

إن المستقبل مجهول للإنسان، وكل ما يستطيع أن يتصوره الإنسان بالنسبة للمستقبل هو من باب التوقعات التي تعتمد على المقدمات المؤدية للنتائج، وحتى في هذه فمهما أوتي الإنسان من صدق الحدس، وقوة الإدراك، فإن كلامه يبقى من باب التوقعات التي يمكن ألا تقع، أما في حالة وجود المقدمات التي تؤدي إلى النتائج. فالمسألة تبقى من باب التخرصات أو التوهمات، ووقوعها في هذه الحالة من قبيل المصادفات، وعدم وقوعها هو الأصل، لقد تنبأ اليهودي الشيوعي الخبيث «ماركس» أن الثورة الشيوعية ستكون في ألمانيا وإنكلترا، وكان يستبعد أن تقوم في روسيا، فكانت في روسيا لملابسات خاصة ولم تكن في ألمانيا أو إنكلترا.

وليس كلامنا هنا إلا في حالة التصديق الكامل من الواقع للنبوءة الثابتة، فليس كلامنا إذاً في التوقعات، وليس كلامنا في التكهنات التي يكذب الواقع عشرات منها، وليس كلامنا في النبوءات المدعاة التي يُدعى أنها قيلت قبل وقوع مضمونها، والحقيقة أنها قيلت بعده، وليس كلامنا في أمر بيت فتنبأ بوقوعه بعض من بيته، وليس كلامنا في إنسان تحققت بعض نبوءته وكذب الواقع بعضها، وليس كلامنا في نبوءة كانت عن رؤيا منام أو ما يشبه رؤيا المنام، وليس كلامنا في نبوءة صدرت عن تابع نبي صديق فكانت كرامة له بإتباعه لهذا النبي.

وإنما كلامنا في إخبار عن المستقبل المجهول، عن رجل يقول عن نفسه إنه رسول، ويتحقق هذا المستقبل تحققاً تاماً لا يخرم منه شيء، فتلك إذاً نبوة لا شك فيها وإتصال بالله عالم الغيب والشهادة.

وبعد فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين عامة، ولأمة الإسلام خاصة ووصفه ربه عز وجل في كتابه العظيم بقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)

(التوبة : ١٢٨)، وقد برزت رحمته ﷺ بأمته فحدثها وحذرها مواطن السقوط والزلل، وامتد حرصه على أمته أن حدثها بما ينفعها على طول زمانها وأمكنتها بالتمكين، والتفهيم، والتحذير، والإرشاد، والتنبيه لمواطن البلاء، وأزمانها، وما سيحدث ويحصل لها إلى قيام الساعة.

ولقد جاء حديث رسول الله ﷺ عن جوانب كثيرة من مستقبل الأمة من باب التحذير والإعذار، وبيان الداء والدواء، وهذا حقل من الغيب أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ زيادة في الإعذار للأمة الإسلامية والإشفاق عليها.

ولم يحدث رسول الله ﷺ بأحاديث الفتن، ومبشرات انتصارات الإسلام، وإشراق مستقبل هذه الأمة لتكون نكئة لأصحاب المنهج التخاذلي الذين يعزون عجزهم وتقصيرهم وقلة بذلهم وحركتهم من أجل نصرة هذا الدين، إلى هذه الفتن التي تحدث عنها رسول الله ﷺ بحجة أنها فتن حتمية لا مجال للخروج عليها لأنها من إرادة الله تعالى، والحقيقة أنه تحدث بها ليضع أمام المسلمين صوراً حية للمجتمع الذي سيعيشونه، والملاحم التي ستقع، أمامهم، ولتكون عاملاً للتنبيه والحذر، والعمل المعاكس لتيار الفتن لا الإنقياد لها والتسليم والإذعان، وهي من الرسول ﷺ إخباراً بمغيبات ودليلاً على صدق نبوته، وتحذيراً للمسلمين من الإنحطاط في الفتنة، أو التمهيد لها، أو المساعدة على إستمرارها؛ ولكي يأخذ أبناء الأمة الإسلامية حذرهم لكل طارئ، وتدبيراً لهم على الإحتياط، والإعداد لكل مفاجئ.

والمتتبع لحديث رسول الله ﷺ عن مستقبل هذه الأمة وما ستواجهه من أحداث خطيرة يلحظ أمراً هاماً حرص عليه الحبيب ﷺ وهو توعية الأمة الإسلامية بأهمية هذه الأحداث وخطورتها، حتى تهيئ هذه الأمة نفسها من خلال حشد كافة إمكانياتها، وكامل قدراتها لمواجهة هذه الأحداث، فحديثه إذا ليس من قبيل التسلية، وإنما هو من قبيل التحذير والإنذار والتوعية، حتى

إذا وقعت هذه الأحداث ونزلت كانت الأمة على علم كامل بكل تفصيلاتها صغيرها وكبيرها، فتتخذ لهذه الأحداث ما يكافئها من استعدادات، فالذي يعرف عدوه وإمكانياته وطريقة تفكيره يستطيع أن يتخذ القرار المناسب الذي يكافئ إمكانيات هذا العدو.

وحين يتحدث رسول الله ﷺ عن مستقبل هذه الأمة وما ستواجهه من أحداث، فإن هذا الحديث ليس بمنأى عن الأرض المقدسة، فهي جزء من هذه الأمة، بل تشكل بالنسبة لهذه الأمة مكان القلب منها، وكيف تكون هذه الأرض بمنأى عن هذه الأحداث، والحبيب ﷺ قد أخبر أن مجريات هذه الأحداث ستكون على الأرض المقدسة.

وقد تحدث رسول الله ﷺ عن الأرض المقدسة ومستقبلها في إتجاهين واضحين :

الأول : تحدث فيه رسول الله ﷺ عن مواصفات التجمع الإيماني، الذي سيكون بمثابة رأس الحربة في دفع كثير من الأخطار التي ستنزل بالساحة الإسلامية ممثلة بالأرض المقدسة.

الثاني : تحدث فيه رسول الله ﷺ عن أهم وأخطر الأحداث التي ستنزل بالساحة الإسلامية، ويحيق بلاؤها بأرض المسلمين وأبناء المسلمين، والتي سيتحمل العبء الأكبر فيها التجمع الإيماني في الأرض المقدسة.

وبعد فهذه نبؤات تحدث بها السيد الرسول محمد ﷺ تجعلنا على مثل الشمس، أن محمداً رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، والذي نعرضه في هذا الفصل قليل من كثير أجتزئه حتى يأخذ الإنسان المسلم صورة واضحة المعالم عن مستقبل الأرض المقدسة وما سيحدث عليها من أحداث خطيرة.[1]

ولقد اكتفيت في هذا الفصل بذكر النبوءات التي تحدث الآن وستحدث

تباعاً في المستقبل لتكون مثلاً حياً ملموساً مشاهداً لا مجال للإنكار فيه أو الجدال حوله وسيكون حديثي تحت عنوانين رئيسين هما :

١- صفات التجمع الإيماني في الأرض المقدسة.

٢- أهم الأحداث التي تجري وستجري على الأرض المقدسة.

وسأغطي من خلال ذلك مساحة كبيرة وواسعة تمتد إلى قيام الساعة. كما تحدث عن ذلك رسول الله ﷺ معتمداً في ذلك على الأحاديث الصحيحة الثابتة، فهي غنية عن غيرها من الأحاديث الضعيفة التي لا أعتمدها هنا ولا في أي موضوع أبحثه ولله الحمد على توفيقه.

(١) صفات التجمع الإيماني في الأرض المقدسة

وبعد أن وضحت في الفصول الماضية فضائل الأرض المقدسة، وتحدثت عن ماضيها من خلال سنة النبي الصحيحة، سأحاول في هذ الفصل أن أقدم رؤية مستقبلية للأرض المقدسة، محاولاً أن أستشرف هذا المستقبل، وأن أحدد له معالمه، وأن أرسم له حدوده، وأن أنظر فيه بفراسة إيمانية نافذة، وبصيرة من السنة هادية بعون الله.

وهدفنا من هذا أن نتجاوز الواقع المر الشائه الذي تعيشه أمتنا في هذه الأيام المليء بالمآسي والمصائب والنكبات والهزائم والذل والتنازلات، هذا الواقع الذي أوقع الكثيرين في اليأس والقنوط، وأصابهم بالفشل والإحباط، وأيقنوا باستحالة نصر المسلمين الصادقين، وصار بعضهم ينظر في مستقبل هذا الصراع على ضوء الواقع المرير اليائس، فيرى بأنه مستقبل دائم للكيان اليهودي، حافل بالوعود والآمال لليهود.

وهذه نظرة خاطئة تقود إلى نتائج خاطئة، وتوقُع الأمة في يأس الحاضر والمستقبل، وتودي بهم إلى مهاوي اليأس والذل والإستسلام والإنهزام. إن هذا الواقع المر الشائه بمثابة غاشية غشيت الأمة وستزول هذه الغاشية بإذن الله، وتسترد الأمة عافيتها وإيمانها وإسلامها ودماءها وشبابها، ويومها ويل للأعداء منها، ويل لليهود وأعداء الإسلام من بأسها وسطوتها وقوتها. ونحن نملك بين أيدينا الكثير من المبشرات والوعود القرآنية والحديثية الصادقة القاطعة، التي تحدد أن الإسلام هو مستقبل البشرية ودينها القادم، كما نستشرف هذه المبشرات والوعود من الواقع الجاهلي القاتم الذي بدأت شمسه الكالحة بالغروب والأفول، حيث تصدر تصريحات من عقلاء هناك يقررون فيها هذه الحقيقة، ويقدمون فيها هذه الوعود.

ومن خلال إمعان النظر في سنة الحبيب الصحيحة، نستطيع أن نستخرج

صفات الصالحين المؤمنين الذين اختارهم الله عز وجل لتحقيق موعوده لهذه الأمة في المستقبل المشرق، وإعلاء كلمة الإسلام حتى نهاية هذه الدنيا الفانية، وأن نتعرف من خلال السنة الصحيحة على ملامح وسمات الرجال المؤمنين الذين سيوقفون اليهود وأعداء الإسلام عند حدهم، ويقضون على إفسادهم، ويعيدون فلسطين والأرض المقدسة للإسلام والمسلمين.

ولن يقف الحد عند هؤلاء بل سيقومون بدور كبير في القضاء على أخطر الفتن التي ستواجه عالمنا الإسلامي مثل الدجال، ويأجوج ومأجوج وغيرهما.

وبقليل من التدبر في سنة الحبيب الصحيحة التي تخبر عن صفات التجمع الإيماني الذي سيقوم بهذا الدور، نلاحظ أمراً هاماً وهو أن هؤلاء العباد الذين سيهيؤهم الله لهذه المهمة يتصفون بصفات رجولية إيمانية أبرزها فيما يلي :

١- جنود مجندة لخدمة الإسلام

٦٢- عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(ستجندون أجناداً، جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن).

قال عبد الله : فقمت وقلت : خر لي يا رسول الله؟

فقال : (عليكم بالشام، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليستق من غدره، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله).

قال ربيعة : فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول :

«ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه».

وفي لفظ آخر : (سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق، عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم، وأسقوا من غدركم، فإن الله قد توكل لي بالشام وأهله).[٢]

٦٣- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال : (إنكم

ستجندون أجناداً، جنداً بالشام ومصر والعراق واليمن)

قالوا فخر لنا يا رسول الله؟

قال : (عليكم بالشام) قالوا : إنا أصحاب ماشية ولا نطيق الشام

قال : (فمن لم يطق الشام فليلحق بيمنه، فإن الله قد تكفل لي بالشام).[٣]

٦٤- من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قام يوماً في الناس فقال :

(أيها الناس، توشكون أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن)

فقال ابن حوالة : يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي

فقال : (إني أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين وصفوة الله من بلاده، يجتبي إليه صفوته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله قد كفل لي بالشام وأهلها).[١]

فصفتهم الأولى : أنهم جنّدوا أنفسهم لخدمة الإسلام، والدفاع عنه ضد من يريد به وبأبناء أمتنا الإسلامية أي سوء، وليسوا ممن باعوا أنفسهم لخدمة أعدائهم بتنفيذ مخططاتهم التي يكيدون بها لديننا وأمتنا، حتى لو لبسوا جلود الضأن إلا أن أفعالهم تبرز أخلاق الذئاب الشرسة المتوحشة، فهم وإن تمسحوا بالإسلام لتبرير ما يفعلون إلا أن الله تعالى قد تكفل بكشف زيفهم وكذبهم وكيدهم لأمة الإسلام.

٢- هم خيرة عباد الله في أرضه

لقد أخبر النبي ﷺ أن أفراد التجمع الإيماني الذين يدافعون عن حمى الإسلام في الأرض المقدسة، وغيرها من البقاع الإسلامية إنطلاقاً من الأرض المقدسة المباركة هم خيرة عباد الله في أرضه كما جاء في :

● حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

صفات الصالحين المؤمنين الذين اختارهم الله عز وجل لتحقيق موعوده لهذه الأمة في المستقبل المشرق، وإعلاء كلمة الإسلام حتى نهاية هذه الدنيا الفانية، وأن نتعرف من خلال السنة الصحيحة على ملامح وسمات الرجال المؤمنين الذين سيوقفون اليهود وأعداء الإسلام عند حدهم، ويقضون على إفسادهم، ويعيدون فلسطين والأرض المقدسة للإسلام والمسلمين.

ولن يقف الحد عند هؤلاء بل سيقومون بدور كبير في القضاء على أخطر الفتن التي ستواجه عالمنا الإسلامي مثل الدجال، ويأجوج ومأجوج وغيرهما.

وبقليل من التدبر في سنة الحبيب الصحيحة التي تخبر عن صفات التجمع الإيماني الذي سيقوم بهذا الدور، نلاحظ أمراً هاماً وهو أن هؤلاء العباد الذين سيهيؤهم الله لهذه المهمة يتصفون بصفات رجولية إيمانية أبرزها فيما يلي :

١- جنود مجندة لخدمة الإسلام

٦٢- عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(ستجندون أجناداً، جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن).

قال عبد الله : فقمت وقلت : خر لي يا رسول الله؟

فقال : (عليكم بالشام، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله).

قال ربيعة : فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول :

«ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه».

وفي لفظ آخر : (سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجنده، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق، عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم، وأسقوا من غدركم، فإن الله قد توكل لي بالشام وأهله).[1]

٦٣- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال : (إنكم

ستجندون أجناداً، جنداً بالشام ومصر والعراق واليمن)

قالوا فخر لنا يا رسول الله؟

قال : (عليكم بالشام) قالوا : إنا أصحاب ماشية ولا نطيق الشام

قال : (فمن لم يطق الشام فليلحق بيمنه، فإن الله قد تكفل لي بالشام).[2]

٦٤- من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قام يوماً في الناس فقال :

(أيها الناس، توشكون أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن)

فقال ابن حوالة : يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي

فقال : (إني أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين وصفوة الله من بلاده، يجتبي إليه صفوته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله قد كفل لي بالشام وأهلها).[3]

فصفتهم الأولى : أنهم جنّدوا أنفسهم لخدمة الإسلام، والدفاع عنه ضد من يريد به وبأبناء أمتنا الإسلامية أي سوء، وليسوا ممن باعوا أنفسهم لخدمة أعدائهم بتنفيذ مخططاتهم التي يكيدون بها لديننا وأمتنا، حتى لو لبسوا جلود الضأن إلا أن أفعالهم تبرز أخلاق الذئاب الشرسة المتوحشة، فهم وإن تمسحوا بالإسلام لتبرير ما يفعلون إلا أن الله تعالى قد تكفل بكشف زيفهم وكذبهم وكيدهم لأمة الإسلام.

٢- هم خيرة عباد الله في أرضه

لقد أخبر النبي ﷺ أن أفراد التجمع الإيماني الذين يدافعون عن حمى الإسلام في الأرض المقدسة، وغيرها من البقاع الإسلامية إنطلاقاً من الأرض المقدسة المباركة هم خيرة عباد الله في أرضه كما جاء في :

● حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ

فسد أهل الشام فلا خير فيكم، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة).[١٥]

٦٦- من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال). «وأومأ بيده إلى الشام».[١٦]

٦٧- من حديث سلمة بن نفيل الحضرمي رضي الله عنه : أنه أتى النبي ﷺ فقال :

إني سئمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلت : لا قتال!.

فقال النبي ﷺ :

(الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله تعالى منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، الا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة).[١٧]

٦٨- من حديث عمير بن هاني قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما على هذا المنبر يقول :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس)

فقام مالك بن يخامر السكسكي، فقال :

يا أمير المؤمنين، سمعت معاذ بن جبل يقول : «وهم أهل الشام» فقال معاوية ورفع صوته : هذا مالك، يزعم أنه سمع معاذاً : «وهم أهل الشام»[١٨]

٦٩- من حديث أبي عبد الله الشامي قال : سمعت معاوية يخطب وهو

يقول : يا أهل الشام، ثني الأنصاري، يعني زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال :

(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون حتى يأتي أمر الله).

«وإني أراكموهم يا أهل الشام» لفظ الطيالسي.

وفي لفظ أحمد (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)، «وإني لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام».[١٩]

٧٠- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال :

(لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق، وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة).[٢٠]

٧١- ومن حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال :

(لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك).

قالوا : فأين هم ؟

قال : (ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس).[٢١]

٧٢- من حديث مرة البهزي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، وهم كالإناء بين الأكلة، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)

قلنا : يارسول الله وأين هم؟

قال : (بأكناف بيت المقدس).[٢٢]

٧٣- من حديث سعد بي أبي وقاص رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ :

(لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة).[٢٣]

هذه بعض الأحاديث التي تحدث فيها النبي ﷺ عن طائفة أهل الحق التي تبقى مستمسكة به، وهناك غيرها من الأحاديث ولكني اكتفيت بإيراد هذه الأحاديث لدلالتها الواضحة على وجود طائفة أهل الحق في الأرض المقدسة حتى تكتمل حلقات الحديث عن مستقبل الارض المقدسة من خلال إيرادها.

من هي طائفة الحق؟

الحق أن أي مجتمع، في أي حقبة إنما هو إنعكاس لشخصيات المجموعة التي تقود جيل الناس في تلك الحقبة، وكلما اقتربت هذه المجموعة وخاصة في مجتمعنا الإسلامي من تعاليم الإسلام العظيم، كلما كان المجتمع أقرب ما يكون إلى المجتمع الإيماني الذي يرضي الله تعالى.

ولهذا فهناك ترابط متين بين الإسلام والمسلمين، والإيمان والمؤمنين، ولهذا لن يكون الإسلام بدون مسلمين، أو الإيمان بدون مؤمنين، ولأن الحياة الإسلامية لا تبنيها النصوص فقط، وإنما ترفع أركانها مجموعة قيادية من المؤمنين، ذات تأثير متكامل، من رجال الإدارة، والسياسيين، والإقتصاديين، والصناعيين، والفقهاء، والقضاة، والأدباء، والمفكرين، يؤمهم رجل جامع للخصال، شامل الإهتمام، وليس لقانون إسلامي فرصة تغييربدون أفئدة ملذوعة تتعبد بتطبيقه.

وهذا المفهوم ما هو بالجديد، وإنما هو تصور قديم صرح به السلف من الفقهاء، إذ كانوا يفهمون أن أولياء الله الذين ينصرون دينه (يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن والعلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع).[٢٤]

وقد ذهب العلماء مذاهب مختلفة في تحديد طائفة أهل الحق، فمن قائل

أنها طائفة أهل الحديث، وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من العلماء منهم الإمام أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وأبو عبد الله الحاكم وغيرهم.[٢٥]

● ومن قائل أن الصوفية هي الطائفة الظاهرة لأنهم قاموا بدور ريادي في الحروب الصليبية، ولدورهم الريادي في الدفاع عن الإسلام أمام الهجمة الغربية في بداية هذ القرن في أفريقية وفي جنوب شرق آسية ومواقع أخرى من المعمورة.

● ومن قائل أن طائفة أهل الحق هم الفئة المجاهدة في فلسطين الذين وقفوا أمام الإنتداب البريطاني والإستيطان اليهودي في الثلاثينات من هذا القرن، وممن ذهب إلى هذا القول الشيخ محمد حبيب الشنقيطي في كتابه زاد المسلم.[٢٦]

● ومنهم لم يتبين له من هي الفرقة التي قصدها رسول الله ﷺ بأنها طائفة أهل الحق، وممن ذهب إلى هذا الرأي الإمام محمد عبده شيخ الجامع الأزهر في بداية هذا القرن.[٢٧]

● وأجمع قول قيل في هذه الطائفة ما قاله الإمام النووي رحمه الله، وما ذهب إليه شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله حيث قال النووي :

«إن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلين، ومنهم محدثون ومنهم زهاد، آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض».[٢٨]

وما قاله شيخ الإسلام النووي رحمه الله وافقه عليه وذكر شبيهاً به شيخ الإسلام إبن تيمية حيث يقول رحمه الله :

«وليس لأولياء الله تعالى شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً، ولا بحلق شعر

أو تقصيره أو ظفره إذا كان مباحاً كما قيل : كم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع، والزراع، ..»[٢٩]

ويعلق أستاذنا وشيخنا العلامة الدكتور همام سعيد حفظه الله على هذه الأقوال بقوله :

«والذي يظهر لي أن هذه الأقوال المحصورة بأزمان قائليها ففي زمان الإمام أحمد كان المحدثون حملة السنة والمنافحين عنها أمام الفلسفة اليونانية والهندية وأمام الفرق الباطنية، وقاموا بجهد هائل بجمع الحديث وتصنيفه وتمييز صحيحه من سقيمه، لكن هذا الدور الريادي للمحدثين توقف أو كاد أن يتوقف مع ظهور الكتب المصنفة في الأبواب والمسانيد والمعاجم والتراجم والتواريخ، وساد التقليد في العصور المتأخرة، ولا يمكننا أن نقول أن فئة المحدثين هي الفئة الظاهرة إلى أن يأتي أمر الله قبيل يوم القيامة، ووجود أفراد قلائل من المحدثين لا يعني وجود طائفة فاعلة في المجتمع ولا بأس أن يقال إن المحدثين كانوا يشكلون بعض هذه الطائفة في وقت سابق، لأن الأصل في نص الحديث الإستمرار وبقاء الطائفة حتى قبيل الساعة».

ويمضي حفظه الله إلى القول :

«والذي يحل الإشكال البحث عن طائفة متنوعة الكفاءات والطاقات، والإمكانات والأفراد، متحدة في الغاية والهدف، وما ذهب إليه النووي قريب من هذا، وينقص عبارته عنصر التعميم الزماني».

وقوله «أنواع من المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر» بيان لهذا التنوع

بل فتح الباب لإنواع أخرى عندما قال :«ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير».

وإذا أدخلنا في حسابنا الأحوال التي تعيشها الأمة منذ قرن من الزمان فإننا نجد الأمة قد ابتعدت في الثقافة والفكر وفي النظم والتشريع عن الإسلام، وإنقسمت الأمة إلى فئات ثلاث :

- فئة تحارب الإسلام وتستعين بحربه بجميع التيارات الوافدة والأفكار المنحرفة.
- وفئة تنافح عن الإسلام وتطالب بتحكيم القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ في حياة الأمة.
- وفئة صرفت جهدها إلى هم المعاش وتلبية الحاجات ولا تعتني بالصراع بين الحق والباطل إلا إذا تعرضت مصالحها للتوقف.

ويمكننا القول بكل ثقة إن هذه الفئة المنافحة عن الإسلام الداعية إلى تحكيم شريعته القائمة بأمر الله تعالى هي الطائفة الظاهرة، وهي متنوعة في الطاقات والإمكانات، متحدة في الأهداف والغايات، ولا تكون هذه الطائفة على المستوى المطلوب إلا بالعلم والفقه الذي يساعد هذه الطائفة على فهم أحكام الشريعة ومعرفة عقيدة الإسلام ونظمه وكيفية الدعوة إليه، ولا تكون الجماعة جماعة إلا إذا وُجد الولاء بين أفرادها، ولا تكون جماعة إلا إذا وجد فيها السمع والطاعة والإلتزام.

فالعلم الشرعي شرط من شروطها، والعمل الشرعي شرط كذلك، والولاء والإلتزام صفتان لازمتان لها».

- من هم الذين يدخلون في هذه الطائفة ؟

وفي إجابته عن هذا التساؤل يقول حفظه الله :

«وبقي أن يقال أن عامة الناس لا تدخل في هذه الطائفة إلا إذا تفاعلت مع الإسلام وأحكامه ودخلت في حلبة الصراع لنصرة الحق وأهله، وإذا قيل : ما

المراد من قوله عليه السلام «فعليكم بالسواد الأعظم» وهل المراد عامة الناس وجمهورهم أم فئة الناس وخاصتهم؟

فيجيب على هذا الإمام الشاطبي في كتابه الإعتصام حيث يقول : روى أبو نعيم أن محمد بن القاسم الطوسي قال : سمعت إسحاق بن راهويه، وذكر في حديث رفعه إلى النبي ﷺ قال :إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة فإذا رأيتم الإختلاف فعليكم بالسواد الأعظم.

فقال رجل : يا أبا يعقوب من السواد الأعظم؟

فقال : محمد بن أسلم وأصحابه ومن تبعهم، ثم قال : سأل رجل إبن المبارك : من السواد الأعظم، قال : أبو حمزة السكري.

ثم قال : في ذلك الزمان (يعني أبا حمزة) وفي زماننا محمد بن أسلم ومن تبعه.

ثم قال إسحاق : «لو سألت الجهال عن السواد الأعظم، لقالوا جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر رسول الله ﷺ وطريقه، فما كان معه وتبعه فهو الجماعة».

ثم قال الشاطبي : «فانظر في حكايته تتبين غلط من ظن أن الجماعة هي جماعة الناس، وإن لم يكن فيهم عالم، وهو وهم العوام، لافهم العلماء فليثبت الموفق في هذه المزلة قدمه».[٣٠]

وما ذهب إليه إسحاق بن راهويه فهم عميق لدور الجماعة المسلمة والطائفة الظاهرة التي تتمتع بدرجة من الوعي تجعلها تستوعب شريعة الإسلام وسنة النبي ﷺ وتقف في وجه التحديات الثقافية والإجتماعية والسياسية، ولا يخرج المسلمون من حالة الغثاء إلى مجتمع الفتح والنصر إلا عن طريق هذه الجماعة المؤمنة والطائفة الملتزمة بما عليه النبي ﷺ وأصحابه».[٣١]

وبعد هذا الكلام النفيس والوصف الدقيق لطائفة أهل الحق، وعلى ضوء

النظر في الأحاديث السابقة التي ذكرتها نستطيع أن نلم بوصف دقيق لهذه الطائفة، ومكان تواجدها..

فقد حددت الأحاديث الصحيحة المذكورة آنفاً أن موقع الجسم الأساسي لطائفة أهل الحق هو في بيت المقدس، ويمتد أنصارها عبر الأرض الإسلامية بل عبر مواقع كثيرة من الأرض وحيثما وجد المسلمون الذين ينصرون الحق ويشاركون في حلبة الصراع بين الحق والباطل. أي أن رأس الحربة وموضع القلب من هذه الطائفة موجود في أرض بيت المقدس، ويضاف إلى رأس الحربة وموضع القلب الأنصار والمؤيدون عبر الأرض جميعاً والذين عبر النبي ﷺ عن مكانهم بقوله (وأكناف بيت المقدس).

وهو الفهم الذي عبر عنه الإمام النووي بقوله «ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض».

وهذه الأحاديث التي ذكرت إخبار من الحبيب ﷺ أن طائفة أهل الحق ستكون في أرض بيت المقدس للدفاع عن حقوق المسلمين أمام الهجمة الشرسة من أعداء الله من اليهود والنصارى، ومن أيدهم، وسار في دربهم، الذين يحاولون القضاء على عقيدة المسلمين وانتزاعها من قلوب أبناء هذه الأمة، حتى يسهل عليهم سلب حق المسلمين في بيت المقدس وأرض بيت المقدس، وأن بقية أبناء طائفة الحق في الأرض الإسلامية، بل في كل مكان سيكونون عوناً ومدداً لرأس الحربة وموضع القلب في بيت المقدس وأرض بيت المقدس في آخر الزمان ونزول الفتن والبلاء، ونحن نعيش هذه الفترة.

من هذا كله نعلم أن طائفة أهل الحق ينتظرها مسؤليات جسام وواجبات عظام، فالخطب جلل، والخطر داهم، والأعداء أكثر من الأصدقاء، فعلى الحركات الإسلامية على امتداد الأرض الإسلامية أن تدرك أن دينها وعقيدتها هما المقصودان بالخطر فتبتعد عن الصراعات الضيقة، والاهتمامات القاصرة،

وأن تتعاون جميعاً لدرء هذه المخاطر حتى تكون من الطائفة المنصورة، طائفة أهل الحق، وإلا فإن قطار هذه الطائفة سيتجاوزها سائراً إلى الامام قدماً، وسيترك المتخلفين عن الركوب فيه يعضون أصابع الندم على ما فاتهم وما فرطوا فيه والله تعالى يقول : «وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم».

٥- الفئة المنصورة والظاهرة على الحق فئة مجاهدة مقاتلة

لقد جاءت هذه الصفة لطائفة أهل الحق في أكثر من حديث من أحاديث الحبيب ﷺ ، فقد وصفهم عليه الصلاة والسلام بأنهم يجاهدون ويقاتلون لإعلاء كلمة الحق، وحتى تكون كلمة الحق هي العليا فقد جاء :

٧٤- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول :

(لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال :فينزل عيسى إبن مريم ﷺ فيقول اميرهم : تعال صل لنا. فيقول : لا . إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة).[٣٢]

أنظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام -يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة-وقد جاء هذا الوصف في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه حيث يقول عليه الصلاة والسلام (لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال).[٣٣]

وفي حديث سلمة بن نفيل رضي الله عنه حيث يقول : (الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم. .).[٣٤]

وفي حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه حيث يقول :(. . . لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون حتى يأتي أمر الله).[٣٥]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث يقول :(. . . لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق، وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله. .).[٣٦]

في هذه الأحاديث الصحيحة يخبرنا رسول الله ﷺ عن صفة واضحة وسمة مميزة لطائفة أهل الحق وهي صفة الجهاد والقتال لإعلاء كلمة الله، ووفاءاً بشرط أساسي من شروط بيعتهم لله ورسوله، وهو بذل أنفسهم رخيصة لله من أجل تبليغ دين الله والدفاع عن عقيدتهم حيث يقول الله تعالى :

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»(التوبة آية :١١١).

ويقول أيضاً «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم»(التوبة آية :١٤-١٥).

«إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» (الصف آية :٤).

وغير هذه الآيات كثير وكلها يحض على الإتصاف بهذه الصفة، والتزام هذا الطريق، لأن الله تعالى يحب أصحابها.

ومن أولى من طائفة أهل الحق في إتباع ما يحب الله تعالى وتنفيذ أوامره، وإن أمعنت النظر فيمن حولك -أخي المسلم- ستدرك ببعد نظرك وبصيرتك أين هؤلاء في أيامنا، ولن يطول بك الأمر حتى تراهم بوضوح، لأنهم يجابهون في هذه الأزمان أشد المخططات في الكيد للإسلام ومقدساتها، ويتعرضون لأجل هذا لأشد أنواع التنكيل والإضطهاد والقتل من أعدائهم من

ناحية، ومن القائمين على تحقيق مخططات الأعداء في بلاد المسلمين، فاحرص على أن تكون لهم ناصراً ومعيناً، لتكون من أبناء طائفة أهل الحق.

٦- قائمة على أمر الحق وتطبيق أحكامه

ويحدد رسول الله ﷺ لهذا التجمع الإيماني صفة أخرى وهي قيامه على أمر الحق والمطالبة بتطبيق أحكامه في واقع المسلمين، ونستطيع أن نفهم هذه الصفة من قوله عليه السلام في حديثه الذي رواه عمير بن هانئ قال :

سمعت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما على هذا المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على أمر الله . . .)وذكر الحديث [٣٧]

ولاحظ معي أخي المسلم قوله عليه السلام «قائمة بأمر الله» فهو نظير قوله عليه السلام في حديثه الصحيح الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفل السفينة إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً). [٣٨]

فقوله ﷺ «قائما بأمر الله» معناها قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الصفة من الصفات البارزة في طائفة أهل الحق، منهم آمرون بالمعروف في خاصة أنفسهم وفي مجتمعهم بشكل عام، ناهون عن المنكر ومحاربون للرذيلة والأخلاق المنافيه للشرع في خاصة أنفسهم وفي مجتمعهم.

فهم طائفة تسعى لتحكيم شرع الله تعالى وتسلك في سبيل تحقيق ذلك كل الوسائل المشروعة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم.

٧- الصبر على ما يصيبها من أعدائها

لقد حدد الرسول ﷺ لهذه الطائفة صفة أخرى وهي صفة الصبر، فالقائم على أمر الله تعالى وإقامة الحق على الأرض، سيلقى مخالفة ومناوئة من أبناء الجلدة الذين يتكلمون بألسنتنا تارة، والأذى من الأعداء وممن يؤيدونهم على تنفيذ مخططاتهم في بلاد المسلمين، وقد حدد الرسول ﷺ ضروباً من الأذى النفسي والفكري والجسدي الذي سيواجه طائفة أهل الحق في سبيل تحقيق غايتها في الأمور التالية :

أ- الشدة والتضييق

فقد ذكر النبي ﷺ أن طائفة أهل الحق ستتعرض للتضييق والتشديد كما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك) . . . وذكر بقية الحديث [٣٩]

● واللأواء في اللغة : الشدة [٤٠]، وقد يراد بها ضيق المعيشة وتعسر الكسب.

● والشدة : ما يصيب الإنسان في بدنه بسبب شدة الحر والبرد ونحو ذلك. [٤١]

ب- الخذلان والمخالفة

وقد بين النبي ﷺ أن طائفة أهل الحق ستتعرض للخذلان والمخالفة من أبناء أمة الإسلام الذين لا يتبعون الحق، ولا يسيرون على طريقه، بل يتبعون شهواتهم، وينفذون مخططات أعدائهم في الكيد لأمتهم وعقيدتهم، في سبيل تثبيت سلطانهم الزائف على أرض الإسلام والذي سرعان ما سينهار أمام قوة الحق وثبات أبناء هذه الأمة الصادقين الذين خذلوهم وخالفوهم، إعتقاداً منهم

أن طريق الشيطان الذي اتبعوه هو الذي سيوصلهم إلى مبتغاهم.

وفي وصف خذلانهم ومخالفتهم يقول ﷺ :

● فيما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال : (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق. وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة).[٤٢]

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم . . .).[٤٣]

● ومن حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، أوخالفهم، حتى يأتي أمر الله . .).[٤٤]

جـ- المناوأة أو العداء

وقد بين النبي ﷺ أن طائفة أهل الحق سيناوؤها ويعاديها الكثيرون فالأعداء من اليهود والصليبيين وأهل الوثنية من ناحية، وأهل الشهوات والأهواء والسلطان من أبناء المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام بالإسم فقط من ناحية أخرى، وفي ذلك يقول ﷺ في حديث مرة البهزي رضي الله عنه : (لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق ظاهرين على من ناوأهم . . .).[٤٥]

● ناوأهم : ناهضهم وعاداهم، والمناوأة : المعاداة[٤٦]

فهذه أصناف من الأذى ستتعرض لها طائفة أهل الحق، وهي موجهة إليها من جهتين رئيسيتين هما :

الجهة الأولى : من قبل أعدائها من اليهود والنصارى وسائر الكفار، وهؤلاء عداؤهم مكشوف لطائفة أهل الحق، فهم سيحاربون أبناء طائفة الحق

خاصة، وأبناء المسلمين عامة حرباً عنيفة شرسة، وسيحرصون على تحقيق أهدافهم في القضاء على طائفة الحق.

إنهم يريدون ردتنا عن ديننا، وتحويلنا عنه إلى الكفر، وذلك لحسدهم لنا : «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً، حسداً من عند أنفسهم، من بعد ما تبين لهم الحق» (سورة البقرة آية : ١٠٩).

فهم لن يرضوا عنا كمسلمين، إلا إذا حققنا مرادهم فينا، وتخلينا عن ديننا، واتبعنا ملتهم قال تعالى «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم، ما لك من الله من ولي ولا نصير» (سورة البقرة آية : ١٢٠).

وبطبيعة الحال فإن المسلمين عامة، وطائفة أهل الحق خاصة لن يستجيبوا لهم، وسيتمسكون بإسلامهم، ويحافظون على قرآنهم، الذي فيه الهوية والكيان والوجود، فعند ذلك فإن أعدائنا سيكشرون عن أنيابهم وسيحاربوننا بكل ما أوتوا من قوة، وسيبقون يحاربوننا كما قال تعالى : «ولا يزالون يقاتلونكم، حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون» (سورة البقرة آية : ٢١٧).

وفي هذا يقول الأستاذ العلامة الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله :

ونلاحظ التعبير القرآني «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردونكم عن دينكم» فإنه يقرر استمرار حرب اليهود ضدنا، وقتالهم لنا، وعدوانهم علينا، وعندما ننظر في مخططات اليهود الماضية، ومكائدهم الحاضرة، ومشاريعهم المقبلة، فإننا نقف على مصداقية هذه الحقيقة القرآنية، إن الحرب بيننا وبينهم مستمرة، والقتال بيننا وبينهم دائم، وحتى لو أراد قوم من المسؤولين والمتزعمين منا إيقاف القتال وإنهاء الحرب، فإن اليهود لا يوافقون، وإذا كانت الحرب معهم

مستمرة شئنا أم أبينا، فلماذا لا نخوضها رجالاً شرفاء؟ ولماذا لا نخطط لها تخطيط الرجال الشرفاء؟ ولماذا نبقى نتلقى الحرب منهم؟ ولماذا نستقبل خططهم؟ ولماذا نرضى أن ينفذوا فينا مشاريعهم؟

ورغم هذه الاستمرارية في حرب أعدائنا لنا إلا أن وعد الله تعالى للمؤمنين من أبناء هذه الأمة المباركة، ومن أتباع طائفة الحق يخفف ما يلقى أهل الإيمان والأذى من أعدائهم، فوعد الله النافذ الصادق أنهم لن يضرونا إلا أذى، يقول الله تعالى :

«كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، لن يضروكم إلا أذى، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار،ثم لا ينصرون، ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله، وحبل من الناس، وباؤوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسكنة، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»(سورة آل عمران آية : ١١٠-١١٢).

وانظر أخي المسلم إلى قوله تعالى «لن يضروكم» وإنه وعد قرآني جازم، وحقيقة قرآنية قاطعة، صيغ بهذه الجملة المنفية بحرف «لن» الذي يدل على «التأبيد» أي : لن ينجحوا في إيقاع الضرر بكم، ولن ينجحوا في تفريغ «فلسطين» وأرض بيت المقدس، بل وبلاد الشام عامة منكم، ولن تكون فلسطين والأرض المقدسة لهم، ولن يستقر لهم فيها قرار، ويستريحوا فيها ويتمكنوا منها. «لن يضروكم إلا أذى ..» مكونة من جملتين : الجملة الأولى «لن يضروكم» قررت فشلهم في إيقاع الضرر بنا، والقضاء علينا.

والجملة الثانية «إلا أذى» إستثناء من الجملة الأولى، تقرر حقيقة قاطعة جديدة، وهي نجاح أعدائنا من اليهود والصليبيين في إيذائنا.

أي أن ما سيكسبونه من حربهم لنا هو إيقاع الأذى بنا، فما هو هذا الأذى؟ وما مدى تأثيره علينا؟

هذا الأذى ظاهري سطحي خارجي، يصيب القشرة السطحية الظاهرة فينا، ولكنه لا ينفذ إلى أعماقنا.

هذا الأذى يقع على الأجساد والأبدان، ويصيب الحواس والأطراف، وينتج عنه آلام ومشقات، وتنزف منه دماء، هذا الأذى يصيب الأفراد والجماعات، لكنه يبقى خارجاً سطحياً.

والواقع المعاصر في معركتنا مع اليهود خاصة -ومعركتنا مع أعدائنا في شتى البقاع الإسلامية - يشهد بهذه الحقيقة أيضاً، فإن اليهود أرادوا النفاذ إلى أعماقنا، واختراق «خطوط» هجومنا وجهادنا، وإزالة صمودنا وتحدينا وتصدينا أرادوا إماتة أرواحنا، والسيطرة على نفوسنا، وقتل هممنا وامتصاص ثوابتنا، واجتثاث وجودنا، وتركنا نفوساً مشوهة، وكيانات بشرية معوقة، وأفراداً قانطين يائسين محبطين!

هل نجحوا في ذلك؟ الواقع في فلسطين وغيرها -وفي غيرها من البقاع الإسلامية- يقول : لا. صحيح إنهم تمكنوا من النفاذ إلى أعماق وقلوب وأرواح بعض منا، فأصبحوا قانطين يائسين، وصاروا محطمين مستسلمين، لكنهم أفراد قلائل، إذا ما قيسوا بمجموعة شعبنا المجاهد.

إن شعبنا المجاهد -في فلسطين خاصة وفي بقاع الأرض الإسلامية عامة- يزداد كل يوم صموداً أمام اليهود -وسائر الأعداء- وتحدياً لهم، وثباتاً على إسلامه وجهاده، ورفضاً للوجود اليهودي -وأي نوع من وجود الأعداء- تزداد نفوس شعبنا كل يوم قوة وحيوية وجهاداً وكلما صعّد اليهود -وأعداء أمة الإسلام- من بطشهم وتنكيلهم وقتلهم لإرادة هذا الشعب، كلما زاد هذا الشعب إستعلاءً وتصميماً وجهاداً.[٧٧]

الجهة الثانية : من قبل أصحاب الحكم والسلطان الذين لا يريدون أن يخضعوا خضوعاً كاملاً للقرآن، ولا يريدون أن يجعلوه مهيمناً في بلادهم على كل ما سواه، ومن قبل دعاة الهوى والبدع والضلال الذين يقفون في طريق الحق والخير أينما ظهر في بلاد المسلمين، والذين وصفهم الرسول ﷺ بقوله : (دعاة على باب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) ثم وصفهم بقوله : (إنهم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا)، ومن قبل أتباع الشهوات في عالمنا الإسلامي والذين يحبون أن يميل أهل الحق عن طريق الحق إلى طريق الشهوات ميلاً عظيما.

هؤلاء جميعاً يقفون في صف واحد موجهين سهام النقد وأسلحة الأذى إلى طائفة الحق، ومستخدمين كل وسائل الكيد غير المشروع والأذى الجسدي، والفكري، والنفسي في حربهم غير الشريفة والشرسة مع أبناء طائفة أهل الحق، فهم يستعملون :

- سلاح المخالفة.
- سلاح الخذلان.
- سلاح المناوأة والعداء.
- سلاح الأذى والتضييق.

يستعملون جميع هذه الأسلحة بما يتناسب وتحقيق أهدافهم البعيدة عن مرضاة الله تعالى، ولذلك فهم يتعاملون مع القرآن بمزاجية وهوى، فيأخذون منه ما يوافق أهواءهم، ويتركون منه ما لا يوافق هواهم، ولذلك فإن صلتهم بالقرآن وأحكامه وتعليماته خاطئة، وعلاقتهم به مهزوزة، كما كان يفعل اليهود في تعاملهم مع التوراة ومع أنبيائهم.

فهم يأخذون من القرآن ما يطوعونه ليبرروا أسباب مخالفتهم لطائفة أهل الحق والمؤمنين من اتباع هذا الدين، فيفهمون هذه الآيات فهماً خاطئاً يسوغ

لهم المخالفة واتهام المؤمنين أنهم جانبوا الصواب في فهمهم للقرآن وآياته، ولذلك فعليهم -يعني على المؤمنين- أن يصححوا فهمهم للقرآن ليتناسب مع فهم الحكام وأصحاب السلطان والهوى والشهوات، وإلا فهم -أي المؤمنين- خارجون عن الفهم السوي الصحيح.

ومن المخالفة في الفهم يتنقلون ليبرروا أسباب خذلانهم للمؤمنين بأن هؤلاء المؤمنين لا يستحقون أن ينصروا، لأنهم شاذون في تفكيرهم، وإن حاولوا أن ينصروا المؤمنين فهو من باب (لو كانوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً).

ولو وقف الأمر عند هذا الحد من المخالفة والخذلان لهان الأمر، لكنه يتنقل إلى مراحل أخرى متقدمة من المناوأة والعداء، والإتهام، وتسخير كل الوسائل الإعلامية لإتهام المؤمنين بالخروج والضلال-يعني الخروج عن شريعة الحكام الزائفة- بل وينتقل الأمر إلى حد استعمال الأذى والتضييق، فهم يوقعون أشد صنوف الأذى من التنكيل الجسدي، والسجن، والقتل في حق المؤمنين تارة، والتضييق في سبل العيش والرزق، والملاحقة في كل مكان، لقتل الكلمة الحرة الناطقة بالخير والمعروف، واستعمال كل الوسائل غير المشروعة في حرب طائفة أهل الحق.

فطائفة أهل الحق إذن تواجه حملة من الأذى بإتجاهين إلا أن الله تعالى وعدها على لسان النبي ﷺ بأنها ستبقى ظاهرة على هؤلاء جميعاً، فأين قدرة الخالق من قدرة المخلوق.

٨- قلة عدد طائفة الحق بالنسبة لأعدائها

وقد بين النبي ﷺ صفة أخرى لطائفة أهل الحق في آخر الزمان بأنها قليلة العدد بالنسبة لأعدائها ومناوئيها ومخالفيها، فهم كما قال ﷺ في حديث مرة البهزي رضي الله عنه :

(لا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، وهم كالإناء بين الأكلة، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)

قلنا : يارسول الله وأين هم؟

قال : (بأكناف بيت المقدس).[٤٨]

فقوله ﷺ (وهم كالإناء بين الأكلة) دليل على أن طائفة أهل الحق قليل عددها مقارنة بأعدائها وخصومها ومناوئيها، وهذا لا يضيرها ولا يعيبها، فالقلة في العدد ليست علامة على الضعف، بل إنها قد تدل على القوة، لأن الحق ثقيل ولا يستطيع حمله إلا الأقوياء من الناس، الأقوياء في إيمانهم وإستعدادهم للبذل والتضحية، لأن الناس كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري رحمه الله وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة».[٤٩]

ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام هذا : أن الناس كمائة من الإبل لا تجد فيها ذلولاً تصلح للركوب، وأراد به أن يقل حملة الحق وأتباع الذين يرغبون في الآخرة ويزهدون في الدنيا، ويكون رغبة أكثر الناس في الباطل والتعلق بالشهوات والأهواء، وهذ يدل على أن أهل الحق عملة صعبة لقلة الراغبين في الحق.

ورغم قلتهم فقد وعدهم الله تعالى بالظهور على أعدائهم ومناوئيهم كما جاء على لسان الحبيب ﷺ في الأحاديث التي أوردتها آنفاً، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى :

«كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» ويقول : «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»

وقديماً قال بعض الصالحين : لا تغتر بطريق الباطل وإن كثر فيه الهالكون، ولا تستوحش من طريق الحق ولو قل فيه السالكون.

فالكثرة والقلة أمر نسبي تُفهم من أهل الإيمان فهماً يختلف عن فهم أهل الباطل، وقد عبر خالد بن الوليد رضي الله عنه عن ذلك بقوله يوم اليرموك :

«إنما يكثر الناس بالصبر ويقلون بالخذلان»، فالناس يغترون بالميزان المادي والكثرة العددية، وأهل الإيمان إنما يكثرون ويقوون بثقتهم بالله وقتالهم في سبيله وقد صدق خالد بن الوليد أيضاً حين قال :

«أرى والله إن كنا إنما نقاتل بالكثرة والقوة، هم أكثر منا وأقوى علينا ومالنا بهم إذن طاقة، وإن كنا نقاتلهم بالله ولله، فما جماعتهم -ولوكانوا أهل الأرض جميعاً- تغني عنها شيئاً».

وحين تتساوى نظرة المؤمنين للقلة والكثرة بنظرة أعدائهم فإن نتيجة الكثرة الهزيمة حين يصاحبها الغرور والله تعالى يضرب لنا المثل بأهل حنين ويقول : «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم، فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبتم ثم وليتم مدبرين . . . » (سورة التوبة آية : ٢٥-٢٨).

٩، ١٠- لا يعلو منافقوهم على مؤمنيهم، وهم سوط الله ينتقم بهم ممن يشاء

نقف الآن أمام حديث لرسول الله ﷺ يحدد فيه بعض الصفات البارزة لتجمع الإيمان فقد :

٧٥- جاء من حديث خريم بن فاتك الأسدي صاحب رسول الله ﷺ ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (أهل الشام سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولا يموتوا إلا هماً وغماً)[٥٠]

فقد ذكر رسول الله ﷺ في هذا الحديث صفتين بارزتين هما :

١- أن أهل التجمع الإيماني في بلاد الشام -الأرض المقدسة- سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده الذين يعصون أوامره، ويتنكبون الطريق المستقيم وعندنا من البراهين التاريخية ما يصدق هذه الحقيقة.

فقد اكتسحت جموع التتار العالم الإسلامي من حدود الصين حتى وصلت

إلى أرض الشام لتبتلعهم أرضه في عين جالوت، وشقحب، وأرض غزة وغيرها من مواقع أرض الشام.

وقد جاءت الحملات الصليبية وهي تحمل أحقادها وشراستها وقسوتها وبطشها، لتفتك بالآمنين من الأبرياء والعزل من الشيوخ والنساء والأطفال في هذه البلاد المقدسة، وليمتد هذا البطش والتنكيل لمدة قرنين من الزمان، ثم لينتهي هذا البطش وترتد هذه الحملات تجر أذيال الخيبة والفشل، حين نهضت هذه البلاد من كبوتها وردت هؤلاء المعتدين على أدبارهم مهزومين.

وها نحن اليوم نشهد إفساداً أشد، وبطشاً وتنكيلاً أفظع، على يد أبناء القردة والخنازير من اليهود، وهم يدنسون بأرجاسهم وقذاراتهم أرض بيت المقدس. وسيحقق الله تعالى وعده لأوليائه حين يسلطهم على اليهود فيقتلوهم ويخلصوا الأرض من قذاراتهم ونجسهم.

وستنتهي أعظم فتنة خلقها الله عز وجل، وهي فتنة الدجال التي تعم الأرض بفسادها، وليتنهي هذا الدجال على أرضها في مدينة اللد وعلى أبوابها.

وستنتهي أيضاً على أرضها فتنة عظيمة أخرى وهي فتنة يأجوج ومأجوج وهي التي وصفها رسولنا ﷺ على لسان رب العزة عز وجل حين يخاطب عيسى عليه السلام (.. لا يدان لأحد بهم...) أي لا طاقة لأحد بهم.

٢- إن أهل التجمع الإيماني في الأرض المقدسة وعدهم الله عز وجل بأن لا يعلوا أهل النفاق فيهم على أصحاب الإيمان علواً دائماً، وإنما يكون ذلك لفترات مؤقتة حتى يصفو صف تجمع أهل الإيمان ثم يعودون هم للعلو وتحكيم شرع الله، وهذه بشارة من الحبيب ﷺ لأهل الشام أن الله تعالى سيعلي كلمة الله عز وجل على أيديهم، وسيموت منافقوهم من القهر والغم حين يرون علو كلمة المؤمنين، وإرتفاع شأن الإسلام على أيديهم.

١١- هم تجمع أهل الإيمان والأمن عند نزول الفتن

أخبر الرسو ل ﷺ أن التجمع الإيماني على أرض الشام وبيت المقدس

-الأرض المقدسة- سيصاحبه وصف لا يفارقه، وخصلة لا ينفك عنها، وهي خصلة الإيمان بالله عز وجل التي عرف بها، بل وأصبحت ميزته الأساسية، فحين تنزل الفتن وتنتشر في أنحاء الأرض، ويفتن الناس بها يكون أهل الأرض المقدسة أكثرهم بعداً عن الوقوع فيها، لأن الإيمان بالله تعالى يحصنهم ويحميهم، بل حين تشتد بأطراف الأرض المخاوف والحروب والإضطرابات فستكون الأرض المقدسة موئلا للأمن والطمأنينة. وقد جاء هذا المفهوم متضمناً في حديث رسول الله ﷺ :

● فقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ :

(... ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام)، وفي رواية (إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام).[٥١]

● ومن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(.. ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام).[٥٢]

وقد فهم ما فهمت عن رسول الله ﷺ وسبقني إليه سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله حين قال :

«أخبر النبي ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى :

أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام برآء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك.

والمعنى بعمود الإسلام، ما تعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون إليه، والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الإستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء وإختلاف الآراء، وقد قال عبد الله بن شوذب :

تذاكرنا بالشام فقلت لأبي سهل : أما بلغك أنه يكون بها كذا؟

فقال : ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها.

والذي ذكره معلوم بالتجربة، معروف بالمشاهدة، إن الفتن من القحط والغلاء، وغير ذلك من أنواع البلاء إذا نزلت بأرض كانت بالشام أخف من غيرها».

١٢- هم الذين يؤيدون الدين عند الملاحم والفتن

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن صفة أخرى مهمة من صفات التجمع الإيماني في الأرض المقدسة، وهي أن الله عز وجل قد أعدهم لتأييد دينه عند اشتداد البلاء ونزول الفتن، فقد جاء :

٧٦- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي، أكرم العرب فرساً، وأجودهم سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين).[٥٣]

وقد صدق النبي ﷺ في هذه الصفة التي أخبر عنها، فما من خطب نزل بأمة الإسلام منذ أن فتح الله على المسلمين الأرض المقدسة، إلا كان أهل الأرض المقدسة يهبون مناصرين لكل من استنفرهم، وسيبقى هذا شأنهم في مقبل الأيام حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن أولى منهم بالقيام بهذه المهمة وهم طائفة أهل الحق، وتجمع أهل الإيمان وأحق الناس بنصر الخير والعدل في أي وقت من الأوقات، أو أي مكان من الأماكن.

الهوامش

١-أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين لعبد العزيز السيروان بتصرف/ المقدمة.

٢- سبق تخريجه برقم (١١).

٣- سبق تخريجه برقم (١٨).

٤- سبق تخريجه برقم (١٢).

٥- سبق تخريجه برقم (١١).

٦- سبق تخريجه برقم (١٢).

٧- سبق تخريجه برقم (١٣).

٨- سبق تخريجه برقم (٢١).

٩- أخرجه إبن حبان كما في الإحسان (٦٦٩٩) وأحمد (٤/ ١٠٣) (٦/ ٤) وإبن مندة في الإيمان (١٠٨٤) الطبراني في الكبير مجلد (٢٠) حديث رقم (٦٠١) والبيهقي في السنن (٩/ ١٨١) والحاكم (٤/ ٤٣٠) (٤/ ٤٣٠-٤٣١) وصححه الحاكم في الموضعين على شرطهما ووافقه الذهبي : وقد أخرجوه عن المقداد وتميم الداري رضي الله عنهما.

١٠- سبق تخريجه برقم (١١).

١١- سبق تخريجه برقم (١٨).

١٢- سبق تخريجه برقم (١٢).

١٣- سبق تخريجه برقم (٤٨).

١٤-ترغيب أهل الإسلام ص(٢٨).

١٥- سبق تخريجه برقم (١٥).

١٦- أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٣٧) وأبو داود برقم (٢٤٨٤) والطبراني في الكبير (١٨/ ١١١، ١١٦, ٢١١, ٢٢٨) والحاكم (٤/ ٤٥٠) (٢/ ٧١) والخطيب في شرف أهل الحديث برقم (٤٦)

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، قلت : والحديث صحيح.

١٧- سبق تخريجه برقم (٢٠).

١٨- أخرجه البخاري برقم : (٣٦٤١، ٧٤٦٠)، ومسلم برقم : (١٠٣٧)، وأحمد في المسند : (٤/ ٩٣، ١٠١) وابن ماجه برقم : (٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٨٣) رقم : (٨٩٩)، وفي مسند الشاميين رقم: (٥٥٣)، وليس عندهم قول مالك إلا البخاري وأحمد.

١٩- أخرجه الطيالسي رقم : (٦٨٩)، وأحمد في المسند : (٤/ ٣٦٩)، والبزار كما في كشف الأستار : (٤/ ١١١) رقم : (٣٣١٩)، والطبراني في الكبير رقم : (٥٩٦٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٧) رواه أحمد والبزار والطبراني وأبو عبد الله الشامي ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد وبقية رجاله رجال الصحيح، قلت : والحديث صحيح لغيره، وقد صححه الألباني برقم : (١٩٥٨).

٢٠- أخرجه أبو يعلى برقم: (٦٤١٧)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦١) رواه أبو يعلى ورجله ثقات، وقد جاء في المطالب العالية رقم: (٤٢٤٤، ٤٥٤٢) وسكت عليه البوصيري وانظر فضائل الربعي رقم : (٢٩) ص (٦٠) والحديث صحيح.

٢١- أخرجه الطبراني برقم (٧٦٤٣)، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ٢٦٩) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٨) رواه عبد الله بن أحمد وجادة من خط أبيه، والطبراني ورجاله ثقات، قلت : الحديث صحيح لشواهده.

٢٢- أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٣١٧-٣١٨) رقم : (٧٥٤)، وصححه الشيخ الألباني لشواهده في الصحيحه رقم :(٢٧٠، ١٩٥٧).

٢٣- أخرجه مسلم برقم : (١٩٢٥)، وأبويعلى برقم : (٧٨٣) - أهل الغرب المذكورون في الحديث : هم أهل الشام.

٢٤- المسار لمحمد أحمد الراشد ص(٢٠) وذكر القول عن شيخ الإسلام

ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/ ١٩٤)

٢٥- معرفة علوم الحديث للحاكم ص(٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٤٩).

٢٦- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم (٥/ ١٩٣).

٢٧- شرح محمد عبده للعقائد العضدية ص(٥).

٢٨- شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٥٣).

٢٩- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيميه (١١/ ١٩٤).

٣٠- الشاطبي في الإعتصام (٢/ ١٥٣).

٣١- فتنة الفرق والأهواء وموقف المسلم منها في ضوء السنة النبوية للدكتور همام سعيد ص (٤٠-٤٤) والمنشورة في مجلة دراسات.

٣٢- أخرجه مسلم برقم : (١٥٦)، وأبو يعلى برقم : (٢٥٧٨)، وأحمد في المسند : (٣/ ٣٤٥، ٣٦٧ - ٣٦٨، ٣٨٤).

٣٣- سبق تخريجه برقم (٦٦).

٣٤- سبق تخريجه برقم (٢٠).

٣٥- سبق تخريجه برقم (٦٩).

٣٦- سبق تخريجه برقم (٧٠).

٣٧- سبق تخريجه برقم (٦٨).

٣٨- أخرجه البخاري برقم : (٢٤٩٣، ٢٦٨٦)، والترمذي في الفتن برقم : (٢١٧٤)، وأحمد في المسند : (٤/ ٢٦٨، ٢٧٠).

٣٩- سبق تخريجه برقم (٧١).

٤٠- الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٧٨).

٤١- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري : (٧/ ٣٣٩-٣٤٠).

٤٢- سبق تخريجه برقم (٧٠).

٤٣- سبق تخريجه برقم (٧١).

٤٤- سبق تخريجه برقم (٦٨).

٤٥- سبق تخريجه برقم (٧٢).

٤٦- لسان العرب لابن منظور (١/ ١٧٨).

٤٧- إنتهى ملخصاً بتصرف من حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية من ص (٨٨-٩١).

٤٨- سبق تخريجه برقم (٧٢).

٤٩- أخرجه البخاري برقم : (٦٤٩٨)، ومسلم برقم : (٢٥٤٧).

٥٠- أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٤٩) رقم : (٤١٦٣) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني برقم : (١٠٤٩) مرفوعاً وقد علل الحديث المرفوع الشيخ الألباني بعنعنه الوليد بن مسلم فلم يصب فقد صرح الوليد بالتحديث في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٢) إلا أنه رواه موقوفاً.

وقد أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٩) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٢) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني برقم (١٠٤٨) عن خريم ابن فاتك موقوفاً باسناد صحيح. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٠) رواه الطبراني وأحمد موقوفاً على خريم ورجالهما ثقات، وكذا قال : المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٦٣).

٥١- سبق تخريجه برقم (٤).

٥٢- سبق تخريجه برقم (٥).

٥٣- أخرجه ابن ماجه برقم : (٤٠٩٠) ونعيم بن حماد في الفتن برقم : (١٣٣٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٨) وصححه على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي أنه على شرط مسلم، وهو ليس على شرط أحدهما والحديث حسن فقط كما قال الألباني في فضائل الشام للربعي ص(٥٩) وقال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد حسن.

(٢) أهم الأحداث التي ستجري على الأرض المقدسة إلى يوم القيامة

أخبرنا رسول الله ﷺ أن هذه الأمة ستبتلى بإبتلاءات عديدة، وستفتن بفتن كثيرة، حيث ستتابع عليها الفتن وتزداد، وسيكون هذا التتابع على قلوب المسلمين كتتابع وإجتماع عيدان الحصير، والقلب الذي يتشربها ويقبلها ويرضى بها، تؤثر فيه تأثيراً سلبياً، وأما القلب السليم الحي المستقيم، فهو الذي يرفضها وينكرها، ويحاربها ويواجهها، فتكون فيه آثار إيجابية لذلك، فيكون أبيض نظيفاً ناصعاً، ويكون منيراً مشرقاً، ويكون ثابتاً مثل الحجر الراسخ، والصفاة الثابتة، بعكس القلب الذي يتشربها، فيطمس نوره، فيكون أسوداً مظلماً، أغبراً مرباداً، ويكون منكوساً مقلوباً كالكوز، فيتعامل مع كل شيء بمنطق هواه، فهو الحكم والميزان، ولذلك لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما وافق هواه.

وها هي الفتن تتابع علينا، وتهجم هجوماً شاملاً، منوعاً تشمل جميع جوانب الحياة ومجالاتها، فمنها ما هو موجه للقلوب، ومنها ما هو موجه للعقول، ومنها ما هو موجه للأخلاق، أو الأعراض أو الأموال.

فتن سياسية، وفتن إقتصادية، وفتن إجتماعية، وفتن فنية، وفتن فكرية، وفتن سلوكية.

فتن للرجال، وفتن للنساء، وفتن للعلماء، وفتن للحكام، وفتن للشباب، فتن تعرضها الإذاعات، وفتن في الصحف، وفتن في الأشرطة والأفلام، وفتن في الكتب، وفتن في البيوت، وفتن في الأسواق والمؤسسات.

فتن وافدة، وفتن محلية، وفتن ينشرها أبناء الأمة، وفتن ينشرها الآخرون... وكان الله في عون الناس!!

وصدق القائل :

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنه سهم وثان وثالث[1]

ومن خلال الأحداث التي سبق ذكرها في الفصول الماضية، ومن خلال ما سيأتي لاحقاً ندرك أهمية الدور المرشحة له الشام « الأرض المقدسة» وندرك أهمية تكريس الجهود للشام، وندرك كم من الآمال معقودة على الشام، أقول هذا مع إنني أعلم : أن أثقل وضع على الإطلاق في العالم الإسلامي هو وضع الشام، وأعقد وضع على الإطلاق هو وضع الشام، وإن وضع الشام الآن يحتاج إلى حكمة الحكماء، وجرأة الأبطال ليمكن اقتحامه، وأظن أن اقتحام هذا الوضع يحتاج إلى مجموعة أمور كلها صعب وضروري ليمكن تجاوز هذا الوضع الصعب المعقد.[2]

وسأسوق فيما يلي مجموعة من الأحاديث الصحيحة، التي نطق بها رسولنا الكريم ﷺ وأخبرنا فيها عن مجموعة من الأحداث الخطيرة والهامة ستحدث في الأرض المقدسة، وسيكون لها دور كبير في تغيير مجرى التاريخ البشري بشكل عام، والأمة الإسلامية بشكل خاص، وسيكون لأهل الأرض المقدسة دور كبير في تحويلها لصالح هذه الأمة، ودفع مخاطرها العظيمة عن هذا الدين.

وسأكتفي بإيراد الأحاديث الصحيحة دون تعليق طويل عليها، إلا فيما يشكل من الأمور الصعبة في طيات نصوصها، أو توضيح أمر هام وحدث خطير يحتاج إلى توضيح، وفيما سوى ذلك سأترك نصوص هذه الأحاديث ليفهمها القارئ ويغرسها في قلبه وعقله، حتى يكون على بينة منها إذا حدث ما ذكرته من أحداث - والله الموفق.

أولاً : تتابع الهجرات من الأرض المقدسة وإليها

فقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

(ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر ابراهيم..) وذكر الحديث[3]

ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لتكونَنَّ هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم ابراهيم ﷺ ..) وذكر الحديث[4]

● ومن حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : (لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام، ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق)

وقال رسول الله ﷺ : (عليكم بالشام).[5]

● ومن حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الشام صفوة الله من بلاده، إليها يجتبي صفوته من عباده، من خرج من الشام إلى غيره فبسخطة، ومن دخلها من غيرها فبرحمة).[6]

٧٧- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : (يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام).[7]

قال العز رحمه الله : «ومثل هذا لا يقال إلا توقيفاً، ولما علم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تفضيل الشام على غيره، دخل إليه منهم عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ على ما ذكره الوليد بن مسلم».[8]

من خلال هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها والتي رغب فيها النبي ﷺ في سكنى الشام والأرض المقدسة، نلحظ مدى إهتمام النبي ﷺ بهذه الأرض المقدسة، وتوجيهه ﷺ للمسلمين أن يتوطنوا أرضها، ويهاجروا إليها.

والمتتبع لحركة التاريخ قديمه وحديثه يلحظ كثرة الهجرات البشرية إلى الأرض المقدسة ومنها إلى غيرها، ولا أريد أن أرجع إلى أعماق التاريخ ولكنني أذكر بالتاريخ المعروف والموثوق بالنسبة لنا، فكم تعرضت الأرض المقدسة لهجرة الناس منها وإليها في زمن الحروب الصليبية التي امتدت قرنين

من الزمن، وفي عصر الهجمة التترية على العالم الإسلامي التي امتدت ما يوازي الحروب الصليبية وزيادة، شهدت هجرات منها إلى غيرها ومن غيرها إليها، وفي قرننا الحالي نلحظ أيضاً عدة هجرات منها إلى غيرها أو إلى بعض أجزائها، من أجزائها الأخرى، وأشهر هذه الهجرات هجرة عام ١٩٤٨، وهجرة ١٩٦٧، وهجرة جنوب لبنان المتتالية، وهجرة الخليج المشهورة التي دمرت قدرات العالم العربي والإسلامي، حيث هاجر ما يقارب نصف مليون نسمة ويزيد من الكويت إلى الأردن.

فالهجرات في الأرض المقدسة متتابعة منذ قديم الزمان وهذا هو مصداق قوله ﷺ (لتكونن هجرة بعد هجرة) وتحديده ﷺ لمواطن هذه الهجرة بقوله (لتكونن هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم إبراهيم ﷺ) ونلاحظ أيضاً توضيح النبي ﷺ أن من خرج من الشام - الأرض المقدسة- إلى غيرها رغبة عنها، وعدم محبة لها، فإنما يخرجه من أرضها سخطة من الله، وأن من دخلها محبة لها ورغبة في سكناها، فإنه يدخلها برحمة الله ومحبته له.

ولعل قدر الله عز وجل ورحمته سبحانه في تقدير هذه الهجرات إلى الأرض المقدسة ومنها، حتى يتوازن التجمع الإيماني في أرضها مع ضخامة الهجمة الشرسة الموجهة إليها من أعداء الإسلام وخاصة اليهود الذي اغتصبوا قلب العالم الإسلامي ودرته -فلسطين أرض الإسراء والمعراج- وهم يفتكون في بنية الأرض الإسلامية الأخرى المجاوره لها، وحتى يحقق الله تعالى موعوده للمؤمنين في قتال اليهود والقضاء عليهم، فالله عز وجل يختار لهذه المعركة الفاصلة، ولتحقيق هذا الوعد صفوة خلقه الذين ينطق الشجر والحجر بتاييدهم، لذلك أخبر الرسول ﷺ عن مواصفات هؤلاء القوم الذين يحققون هذا الوعد بأنهم -خيار أهل الأرض- وبأنهم -صفوة عباد الله- وسيكون لنا كلام مفصل في هذا الأمر أثناء حديثنا عن قتال اليهود في النقاط التالية.

ثانياً: الحصار الإقتصادي على الأرض المقدسة

أخبر النبي ﷺ عن كرب ومصيبة ستنزل بالأرض المقدسة وهي حصار

إقتصادي يمارس على هذه الأرض، حيث لا يصل إلى أهلها طعام ولا مال كما جاء :

٧٨- من حديث أبي نضرة، قال :

«كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يُوشِكُ أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذاك؟ قال : من قبل العجم، يمنعون ذاك. ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مُدْيٌ. قلنا : من أين ذاك؟

قال : من قبل الروم.

ثم سكت هنية. ثم قال : قال رسول الله ﷺ :

(يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً، لا يعده عدداً)

قال : قلت لأبي نضرة وأبي العلاء : أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا : لا »[٩]

٧٩- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُديها ودينارها، ومنعت مصر إردَبّها ودينارها، وعُدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم. وعدتم من حيث بدأتم)

شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه».[١٠]

● الاردب : مكيال معروف لأهل مصر، قال الزهري وغيره : يسع أربعة وعشرين صاعاً.

ثالثاً: غلاء الأرض وارتفاع أسعارها في الأرض المقدسة

أخبر الرسول ﷺ أنه سيأتي زمن من الأزمان، ووقت من الأوقات ترتفع فيه أسعار شراء الأرض في البلاد المقدسة إلى حد كبير، وتَزيداد هذ الإرتفاع وخاصة للأرض التي تطل على بيت المقدس، حتى لو كان للإنسان قطعة

أرض بمقدار الحبل الطويل الذي يربط فيه فرسه، أو بمقدار طول القوس، لو صحح طرفاه المعوجان، لكان خيراً له من الدنيا وما فيها، بل وأحب إليه من الدنيا وما فيها، والذي يتتبع الأحداث في أيامنا يلحظ هذ الأمر في بدايته، حيث ارتفعت أسعار الأرض بشكل مذهل في مناطق فلسطين المحتلة، وما يطل على أرض بيت المقدس في مناطق أردن الحشد والرباط، والبقية تأتي كما يقولون، جاء هذا التوضيح فيما رواه :

أبو ذر رضي الله عنه قال : تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟

فقال رسول الله ﷺ :

(صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً) قال : أو قال: (خير له من الدنيا وما فيها).

وفي رواية :

(صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان لقيد سوط) أو قال : (قوس - الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له -أو أحب له- من الدنيا جميعاً).[11]

رابعاً : قتال اليهود والقضاء عليهم

إن مشكلة اليهود معقدة مزمنة على طول التاريخ الإنساني، وبرزت أعقد مراحلها في هذا العصر، عندما أقام اليهود كيانهم في فلسطين، حيث أتعبوا العرب والمسلمين، وأشغلوا العالم أجمع، الذي أقبلت دوله وشعوبه تبحث في المشكله اليهودية، وفي محاولة إيجاد الحلول لها.

وقد نتج عن المشكلة العويصة التي تعتبر من أعوص المشكلات، خطر

داهم مدمر يتهدد الأمة الإسلامية عامة، وخطر خاص بأهل فلسطين في تهجير أبنائها وشعبها إلى قارات العالم الست، حيث سماها العالم القضية الفلسطينية، القضية التي ضيعها كثير ممن زعم الوصاية عليها، والإهتمام بها.

ولأهمية هذه المشكلة بالنسبة للأمة الإسلامية سأحاول أن أقدم صورة متكاملة حول ما جاء من وعود قرآنية. أو ما أخبر به النبي ﷺ لحل هذه المشكلة وتخليص البشرية من شرور هذه الأمة الضالة المؤذية، مستفيداً من البحث القرآني النفيس الذي أعده أخي العلامة الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله بعنوان -حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية- وما ذكر بعض العلماء أيضاً، مضيفاً إلى ماذكروا ماوصلت إليه من فهم من خلال أحاديث النبي ﷺ الصحيحة حول هذا الموضوع، لعلي أقدم خدمة لأخواني القراء أشعر أنها في غاية الأهمية.

الفساد طبيعة متأصلة في اليهود

اليهود مفسدون في الأرض، وهذه أبرز سمة من سمات تاريخهم كله، فهم من أكثر أهل الأرض رغبة في الفساد وحرصاً عليه، ويسبقون كل الأمم الأخرى فيه، وهم أساتذة هذا الفن، وموطن القدوة للراغبين فيه.

والفساد في الأرض ملازم لليهود منذ أيامهم الأولى من زمن موسى عليه السلام، وحتى عصرنا هذا وإلى أن يأذن الله بالقضاء النهائي على بقاياهم مع الدجال، ومن أفضل الآيات التي تشكل عنواناً لتاريخهم هي قول الله تعالى : «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين» (المائدة آية: ٦٤).

وقد أطلعنا القرآن على نموذجين من افسادهم الكثير، هذين النموذجين يتعلقان بالأمة الإسلامية، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً» (الإسراء آية : ٤).

فهم معاصر للإفسادين

إعتمد المفسرون القدامى لآيات الكتاب العظيم في موضوع فهم آيات سورة الإسراء فيما يتعلق بأمر اليهود على أمور تتناسب مع واقعهم في ذلك الزمان، فهم يرون أن إفسادات بني إسرائيل قد مضت قبل الإسلام، فهم يعيشون في ظل الخلافة الإسلامية القوية، ويرون اليهود يعيشون في المجتمع الإسلامي على شكل مجموعات متفرقة مشتتة ذليلة ضعيفة، لا يتصورون أن يكون لهم كيان في المستقبل، ولا أن يقع منهم علو وإفساد في الأرض، وما كان أحد من هؤلاء المفسرين يتصور أن يأتي على المسلمين زمان بدون خليفة أو سلطان أو نظام، ولا أن ينجح اليهود في هزيمة المسلمين وإقامة كيان لهم على أرضهم.

ولهذا توجه هؤلاء المفسرون إلى التاريخ اليهودي القديم، فاستقرؤه وبحثوا فيه عن الإفسادين المذكورين، فقالوا ما قالوا، واجتهدوا في تحديد هذين الإفسادين على ضوء هذا التاريخ، معتمدين على روايات إسرائيلية من التاريخ، لم تثبت تاريخياً ولا علمياً، ولم يعتمد أحد من هؤلاء المفسرين على حديث واحد صحيح ملزم عن رسول الله ﷺ في تحديد الإفسادين.

لهذا كله نلتمس لهم العذر في فهمهم هذا، ونسمح لأنفسنا بمخالفتهم وفي هذا يقول الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله :

(لذلك لابد من إعادة النظر في فهم نصوص الآيات التي تتحدث عن إفسادي بني إسرائيل، ولا بد من إعادة فهم أحداث التاريخ، على ضوء كلمات الآيات، ولا بد من القول بما توحي به هذه الآيات والأحداث التاريخية، ومن ثم لا بد من تقديم «فهم» وتفسير جديد معاصر للآيات، قائم على تلك الآيات ومستمد منها، مستصحب الأحداث التاريخية السابقة المتفقة مع الآيات، وملاحظة الحالة الحاضرة لليهود والمسلمين والأمم والدول في

هذه العالم المعاصر.

ولا مانع أن نخالف في هذ الفهم المعاصر تفسير وفهم ورأي واختيار العلماء السابقين -مع إجلالنا وتقديرنا لهم- طالما أنه اجتهاد في فهم آيات الإسراء، لا يعتمد على أحاديث صحيحة). [١٢]

«ولوأن المفسرين القدامى أدركوا هذ العصر الذي ابتلانا الله بالحياة فيه لربما أعادوا النظر في كلامهم، ولربما تراجعوا عن أقوالهم، ولنظروا في آيات الإسراء على هدي من صلة اليهود بالمسلمين وصراعهم معهم منذ بعثة محمد ﷺ وحتى هذه الأيام». [١٣]

وفي هذا يقول أستاذنا العلامة الدكتور فضل عباس حفظه الله في تعليقه على آيات سورة الإسراء المتعلقة باليهود :

ونعجب أن يختلف المفسرون وبخاصة المحدثون منهم حول تفسير هذه الآيات فلقد احتوت كتب التفسير على أقوال كثيرة في بيان هاتين المرتين، وننبه هنا إلى أن أي تفسير لكتاب الله جدير بالقبول، حري بالأخذ، لا بد أن يكون منسجماً مع السياق أولاً، متفقاً مع اللغة ثانياً، غير مخالف للمأثور الصحيح ثالثاً.

والأقوال التي ذكرت في كتب التفسير إما أنها لا تستند إلى أي دليل من الأثر الصحيح عن الرسول ﷺ فإنها مع هذا غيرمنسجمة مع السياق أولا وآخراً.

أما أولا : فلأن ما قبل هذه الآيات كان حديثاً عن الإسراء بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما آخراً: فلإنه جاء عقب هذه الآيات قوله : «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم».

ولقد نقل العلامة الشيخ حسنين محمد مخلوف في صفوة البيان عند تفسير هذه الآية، نقل عن الجبائي قوله : أن هاتين المرتين لم يرد في تعيينهما شيء

صحيح مما ذكره المفسرون.

وعلى هذا فإن الباب مفتوح للعلماء، وإن المجال واسع لأنه لا يعقل أن يكون هناك آيات من كتاب الله غير مبينة، فتظل خالية من التوجيه».[14]

الإفسادان مع هذه الأمة وليس مع غيرها

لقد ذكرت أن الإفساد صفة ملازمة لليهود في تاريخهم القديم، وإن إفسادات اليهود كثيرة ولا يهم الأمة المسلمة أن تحدّث عن هذه الإفسادات إذ كانت لاعلاقة لها بها، ولكن سياق الآيات يدل على أن هذين الإفسادين سيكون لهما علاقة بتاريخ هذه الأمة وحياتها ومستقبلها، وسيشكلان تهديداً مباشراً لدينها وعقيدتها، ولهذا جاءت الآيات القرآنية لتتحدث عنهما مباشرة في أثناء الحديث عن تكريم الله لهذه الأمة برحلة الإسراء والمعراج المباركة.

وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور فضل عباس حفظه الله :

«والخلاصة أن سياق الآيات لا يمكن أن نتناساه ونتجاهله في تفسير الآيات الكريمة فقوله سبحانه «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين» ينبغي أن يؤول على ما يخص هذه الأمة، وأؤكد مرة أخرى على السياق، إذ أن إفساد بني إسرائيل من قبل لا يعني هذه الأمة ولا يتفق مع السياق، ثم لماذا حدد الإفساد بمرتين اثنتين، إذا كان ذلك يتحدث عن تاريخهم قبل الإسلام» إلى أن يقول «إفساد بني إسرائيل قبل القرآن -إذن- وقبل أمة الإسلام، رغم أنه لا يتصل بشأن من شؤون المسلمين، لم يكن ينحصر في مرتين كذلك، هاتان المرتان -إذن- حري بهما ألا تكونا إلا مع هذه الأمة المسلمة. وهذا ما ترشد إليه الآيات بكلماتها وأسلوبها، وهو ما يرد كذلك على الأقوال التي ذكرت في كتب التفسير».[15]

وتحت عنوان : الحرب في الإفسادين بينهم وبين المسلمين : يقول الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله :

يكشف لنا سياق الآيات السابقة عن حقيقة هادية، وهي أن الحرب والمعركة في الإفسادين، بين اليهود من جهة، وبين نفس الأمة من جهة أخرى، أي أن إفساد اليهود الأول كان موجهاً إلى أمة، وأن هذه الأمة هي التي تزيل ذلك الإفساد، عندما تكون قوية، وأن الأجيال القادمة من هذه الأمة تصاب بالضعف، فيرد الله لليهود الكرة على الأمة نفسها بأجيالها اللاحقة، فيغلبونهم ويتمكنون منهم، ويصبون عليهم إفسادهم الثاني، ثم تتقوى أجيال ثانية من نفس تلك الأمة، فتتمكن من اليهود وتزيل أفسادهم الثاني.

فإذا علمنا أن إفسادهم الأول كان في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكرة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان : «ثم رددنا لكم الكرة عليهم».[16]

الإفساد الأول ومظاهره، وقضاء الرسول والصحابة عليه

وبناء على ما سبق ذكره يتبين لنا أن الإفساد الأول لليهود كان في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، يوم أن استوطنت قبائل اليهود من بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وأهل خيبر، الجزيرة العربية، حيث إختاروا أجود المناطق من حيث الزراعة، والموقع الإستراتيجي الهام للسيطرة على مقدرات القبائل العربية التي كانت تسكن الجزيرة، والتي فتنت بما عند اليهود من ثقافة وعلم ومعرفة، فاستطاع اليهود السيطرة على الجزيرة العربية إقتصادياً، وفكرياً وسياسياً، بما أشاعوه من فساد أخلاقي، واجتماعي وسياسي، قبل بعثة النبي ﷺ، وفي هذا يقول أخي الدكتور صلاح الخالدي :

عندما تتدبر الآية التي تحدثت عن إفسادهم الأول، ونطبقها على فترة حكمهم في المدينة فسنجدها تنطبق عليهم تماماً :

كان فسادهم عقدياً، فكانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الجنة

مقصورة عليهم، وأن عزيراً ابن الله وغير ذلك.

وكان فسادهم أخلاقياً فكانوا يعملون على إفساد أخلاق العرب من حولهم، وكان فسادهم اجتماعياً، حيث عملوا على تفكيك وإضعاف صلات العرب الإجتماعية.

وكان فسادهم علمياً، حيث روجوا لإسرائيليّاتهم هم، ونشروها بين العرب، وهي لا تعدوا كونها خرافات وأكاذيب وأساطير.

وكان فسادهم سياسياً حيث أفسدوا حياة القبائل العربية السياسية -إذا صح التعبير- ونشروا بينهم الخلاف والنزاع والفرقة، وحرصوا على ربط هذه القبائل بهم في صورة أحلاف، حيث كانت كل قبيلة عربية متحالفة ومرتبطة بقبيلة يهودية.

لقد أفسد اليهود كل مظاهر ومرافق ومجالات الحياة العربية، في منطقة المدينة قبل الإسلام، وتحكموا في المال والإقتصاد عند العرب، ويكفي أن نعلم أن سوق الذهب في المدينة كان بيد اليهود، وأن السوق الكبير للتجارة والبيع والشراء كان بيدهم، وأن المال كان بيدهم، وأنهم أرهقوا العرب بالقروض الربوية الباهظة.[١٧]

وأما عن إفسادهم بعد بعثة النبي ﷺ فقد كان أشد ضراوة من إفسادهم قبل البعثة، فقد كانوا يبشرون ببعثة النبي في الجزيرة العربية، فلما بعث النبي ﷺ كانوا هم أشد أعدائه وصدق الله عز وجل إذ يقول فيهم : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» (البقرة آية : ٨٩).

وقد برزت مظاهر عدائهم للنبي ﷺ ورسالة الإسلام وأبناء الإسلام في كثير من المواقف، أذكر منها على سبيل المثال، إنكارهم لنبوته رغم أنهم كانوا يبشرون به، وبحث اليهود عنه في طفولته كما جاء في قصة حليمة السعدية،

وتحذير الراهب بحيرى من كيد اليهود له، ومحاولة إغتياله حين هاجر إلى المدينة، وإعانة المشركين بالأسئلة المعضلة حتى يعجز النبي عن إجابتها، وحشد الأحزاب لحرب المسلمين، وغير هذه المظاهر وقد ذكرتها بتفصيلاتها، والحكم الحديثي عليها صحة وضعفاً في كتابي صحيح السيرة النبوية فمن أراد الاستزاده فلينظرها هناك.

وإلى كون إفسادهم في المدينة هو الإفساد الأول ذهب أستاذنا الدكتور فضل عباس حفظه الله.[١٨]

ولما استشرى خطرهم، وعم فسادهم، وتأذى المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة منهم أشد الأذى سلط الله عليهم الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فخضدوا شوكتهم، واستأصلوهم من المدينة المنورة، بل من الجزيرة العربية، وأراحوا الناس من شرورهم وكيدهم، في ضربات متتالية متتابعة قضت على شرورهم وشوكتهم، فكانت غزوات بني النضير، بني قريظة، وبني قينقاع، وغزوة خيبر، صفحات مشرقة في تاريخ السيرة العطرة، حددت الأسلوب الناجح للتعامل مع اليهود وهو مفهوم القوة، والقوة فقط.

وفي هذا جاء النص القرآني متطابقاً مع الحدث في قوله تعالى :«وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا، أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً».

وبعد أن تحدث الدكتور صلاح عن صفات الصحابة الذين قضوا على الإفساد الأول بالتفصيل قال:

«لقد ضمن الله تحقيق وعده ببعث الصحابة على اليهود، لإزالة إفسادهم الأول في المدينة بقوله «وكان وعداً مفعولاً» وتحقق ما وعد الله به في هذه الآية الكريمة على أيدي الصحابة في المدينة وبذلك قضوا على إفساد اليهود الأول».[١٩]

وإلى هذا مال الدكتور فضل عباس حيث قال :

«وعلى هذا تكون تلك المرة الأولى التي أفسد فيها بنو إسرائيل في الأرض، يوم أن اتصفوا بنكران الجميل، ورفضوا هذا التسامح الذي أكرمهم به النبي ﷺ والمسلمون، وتحالفوا مع الوثنية، وهموا بالقتل والسخرية والإعراض، فبعث الله عليهم هؤلاء الصفوة الخيرة، عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فتفذوا حكم الله فيهم، وانتهت هذه المرة الأولى».[٢٠]

دولة اليهود اليوم هي الإفساد الثاني والأخير

قد بينا قبل قليل أن الحرب في الأفسادين بين اليهود وبين المسلمين، وكيف أن الله قد آذن بالقضاء عليهم في الإفساد الأول في المدينة المنورة على يد النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وكيف أن عجلة الزمان دارت مرة أخرى، فضعفت صلة المسلمين بربهم، وتحالف عليهم أعداؤهم من كل حدب وصوب في هذا القرن وكادوا لهم بأن أزالوا الرابطة التي تربطهم كدولة واحدة، ونظام واحد وهي الخلافة الإسلامية في بداية هذا القرن وكيف حاول أعداؤنا من اليهود محاولاتهم الفاشلة مع السلطان عبد الحميد رحمه الله بتقديم الإغراءات الكثيرة مقابل موضع قدم في أرض بيت المقدس -فلسطين- ولم تجد تلك المحاولات نفعاً، فتآمروا على إسقاط السلطان عبد الحميد. بل وإسقاط الخلافة الإسلامية، واستصدروا من آلد أعداء الإسلام بريطانيا وفرنسا، وعد بلفور الذي أعطاهم مالا تملكه هاتان الدولتان في أرضنا، حقاً لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ولتبدأ مقدمات المرة الثانية للإفساد في حياة المسلمين، وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة «ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا».

وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور فضل :

وعلى هذا فقوله سبحانه «ثم رددنا لكم الكرة عليهم»، أي على هؤلاء

الذين جاسوا خلال الديار ، لا على أشخاصهم وإنما على ذريتهم من بعد، ويؤيد ما أقوله :

أ- كلمة (ثم) وهي للتراخي -كما يقول علماء العربية- وهذا التراخي يتسع لأزمنة طويلة، ويدرك هذا من قرأ القرآن الكريم ، فكلمة (ثم) إذن -تدل على المدة الزمنية الممتدة بين أولئك الصحابة وبين عصرنا الذي نعيش فيه.

ب- ومن أعجب ما في الأمر وأدل على الإعجاز والإيجاز كلمة (الكرّة) والكرّة يعبر بها عن الدولة، كما يقول علماء اللغة -والتاريخ يشهد أنه لم تكن لليهود دولة في تاريخ المسلمين، والواقع يقول أن هذه الدولة إنما كانت في أيامنا هذه، وهذه هي المرة إذن التي كان لليهود فيها دولة، وهذا ما أشارت إليه كلمة (الكرّة).[٢١]

وفي هذا يقول الدكتور صلاح الخالدي أيضاً : تحت عنوان «ثم رددنا لكم الكرة عليهم ..» : «ننظر في هذه الجملة من الآية السادسة من السورة، لنستخرج منها بعض الدلالات على ما نقول :

عبرت الآية عن الإفساد الثاني بحرف «ثم» وهوحرف يدل على التراخي، أي أن إفسادهم الثاني لا يعقب إفسادهم الأول مباشرة، وإنما هو متراخ متأخر عنه، فإفسادهم الأول كان بالمدينة، وإفسادهم الثاني الآن، وبين الإفسادين فترة زمنية تقارب أربعة عشر قرناً.

وهذا التراخي الزمني مستفاد من حرف ثم، لأن المعركة في الإفسادين هي بين اليهود والمسلمين، فإذا كانت الأجيال الأولى للمسلمين قوية، بحيث تمكنت من إزالة إفسادهم الأول، فإن خطر انحدار المسلمين يحتاج إلى فترة زمنية، ينحدرون فيها ويضعفون ويذلون، فيتمكن اليهود منهم، ويمارسون عليهم إفسادهم الثاني، هذه الفترة الزمنية أخذت أربعة عشر قرناً!!

وكل كلمة في الجملة «ثم رددنا لكم الكرة عليهم» تدل على أن المعركة في

الإفسادين هي بين المسلمين وبين اليهود» إلى أن يقول :«فالله رد الكرة لليهود على الأجيال اللاحقة للمسلمين الأوائل، الذين أزالوا إفساد اليهود الأول، أي أننا نحن مسلمي هذا الزمان المقصودون بالضمير في (عليهم)، ولم يكن لليهود كرة أخرى على الأقوام السابقين، الذين حاربوهم قبل الإسلام، ودمروا كيانهم الماضي على أرض فلسطين، هل كان لليهود السابقين كرة أخرى على قوم بختنصر البابلي؟ أو سنحاريب الآشوري؟ أو تيطس اليوناني؟ وهل حاربوا في الماضي أولئك الأقوام؟ وهزموهم واحتلوا بلادهم».[٢٢]

وتبرز مظاهر الإفساد بأقبح صوره في هذه الأيام في دولة اليهود، لأن الفساد والإفساد ملازمان لليهود في تاريخهم كله، وقد أخبرنا الله بذلك فقال: «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين » (المائدة : ٦٤).

والإفساد اليهودي الناتج عن حكمهم،يكون شاملا لكل الجوانب، متغلغلاً في كل المجالات، وهو إفساد للعقيدة والدين، والخلق والمال، والحكم والسلطان، والفكر والسلوك، والسياسة الإجتماعية، والفن والتعليم، وبإلقاء نظرة على الإفساد اليهودي لهذه المجالات في العالم المعاصر، يخرج بهذه النتيجة القرآنية.

والحكم اليهودي يقوم على العلو وهو التكبر والإنتفاش والتيه، والتبختر، والجبروت، العلو اليهودي يعني إستعباد الاخرين وإخضاعهم لليهود، وإذلالهم أمامهم، والقضاء على وجودهم وأموالهم، وأخلاقهم وإيمانهم وأعراضهم، وسحقهم أمام اليهود، وتحويلهم من بشر إلى حيوانات في صورة بشرية، ليخدموا اليهود، وإلا فما هم ببشر، لأنهم خلقوا من مني الحصان، كما يقول تلمود اليهود!!

وبإلقاء نظرة على العلو والإستكبار اليهودي لدول العالم وحكوماته وشعوبه

وزعمائه، في هذا العصر الحاضر، نخرج بهذه القناعة القرآنية :

إن اليهود يتعالون ويتكبرون على الشعوب الأخرى، لأنهم معقدون ناقصون مشوهون، مطعونون في نفسياتهم وشخصياتهم، لأنه لا يتكبر إلا ناقص، ولا يتعالى إلا مشوه.

وهذه الصفة والسمة لحكم اليهود : الإفساد والعلو، تدلنا أنه حكم وتحكم قصير، لزمن محدد قصير لأنه لن يطول حكم يقوم على ذلك، وفق السنة الربانية القاطعة :«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» (سورة القصص : ٨٣).[٢٣]

وتزداد شراسة إفساد دولة اليهود اليوم بعد أن رضخت الحكومات والأنظمة في العالم العربي والإسلامي، بعد توقيع اتفاقيات ما يسمى بالسلام المزعوم مع دولة اليهود، ليصبح العالم الإسلامي مسرحاً لإفسادهم من خلال ما يسمى بتطبيع العلاقات مع العدو اليهودي، ولم يبق من يرفض هذا الإفساد في العالم الإسلامي سوى الحركات الإسلامية على امتداد الأرض كلها، وخاصة على أرض فلسطين ممثلين بحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وحركة الجهاد الإسلامي اللتان تقومان بمقاومة جيش الاحتلال اليهودي، وقتل قطعان المستوطنين وجنود الإحتلال الذين يمارسون كل وسائل القتل والإرهاب، بحق شعبنا الفلسطيني على أرض فلسطين، بمساعدة ما يسمى السلطة الوطنية الفلسطينية التي ارتضت لنفسها أن تكون درعاً حامياً لليهود ضد أبناء شعبها.

وموقف الحركة الإسلامية والإسلاميين بشكل عام ليس جديداً بل هو قديم قدم هذه القضية في هذا القرن، فمع بدايات هذه المحنة في العشرينات والثلاثينات بدأ الإسلاميون دورهم إبتداءاً بالشيخ عز الدين القسام، والمجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، والشيخ فرحان السعدي، والشيخ يوسف أبو درة، وعبد القادر الحسيني، ووالده المجاهد الكبير كاظم الحسيني، والحاج أمين

الحسيني، والشيخ حسن سلامه كجهود فردية مشكورة لإعاقة مشروع دولة اليهود، إلى جهود منظمة ممثلة بالحركة الإسلامية بقيادة الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله، حيث بدأت جهود جماعته المنظمة لجمع التبرعات في الثلاثينات لدعم الجهاد الإسلامي على أرض فلسطين، لتنتقل إلى شراء الأسلحة ودعم المجاهدين بها، إلى إرسال كتائب المتطوعين من أنحاء البلاد الإسلامية المختلفة المحيطة بأرض فلسطين، فتنطلق كتائب المتطوعين من أردن الحشد والرباط بقيادة الشيخ عبد اللطيف أبو قورة رحمه الله، وكتائب المتطوعين من سوريا ولبنان بقيادة الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله، وكتائب المتطوعين من العراق بقيادة الشيخ محمد محمود الصواف رحمه الله، وكتائب المتطوعين من مصر بقيادة أحمد عبد العزيز وكامل الشريف ويوسف طلعت وغيرهم.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه ليخاطب الإمام البنا رحمه الله مؤتمر الحكام العرب المنعقد في عالية في لبنان، ناشدهم أن يسمحوا له بإرسال عشرة آلاف من المتطوعين للدفاع عن فلسطين، فتعرض للإغتيال في شوارع القاهرة في ١٢ شباط ١٩٤٩ ثم لتوقع إتفاقية رودس بعد إغتياله بيومين فقط والتي أقر فيها إحتلال اليهود لفلسطين، ومشاركة الحركة الإسلامية في الجهاد ضد اليهود بعد حرب عام ١٩٦٧م، ثم مشاركتهم في تفجير الإنتفاضة المباركة ولتبدأ المسيرة المباركة لحركة المقاومة الإسلامية «حماس» والتي إستطاعت من خلال جهادها وعملياتها أن تزرع الرعب في قلوب جنود الإحتلال على أرض فلسطين، ولا زالت ثمرة مباركة لشجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء مستعصية على الإحتواء والإذابة، ولتبقى زرعاً طيب يغيظ الكفار نباته وقوته، وهذا الجهد كله لم يستطيع أن يحرر الأرض المقدسة وينهي الإفساد الثاني، ولكنه يشكل أرضية مباركة وطيبة لتحقيق وعد

الله عز وجل في القضاء على دولة اليهود كما جاء في كتابه العظيم في سورة الإسراء، وليهيئ النفوس المسلمة للقيام بدورها من أندونيسيا شرقاً إلى المغرب غرباً، وعبر إمتداد الأرض كلها حيث يذكر فيها إسم الله عز وجل، ويعيش عليها مسلم مهما كانت جنسيته ولتذوب على أرضها كل الفوارق والأجناس. فكما إلتقت دماء المسلمين وشهداؤهم على أرض فلسطين في الأربعينات، ستلتقي هذه الدماء مرة أخرى حين يحقق الله وعده وينصر جنده على أرض الإسراء والمعراج، وهم يقومون بإزالة الإفساد الثاني عن أرضها، وتطهيرها من رجس اليهود ودنسهم.

معركتنا مع اليهود ذات مرحلتين

إن بعض المسلمين يردد مقولة ينطوي باطنها على سلبية قاتليها، وحبهم للقعود، ذلك أنهم يقولون : إننا لن ننتصر على اليهود إلا في زمن خروج الدجال. وهذ القول رغم أنه رجم بالغيب وتعطيل للشرع، فإن هناك من النصوص ما يدل على خلافه، ويثبت أن قتالاً سيخوضه المسلمون مع اليهود، وينتصرون عليهم فيه قبل زمن الدجال، وهذا ما سنوضحه بعد قليل بإذن الله.

إن معركتنا الشرسة القادمة مع اليهود تقوم على مرحلتين :

المرحلة الأولى : التي تحدثت عنها آيات سورة الإسراء، والتي توجّه إلى كيان اليهود على أرض فلسطين لتدميره، وإلى إفسادهم الثاني لإزالته، والتي تنتهي بإنتصار المسلمين المجاهدين على اليهود، ويتحقق فيها تدمير كيانهم، وإزالة إفسادهم، وإسترداد فلسطين كلها منهم، وتحويل اليهود بعدها إلى قوم أذلاء مستضعفين، ومجموعات مشتتة في مختلف البقاع.

المرحلة الثانية :التي تتم فيها إبادة اليهود تماماً، وإفناؤهم نهائياً، وإراحة البشرية من وجودهم، بحيث لا يبقى بعدها يهودي حياً، وهذه المرحلة متأخرة. لعلها تأتي في اللحظات الأخيرة من عمر الدنيا، حيث سيظهر

الدجال، وهو -يهودي- من جهة المشرق، وحيث سيتبعه من يهود أصفهان وحدها من إيران- سبعون ألف يهودي، ثم يحارب عيسى ابن مريم عليه السلام الدجال ومن معه من اليهود، ويقتل الدجال بيده الشريفة عليه السلام، وفيها سيقضي المسلمون على كل يهودي.

أما قوله «فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا» فهو يتحدث عن إزالة الإفساد الثاني لليهود، ويكون قبل الجولة الأخيرة من المعركة بزمن طويل، وتحقيق هذا قريب بعون الله.

إنها حرب طويلة مديدة بيننا وبين اليهود، بدأت منذ بعثة محمد ﷺ، وسوف تستمر حتى خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، والقضاء على آخر يهودي بعد ذلك، هذه المعركة الطويلة لها جولات وجولات، وفيها كر وفر، يغلبنا فيها اليهود مرة، ونغلبهم مرات، ويهزموننا مرة، ونهزمهم مرات. وإن أشد وأعنت وأقسى جولات هذه المعركة، هي هذه الجولة التي نعيش فيها في هذا الزمان، والتي تحققت فيها غلبة اليهود علينا، وهزيمتهم لنا، ولكنها جولة، تتبعها جولات، لنا فيه الظفر والغلبة والنصر بإذن الله.[٢٤]

المرحلة الأولى : هزيمة وإزالة وليس إبادة

يقول الله عز وجل «فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم» :

إن إساءة الوجه لليهود تعني : هزيمتهم في المعركة، وإزالة فسادهم، والقضاء على علوهم وغطرستهم، إن سوء وجوههم يبدو في مرارة الهزيمة، التي ينتج عنها ذلهم وهوانهم وضعفهم.

وقوله : «وليتبروا ما علوا تتبيرا» يساعد على توضيح طبيعة وسير المعركة بين المسلمين واليهود أيضاً، فهؤلاء المسلمون المجاهدون المنتصرون الذين دخلوا المسجد وغلبوا اليهود، سوف يتبرون كل ما علوا عليه تتبيرا، وسوف

يدمرون كل ما ظهروا عليه تدميرا، وسوف يزيلون قوة وسلطان اليهود.

إنهم لا يبيدون اليهود إبادة في هذه المرحلة من معركتهم الطويلة مع اليهود، ولا يفتونهم إفناءً، وإنما يتبرون ويدمرون قوتهم، ويقضون على أسلحتهم وينهون كيانهم.

في هذه المرحلة سيعلو المسلمون المجاهدون، ويظهرون على جيش اليهود، وعلى أسلحة اليهود، وعلى مرافق ومؤسسات وقاذفات اليهود، وعلى الأسلحة الذرية والكيماوية التي عند اليهود، وعلى مفاعلاتهم النووية، وترساناتهم العسكرية، سوف يتبرون كل ذلك تتبيراً، ويدمرونه تدميراً، ويبيدونه إبادة، وبذلك سوف يسيئون وجوه اليهود، لأن اليهود سوف يتحولون بعد ذلك التدمير والتتبير لكل ما يملكون، إلى مجموعة ذليلة مشتتة بين الشعوب والأمم.[٢٥]

وقد جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث الدالة على قتال اليهود وإنتصار المسلمين عليهم ما يلي :

٨٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أوالشجر: يا مسلم! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلاّ الغرقد، فإنه من شجر اليهود) اللفظ لمسلم.

وفي لفظ البخاري (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي ! يا مسلم: هذا يهودي ورائي فاقتله)[٢٦]

٨١- ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

(تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله) اللفظ للبخاري.

وفي لفظ آخر للبخاري «تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله ! هذا يهودي ورائي فاقتله».

وفي لفظ لمسلم (لتقاتلنّ اليهود فلتقتلنهم، حتى يقول الحجر : يا مسلم ! هذا يهودي فتعال فاقتله).

وفي لفظ آخر لمسلم (تقتتلون أنتم ويهود، حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله).[٢٧]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري :

تقاتلون : جواز مخاطبة الشخص والمراد غيره ممن يقول بقوله ويعتقد بإعتقاده، لأنه من المعلوم أن الوقت الذي أشار إليه ﷺ لم يأت بعد، وإنما أراد بقوله تقاتلون مخاطبة المسلمين.

في الحديث إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام فإنه الذي يقاتل الدجال ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال».[٢٨]

وقال في موضع آخر :

وفي الحديث ظهور آيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الإختباء والأول أولى».[٢٩]

وكما ذهب المفسرون من السابقين في فهم آيات سورة الإسراء إلى أن إفساد بني إسرائيل المذكور قد مضى واعتمدوا في ذلك على اجتهادهم في فهم الآيات حسب واقعهم الذي عاشوه في ظل حكم وسيطرة الخلافة الإسلامية، ولم يكونوا يتخيلون أو يتوقعون، أن يصبح المسلمون في حالة ضعف وهوان، وأن تزول الخلافة الإسلامية، ويجتمع اليهود الذين يعيشون في ضعف وتشتت وهوان، في ظل الدولة الإسلامية، ليصبحوا أصحاب سلطان ودولة، وأن يهزموا المسلمين وأن يأخذوا منهم فلسطين. ولذلك ذهب

هؤلاء العلماء إلى أن إفسادي اليهود قد وقعا قبل بعثة محمد ﷺ.

ذهب أيضاً شراح الحديث النبوي إلى أن قتال اليهود المقصود الذي أخبر عنه النبي ﷺ، سيكون مع قتال المسلمين للدجال، وقتله ومن معه من اليهود، متعاونين مع عيسى عليه السلام، لأنهم لم يكونوا يتوقعون كعلماء التفسير أن يكون لليهود سلطان ودولة مرة أخرى.

وكم عذرنا علماء التفسير لفهمهم للآيات، وأعدنا النظر في الآيات وفقاً للحياة الحاضرة لليهود والمسلمين والدول والأمم، في هذا العالم المعاصر، كذلك نلتمس العذر لشراح الحديث ونذهب إلى فهم الأحاديث أيضاً على نفس النهج الذي فهمنا به الآيات الكريمة، ولنا من الشواهد والأحاديث النبوية الشريفة ما يؤيد هذا الرأي الذي سنذهب إليه.

فقد جاءت الأحاديث الشريفة مبينة وموضحة لقتال يحدث بين المسلمين وبين اليهود، ولليهود سطوة ودولة، وهم أصحاب نفوذ وسلطان، وكما ذكرت في توضيح الآيات أن الإفساد الثاني لليهود هو في علوهم واستكبارهم، وفي استعبادهم للأمم الأخرى، وفي امتصاصهم لمواردها وخيراتها، فهم إذن أصحاب القوة والدولة وهو ما يتناسب مع قوله ﷺ في حديث أبي هريرة :

(حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون) وقوله (حتى تقاتلوا اليهود) وقوله في حديث إبن عمر (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم) وقوله (تقاتلون اليهود) وقوله (لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم) وقوله (تقتتلون أنتم ويهود).

والناظر إلى هذه العبارات بتدبر يشعر أن القتال الذي يكون بين المسلمين واليهود، إنما يحدث واليهود لهم سطوة وقوة، وشدة وبأس، وهو ما عبرت عنه الآيات بقولها «ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً».

وهناك أمراً آخر لا بد من الإنتباه إليه وهو قوله ﷺ :

(فيقول الحجر أو الشجر : يامسلم يا عبد الله) (حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم) (حتى يقول الحجر : يا مسلم) (حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله) فهذا القول متطابق مع الآيات حين أخبرت عن صفات الذين يقاتلون اليهود ويزيلون إفسادهم في المرة الأولى، وفي المرة الثانية «عباداً لنا أولي بأسٍ شديد» «وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة»، فأبرز صفات المسلم العبودية الصادقة لله رب العالمين، وشدة البأس على أعداء الله عز وجل حيث يقول الله تعالى في وصفهم «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» (المائدة : ٥٤).

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» (الفتح :٢٩).

فالمعركة إذن هي بين اليهود أصحاب السطوة والقوة، وبين المسلمين الذين وصفهم النبي ﷺ بالعبودية والإسلام.

ومما يؤيد ما ذهبت إليه أن هذه الأحاديث يراد بها قتال اليهود في إفسادهم الثاني الذي نحياه، والمتمثل بدولة اليهود على أرض فلسطين، وليس ما ذهب إليه شراح الحديث من أن القتال المراد هو قتال اليهود الذين مع الدجال أن هناك نصوصاً تدل على نزول الخلافة في بيت المقدس، وكيف تنزل الخلافة بيت المقدس واليهود يسيطرون عليها وعلى أرض فلسطين، إذ أن المسلمون الذين يعينون عيسى عليه السلام على قتال الدجال وشيعته من اليهود تكون مقر خلافتهم في بيت المقدس، وإمامهم في ذلك الزمان المهدي عليه السلام، والذي يستقر في بيت المقدس ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ فيما رواه عنه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم :

٨٢- عن ابن زغب الايادي، قال : نزل عليٌ عبد الله بن حوالة الأزدي فقال :

بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئاً، وعرف

الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال :

(اللهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم على الناس فيستأثروا عليهم).

ثم وضع يده على رأسي -أو قال- على هامتي ثم قال :

(يا إبن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك).[٣٠]

فهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن دولة الخلافة الإسلامية ستنزل في أرض بيت المقدس، وأن الأمور العظام ومنها الدجال سيدنو وقتها عند مجيئ هذه الخلافة، فكيف ستأتي هذه الخلافة وتنزل بيت المقدس، واليهود يسيطرون على أرض فلسطين كاملة ومنها بيت المقدس.

٨٣- ومنها ما جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال)، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال : (إن هذا الحق كما أنك ههنا أو كما أنك قاعد).[٣١]

فعمران بيت المقدس بالخلافة النازلة فيها، وسيكون هذا العمران قبل خراب يثرب الذي يتم حين يرسل جيش من الشام لقتال المهدي عليه السلام الذي يبايع خليفة للمسلمين على أثر موت خليفة من خلفاء المسلمين الذين تنزل خلافتهم، أو تكون مقر إقامتهم في بيت المقدس، لأن المهدي سرعان ما يعود إلى بيت المقدس ليستقر فيها خليفة للمسلمين، وهذا قبل خروج الملحمة، وقبل فتح القسطنطينية، وقبل خروج الدجال.

فهل ستقوم تلك الخلافة في بيت المقدس، والقدس مع ذلك عاصمة موحدة لدولة اليهود، وهل ستقوم هذه الخلافة في بيت المقدس دون قتال أوجهاد إسلامي لليهود هناك، وتولي المهدي عليه السلام الخلافة على أثر موت خليفة من خلفاء المسلمين قد جاء :

٨٤- عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال :

(يكون إختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من (قريش) من أهل المدينة، هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة، والمدينة.....) وذكرت الحديث.[٣٢]

٨٥- وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :

خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال... وقال فيه (إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص).

قالت أم شريك : فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟

قال : (هم يومئذ قليل، وجُلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى ابن مريم عليه السلام...) الحديث.[٣٣]

٨٦- وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

(ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي، تعال صلي بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة).[٣٤]

ومما يؤيد ما ذهبت إليه من أن قتال المسلمين لليهود وهم أصحاب سطوة وقوة، فيقضون على هذه القوة والدولة ويتبقى لهم بقايا في أرض فلسطين، يعيشون كرعايا في ظل الخلافة الإسلامية، ويتوزع الآخرون في مناطق أخرى، ما جاء من إشارات في سؤال الدجال لتميم الداري ومن معه عن نخل بيسان،

وبحيرة طبرية، وعين زغر، وهي إشارات يطمئن فيها على بعض أتباعه الذين يعيشون في هذه المناطق فقد جاء :

٨٧- من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها -الطويل عن الدجال- قال رسول الله ﷺ :

(..... فقال : أخبروني عن نخل بيسان.

قلنا : عن أي شأنها تستخبر؟. قال : أسالكم عن نخلها هل يثمر؟

قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا يثمر.

قال : أخبروني عن بحيرة طبرية. قلنا : عن أي شأنها تستخبر؟

قال : هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء.

قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال : أخبروني عن عين زغر، قالوا عن أي شأنها تستخبر؟

قال : هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا له : نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها....).[٣٥]

هذه الإشارات في هذا الحديث تدل على أن الدجال يريد أن يطمئن على شيعته وأتباعه من اليهود الذين يبقون في هذه المناطق وفي ذلك يقول الأستاذ سعيد أيوب في كتابه القيم (المسيح الدجال) ما نصه :

«لقد سأل الدجال عن بيسان التي لا يثمر نخلها، وسأل عن طبرية التي جف ماؤها، وهذه إشارة إلى أن القوم في هذه المنطقة أعمتهم المادة وأفسدت فطرتهم، وسكان هذه المناطق آخر الزمان هم اليهود، وهي منطقة غور الأردن، التي ستشهد أعظم المعارك ضد الدجال آخر الزمان، وغور الأردن يبدأ من بحيرة طبرية، ثم يمتد إلى بيسان، حتى ينتهي إلى زغر وأريحا.

وقال الجغرافيون بعض الغور من حد الأردن إذا تجاوز بيسان كان حد

فلسطين، وهذا يفيد أن زغر أو عين زغر التي تعداها الدجال، ولم يتنبأ بجفاف مائها عند حديثه مع تميم الداري، ستكون بعيدة عن الشريط الذي سيتواجد فيه اليهود والذي يبدأ من طبرية إلى بيسان، وتعدي الدجال (لعين زغر) وسؤاله عن النبي الأمي وكيف تعامل مع أعدائه، يفيد بأن على تلال عين زغر آخر الزمان سيكون للإسلام صقور.

وبهذا تكون الخلة التي ذكرها النبي ﷺ هي حدود (دولة اليهود) آخر الزمان، وأشهد بأنه في العصر الذي أعيشه وفي الجيل الذي أنتمي إليه، رفعت أعلام (دولة اليهود) على مساحات أكبر من مساحات الخلة، للأسف الشديد، وغداً وعندما نموت نحن سوف يأتي الرجال الذين يفرضون على (دولة اليهود).[٣٦] قطعة الأرض التي ينبغي أن تعيش فيها طائفة اليهود، من منطلق أن الإسلام يحترم الأقليات».[٣٧]

من كل ما سبق وأن ذكرناه يتبين لنا أن قتال اليهود سيتم على يد المسلمين، فيقضون بذلك على إفسادهم الثاني، ويهزموهم ويزيلوا دولتهم، ويتبروا قوتهم ويدمروها، فلا تنفعهم التحصينات ولا الأسلحة الثقيلة الكثيرة، ولا الطائرات وغيرها ، لأن وعد الله عز وجل متحقق بتدميرها جميعاً في قوله سبحانه «وليتبروا ما علو تتبيرا».

المرحلة الثانية : مرحلة الإبادة والإفناء

وهي التي تتم بها إبادة اليهود تماماً، وإفناؤهم نهائياً، وإراحة البشرية من وجودهم، بحيث لا يبقى بعدها يهودي حياً، وهذه المرحلة متأخرة، لعلها لا تأتي إلا في اللحظات الأخيرة من عمر الدنيا، حيث سيظهر الدجال وهو-يهودي- من جهة الشرق، وحينها سيتبعه من يهود أصبهان وحدها سبعون ألف يهودي، ثم يحارب عيسى ابن مريم عليه السلام الدجال ومن معه من اليهود. ويقتل الدجال بيده الشريفة عليه السلام، وفيها سيقضي المسلمون

على كل يهودي ممن كانوا معه.

هذه هي الجولة الأخيرة من الجولات العديدة، للحرب الطويلة بيننا وبين اليهود، تلك الجولة التي يكون فيها المسلمون مجاهدين مع عيسى عليه السلام، ويكون فيها اليهود جنوداً مع المسيح الدجال، والتي تنتهي بإفناء كل يهودي، والتي تقوم بعدها الساعة.

والأحاديث التي سنذكرها لاحقاً تدل على أن اليهود في هذه الجولة -المرحلة- سيكونون أشياعًا وأتباعاً وجنوداً، ليس لهم دولة وسطوة، والتعبيرات في هذه الأحاديث مختلفة تماماً، عما ذكرنا في حديث إبن عمر وأبي هريرة في المرحلة الأولى، فالعبارات والكلمات في الحديثين المذكورين معبرة عن قوة وسطوة دولة اليهود بينما العبارات التي سأشير إليها في الأحاديث التالية تعبر عن وضعية التبعية، والضعف، فالسطوة والقوة للدجال، والتبعية والجندية، والتشيع من اليهود، ولذلك سنلحظ الإختلاف بين المرحلتين ومن هذه الأحاديث التي تدل على تبعيتهم وعدم وجود نفوذ لهم ما يلي :

٨٨- عن إبن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

(ينزل الدجال في هذه السبخة، بمر قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى أن الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه وإبنته، وأخته، وعمته، فيوثقها رباطاً، مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط الله المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم : هذا يهودي تحتي فاقتله).[٣٨]

٨٩- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :

(يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة).[٣٩]

٩٠- من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال :

«قام يوماً خطيباً فذكر في خطبته حديثاً عن رسول الله ﷺ . . . .» إلى أن قال (. . . . . أن عيسى ابن مريم ﷺ يُصبح فيهم فيهزمه الله عز وجل وجنوده حتى أن أصل الحائط أو جذم الشجر[10] لينادي : يا مؤمن هذ كافر مستتر بي، تعال فاقتله. . .).[11]

٩١- من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :

خطبنا رسول الله عليه السلام فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال . . . إلى أن قال (. . . فيقول عيسى ﷺ : إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه عند باب لُد الشرقي فيقتله فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل شيئاً يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا شجرة ولا حجر ولا دابة إلا قال : يا عبد الله المسلم، هنا يهودي فاقتله -إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق. . .)[12]

وحين نعقد مقارنة بين ألفاظ الأحاديث في المرحلتين سيتبين لنا الفارق الواضح الذي يدل على القوة والسطوة، والنفوذ والدولة، في المرحلة الأولى وأن اليهود فيها هم أصحاب القرار في قتال المسلمين، وبين التبعية والجندية والتشيع للدجال في المرحلة الثانية، وأنهم لا يملكون فيها إلا تنفيذ قرارات الدجال صاحب الشأن الأول، والقرار المسيطر في المرحلة الثانية :

ألفاظ أحاديث إبن عمر وأبي هريرة في المرحلة الأولى :

- يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون.
- حتى تقاتلوا اليهود.
- تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم
- تقاتلون اليهود.
- لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم
- تقتتلون أنتم ويهود.

ألفاظ أحاديث المرحلة الثانية التي مع الدجال:

- فيقتلونه ويقتلون شيعته
- يتبع الدجال من يهود أصبهان.
- فيهزمه الله عز وجل وجنوده.
- فيقتله فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل شيئاً يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء. .

وبهذا يتبين لنا أن الصراع بين المسلمين واليهود بقي له جولتان مهمتان، ينتهي بهما:

- **الجولة الأولى** : حيث تنتهي دولة اليهود على أرض فلسطين، ويقضى فيها على دولة اليهود، وتبقى منهم بقايا في مناطق محددة في فلسطين، وفي مناطق أخرى من العالم، والذين يقومون بتنفيذ هذه الجولة هم المسلمون، ممثلين بدولة إسلامية صادقة النوايا، تقوم بهذه المهمة وتقيم خلافة صادقة إسلامية على أرض الإسلام، وعاصمة هذه الخلافة هي بيت المقدس.
- **الجولة الثانية** : حيث ينتهي الوجود اليهودي عن الأرض، وتستريح البشرية جمعاء من شرور اليهود وبشكل نهائي، حيث لا يبقى على الأرض يهودي واحد، ويقوم بهذه المهمة عيسى عليه السلام ومن معه من جنود الخلافة الإسلامية، حيث يقضون على الدجال وجنوده من اليهود وغيرهم، حيث سيكون اليهود مجموعة من الأتباع للدجال، فيقضى على الدجال ومن معه جميعاً .

خامساً: نزول الخلافة الإسلامية بيت المقدس

أخبر النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة عن الخلافة الإسلامية، وأنها ستكون هي المرحلة الأخيرة في تاريخ الأمة الإسلامية، حيث سيمتد زمانها إلى نهاية تاريخ البشرية بشكل عام، فقد رتب الرسول ﷺ مراحل تاريخ الأمة الإسلامية إلى عدة مراحل، فنالت الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة المرحلة الثانية، والمرحلة الأخيرة، فقد جاء هذا في حديث صحيح عنه ﷺ :

٩٢- من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال :

كنا قعوداً في المسجد وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال :

يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الامراء؟ فقال حذيفة : أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة قال رسول الله ﷺ :

(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت)[١٣]

وقد تحققت كل هذه المراحل في حياة الأمة الإسلامية، من مرحلة النبوة في حياة رسول الله، ومن الخلافة على زمن النبوة في زمن الخلفاء الراشدين، ومن الملك العاض في زمن الخلافة الأموية، والعباسية، والعثمانية حتى سقوط الخلافة الإسلامية في عام ١٩٢٤، حيث ابتدأت مرحلة الملك الجبري وهي المرحلة التي تعيشها أمتنا الإسلامية هذه الأيام في صورة الانقلابات العسكرية وغيرها، ونحن ننتظر المرحلة الأخيرة التي تمتد إلى نهاية الكون حيث ستسعد الأمة الإسلامية بل البشرية قاطبة بهذه المرحلة، تلك المرحلة

التي تعني خلافة على منهاج النبوة، وهي المرحلة التي تصبوا إليها الأمة الإسلامية والبشرية كافة لأنها وحدها التي تملك حل كل مشكلاتها، وفيها أسباب سعادتها.

وهذه المرحلة -مرحلة الخلافة على منهاج النبوة- سيكون من أجل أعمالها القضاء على دولة اليهود المزعومة والقائمة على أرض فلسطين، وستنزل هذه الخلافة في أرض بيت المقدس كما جاء في حديث النبي ﷺ.

٩٣- عن إبن زغب الأيادي، قال : نزل عليّ عبد الله بن حوالة الأزدي فقال :

بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال :

(اللهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم).

ثم وضع يده على رأسي -أوقال - على هامتي ثم قال :

(يا إبن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك).[١٤]

وسيكون في نزول الخلافة الإسلامية بيت المقدس عمران لها، وسبب ذلك الإهتمام الذي ستبديه الخلافة ببيت المقدس، وهذا ما أخبر عنه النبيﷺ :

٩٤- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال).

ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبيه ثم قال : (إن هذا هو الحق كما إنك ههنا أو كما أنك قاعد).[١٥]

وسيمتد أمر هذه الخلافة فترة من الزمان يسعد الناس عامة بحكمها. ويشاء الله أن يرزق الأمة بخليفة يحقق ما وعد رسول الله بتحقيقه من فتح القسطنطينية، ويملأ الأرض عدلاً وخيراً، كما إمتلأت جوراً وظلماً، هو المهدي عليه السلام، ويكون ذلك على إثر موت خليفة، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ كما جاء.

٩٥- عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال :

(يكون إختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من (قريش) من أهل المدينة، هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة، والمدينة.....)[١٦]

وسيبادر المهدي عليه السلام إلى الإقامة ببيت المقدس مقر الخلافة الإسلامية، وذلك بعد الإنتهاء من البعث الذي يرسله إليه من استأثر بالأمر في الشام، وقد جاء حديث صحيح عن النبي ﷺ يخبر عن نزوله بيت المقدس.

٩٦- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :

خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال... وقال فيه (إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص.)

قالت أم شريك : فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟

قال : (هم يومئذ قليل، وجُلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى إبن مريم عليه السلام...) الحديث.[١٧]

وسيبقى المهدي في الخلافة حتى نزول عيسى عليه السلام، ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام إماماً في بيت المقدس، ثم يتعاونان معاً على قتال الدجال وأشياعه من اليهود وغيرهم، ويعيش الناس بسعادة غامرة تحت حكم

عيسى ابن مريم عليه السلام، وقد جاء هذا.

٩٧- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

(ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي، تعال صلِّ بنا، فيقول :لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة).[١٨]

الهوامش

١- بشيء من التصرف من كتاب أستاذنا الدكتور صلاح الخالدي «هذا القرآن» ص (٢٠٩-٢١٥).

٢- من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك للشيخ سعيد حوى رحمه الله ص(١٥١).

٣- سبق تخريجه برقم : (٢١).

٤- سبق تخريجه برقم : (٢٢).

٥- سبق تخريجه برقم : (١٩).

٦- سبق تخريجه برقم : (١٣).

٧- أخرجه الحاكم موقوفاً (٤/ ٤٥٧) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

٨- ترغيب أهل الإسلام ص(٣٧).

٩- أخرجه مسلم برقم : (٢٩١٣)، وأحمد في المسند (٣/ ٢١٧) وأبو يعلى في المسند برقم :(١٢١٦)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٣٣٠).

● القفيز : مكيال معروف لأهل العراق.

● أسكت هنيئة : أطرق مدة من الزمان.

● مدي : مكيال معروف لأهل الشام.

● يحثي المال : الحفن باليدين.

١٠- أخرجه مسلم برقم : (٢٨٩٦)، وأبو داود برقم : (٣٠٣٥)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٦٢).

١١- سبق تخريجه برقم : (٩).

١٢- حقائق قرآنية ص (١٢٠-١٢١).

١٣- الشخصية اليهودية ص (٣٣٠).

١٤- المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ص (١١٧-١١٨).

١٥- المصدر السابق ص (١١٩-١٢٠).

١٦- حقائق قرآنية ص (١٣٦).

١٧- حقائق قرآنية ص (١٢٨).

١٨- المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ص (١٢٠).

١٩ حقائق قرآنية ص (١٣٥).

٢٠- المنهاج ص (١٢٠-١٢١).

٢١- المنهاج ص (١٢١-١٢٢).

٢٢- حقائق قرآنية ص (١٣٦-١٣٧).

٢٣- حقائق قرآنية ص (١٢٢- ١٢٣).

٢٤- حقائق قرآنية ص (١٤٧-١٤٨).

٢٥- حقائق قرآنية ص (١٤٧).

٢٦- أخرجه البخاري برقم : (٢٩٢٦)، ومسلم برقم : (٢٩٢٢) وأحمد في المسند : (٢/ ٤١٧)، والخطيب في التاريخ : (٧/ ٢٠٧)، والبغوي في شرح السنة برقم : (٤٢٤٣).

● الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود، قال أبو حنيفة الدينوري : إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة شرح صحيح مسلم (١٨/ ٤٤-٤٥).

٢٧- أخرجه البخاري برقم : (٢٩٢٥, ٣٥٩٣)، ومسلم برقم : (٢٩٢١)، والترمذي برقم : (٢٢٣٦)، وأبو يعلى برقم : (٥٥٢٣)، وابن حبان كما في الإحسان برقم : (٦٨٠٦)، والبيهقي في السنن (٩/ ١٧٥) وعبد الرازق برقم : (٢٠٨٣٧)، وأحمد في المسند :(٢/ ٦٧، ١٢٢، ١٣١، ١٣٥، ١٤٩).

٢٨- فتح الباري : (٦/١٠٣).

٢٩- فتح الباري : (٦/ ٦١٠).

٣٠- أخرجه أبو داود برقم : (٢٥٣٥)، وأحمد في المسند : (٥/٢٨٨)، والحاكم في المستدرك (٤/٤٢٥) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٨٣٨).

٣١- أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٤٥) وأبو داود برقم : (٤٢٩٤)، والطبراني في الكبير (٢٠/١٠٨) برقم : (٢١٤)، ومسند الشاميين برقم : (٣٥١٤)، وهو حديث صحيح، قال إبن كثير عنه : هذ إسناد جيد وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجلال النبوة وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٠٩٦).

٣٢- سيأتي تخريجه برقم : (١٠١) أثناء حديثنا عن المهدي عليه السلام.

٣٣- سيأتي تخريجه برقم : (١٠٢).

٣٤- سبق تخريجه برقم : (٧٤) وسيأتي ذكر هذه الرواية برقم (١٠٤).

٣٥- أخرجه مسلم برقم : (٢٩٤٢)، وأبو داود برقم : (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، وإبن ماجة برقم : (٤٠٧٤)، والترمذي برقم : (٢٢٥٣) والحميدي برقم :(٣٦٤) وإبن أبي شيبة : (١٥/١٥٤-١٥٦)، والطبراني في الكبير : (٢٤/٣٨٥-٤٠٣) برقم : (٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١)، وإبن مندة في الإيمان برقم : (١٠٥٧-١٠٦٠)، والآجري في الشريعة : ص(٣٧٦)، وأحمد في المسند : (٦/٣٧٣-٣٧٤).

٣٦- ما بين الأقواس عبارة أثبتها بدل عبارة المؤلف -إسرائيل- لأن هذا هو الأولى بالصواب.

٣٧- المسيح الدجال لسعيد أيوب ص (٢٣٠-٢٣١).

٣٨- أخرجه أحمد في المسند (٢/٦٧) وصححه أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على المسند برقم :(٥٣٥٣)، وله شواهد من حديث سمرة ابن جندب، وأبي أمامة.

٣٩- أخرجه مسلم برقم : (٢٩٤٤)، وإبن حبان كما في الإحسان برقم : (٦٧٩٨).

٤٠- الجذم : الأصل.

٤١- سيأتي تخريجه برقم : (١٣٣) حيث سأورده بلفظ كامل.

٤٢- سيأتي تخريجه برقم : (١٠٢).

٤٣- أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٧٣) والبزار كما في كشف الأستار برقم: (١٥٨٨)، والطيالسي برقم : (٤٣٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/١٨٩) : رواه أحمد والبزار أتم منه والطبراني ببعضه في الأوسط ورجاله ثقات وصححه العراقي كما نسبه إليه الألباني وصححه أيضاً في الصحيحة برقم (٥).

٤٤- سبق تخريجه برقم : (٨٢).

٤٥- سبق تخريجه برقم : (٨٣).

٤٦- سيأتي تخريجه برقم : (١٠١).

٤٧- سيأتي تخريجه برقم : (١٠٢).

٤٨- سبق تخريجه برقم : (٧٤) وسيأتي ذكر هذه الرواية بلفظها برقم (١٠٤).

سادساً: مكان إقامة واستقرار المهدي عليه السلام في الأرض المقدسة

إن من الأمور التي تتعلق بعلامات الساعة الكبرى ظهور المهدي، كما عد ذلك بعض العلماء، والأغلب منهم عد ظهوره بين يدي العلامات الكبرى، لأن له علاقة ومشاركة في بعض أحداثها، فهوالرجل الصالح الذي ينزل عليه عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأتيه إلى بيت المقدس، ويساعد عيسى عليه السلام في قتل الدجال، وقد علمنا أن ظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من علامات الساعة الكبرى.

والمهدي رجل صالح من آل رسول الله ﷺ، يأتي في آخر الزمان، وقد ملئت الأرض ظلماً وجوراً، فيملؤها قسطاً وعدلاً، يملك سبع سنين أو تسع سنين، ويبعث الله تعالى من يمهد ويوطىء لبيعته وإمامته، وذلك عند موت خليفة، حين تكون رقاب الناس خالية من بيعة لخليفة.

ويعتقد أهل السنة بأن رجلاً صالحاً من نسل رسول الله ﷺ سيظهر في آخر الزمان، ليرشد الناس إلى الحق، ويردهم عن الضلال، إلا أن هذا الاعتقاد لا يعد عندهم من أصول الدين الهامة، وإنما هو أمر فرعي يقول السفاريني:

وما أتى بالنص من اشراط　　فكله حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح　　محمد المهدي والمسيح[1]

ويقول: قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق: أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عدّ من معتقداتهم» حتى قال: فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة»[2][3].

ولن يكون كلامي هنا طويلاً إلا بمقدار ما يوازي حاجتي إليه في هذا الموضع، وسيكون الكلام عن المهدي عليه السلام باتجاهات عديدة هي:

أ- أوصافه عليه السلام

قد جاءت أوصافه عليه السلام من أحاديث كثير من الصحابة اخترت منها الأحاديث التالية:

٩٨- فمن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً، أو ثماناً، يعني حجة)[4].

٩٩- ومن حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(المهدي من عترتي من أولاد فاطمة)[5].

١٠٠- ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملا الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين)[6].

ومن هذا تأكد لدى العلماء، من السنة المطهرة، وعن أكابر الصحابة، والمحدثين، أنه سيجيء في آخر الزمان رجل من أهل بيت الرسول ﷺ، من سلالة فاطمة رضي الله عنها، يسمى محمد أو أحمد بن عبد الله المهدي، يتولى الخلافة على البلاد الإسلامية، ويتبعه المسلمون الصادقون، ويقيم شريعة الإسلام، ويحيي سنة رسول الله ﷺ، وينشر العدل، والرفاهية، ويعطي المال حثواً، دون عد، ويمكث في الأرض سبع سنين، فيُعزُّ الدين، ويتعاون مع المسيح عيسى بن مريم على قتل الدجال، وهو يشبه النبي ﷺ في الأفعال والأخلاق.

ب- مبايعة أبدال الشام للمهدي عليه السلام

١٠١- عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال:

(يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرجُ رجلٌ (من قريش) من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام. ويبعث إليه بعثٌ من الشام، فيخسفُ بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك، أتاه أبدال (أهل) الشام، وعصائب أهل العراق، فيبايعونه بين الركن والمقام

ثم ينشأ رجل من قريش اخوالُهُ كلبٌ، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعملُ في الناس بسنة نبيهم ﷺ، ويُلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون)[٧].

والابدال: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر.

ج- نزول المهدي بيت المقدس وصلاته بعيسى عليه السلام إماماً

جاء نزوله بيت المقدس، وصلاته بعيسى عليه السلام إماماً من حديث عدد من الصحابة:

١٠٢- من حديث أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه قال:

خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال... وقال فيه (.. إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم: يوم الخلاص.)

قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟

قال: (هم يومئذٍ قليل، وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي، رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى بن مريم عليه السلام، حين كبر للصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص ليتقدم عيسى يصلي

بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه، فيقول: تقدم فصلها، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم)[٨].

١٠٣- من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال:

(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) قال (فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال فصلِّ، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)[٩].

وقد ذكر الحافظ ابن القيم في كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص(١٤٧-١٤٨) رواية أخرى لهذا الحديث عن جابر وفيها التصريح بأن الرجل الذي يصلي عيسى عليه السلام هو المهدي عليه السلام، وعزاه للحارث بن أبي أسامة في مسنده فقال:

١٠٤- عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ:

(ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ، فيقول أميرهم المهديُّ: تعالَ صلِّ بنا، فيقولُ: لا، إنَّ بعضهُمْ أميرُ بعضٍ، تكْرُمَةُ الله لهذه الأمَّة)

وقال ابن القيم عقبه: وهذا إسناد جيد.

١٠٥- ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه)[١٠].

وقال السيوطي رحمه الله في كتاب العرف الوردي بعد أن ذكر مجموعة من الأحاديث، فيها التصريح بأن الإمام الذي يصلي خلفه عيسى عليه السلام هوالمهدي عليه السلام بقوله:

«عن أبي الحسين الآبري: قد تواترت الأخبار، واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام، فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يصلي خلفه»[١١].

وهنا أشير إلى كلمة ختامية في الحديث عن المهدي عليه السلام، للأستاذ العلامة الكبير الإمام المودودي رحمه الله تعالى، في كتابه القيم (تجديد الدين وإحيائه) حيث يقول:

«فالذي أقدره وأتصوره أن الإمام المنتظر سيكون زعيماً من الطراز الأحدث في زمانه، بصيراً بالعلوم الجديدة، بصر المجتهد المطلع ويكون جيد الفهم لمسائل الحياة، ويبرهن للعالمين رجاحة عقله وفكره، وبراعة تفكيره السياسي، وكمال حذقه لفنون الحرب، ويبزّ كل أبناء زمانه الجدد في تقدمه وارتقائه، ثم لا أراه (أي المهدي) سيكون مختلفاً في بيئته وهيئته عن عامة البشر بحيث يعرفه الناس بعلاماته الخاصة وسماته المعلومة، كما لا أتوقع أنه يعلن بكونه المهدي الموعود، وإنما يتبين خلق الله بعد موته أنه هو المقيم للخلافة على منهاج النبوة المبشر به، فليس لأحد غير النبي إعلان بدء عمله بدعوى منصبه، ولا أحد غير النبي يعلم علم اليقين أيّ وظيفة عهدها إليه الله في هذه الدنيا..

واعتقد أن المهدي لن تكون له مندوحة عن أن يجتاز من مراحل الجهد والكفاح والسعي الشديد، ما يضطره إلى اجتيازه كل زعيم انقلابي.

والمهدي سيسير على أسس الإسلام الخالص ويقلب عقلية الناس، ويبعث حركة قوة، تكون ثقافية وسياسية، وستهب في وجهه الجاهلية بجميع قواها وقدراتها تعارض دعوته وتقاوم حركته.

ولكنه سيوفق آخر الأمر للقضاء على سلطاتها، وبشيد دولة إسلامية، موطدة الدعائم، تجري في هيكلها روح الإسلام الخالصة، ويبلغ رقيها في العلوم التجريبية والطبيعية ذروة الكمال، مصداقاً لقوله ﷺ: يرضى عنها ساكن السماء، وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطر إلا صبته، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيء إلا أخرجته»[12].

سابعاً: هدنة قبل الملحمة العظمى

حين تنشأ الدولة الإسلامية بخلافتها الراشدة على منهاج النبوة على أرض المسلمين في بلاد الشام وغيرها، ويستقر خلفاؤها على أرض بيت المقدس، تواجه هذه الدولة بالعداء المرير. وسيبذل أعداؤها في الغرب الجهود المضنية للقضاء عليها، فتفشل جهودهم وتضيع هباءاً. مصداقاً لقول الله سبحانه:

«إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون» (الأنفال: ٣٦ - ٣٧)

ويستمر ركب الخلافة الإسلامية غير عابىء بكل محاولات الأعداء، وحين يرون ذلك وأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا لهذه الدولة شيئاً، يضطرون للتعامل معها كحقيقة واقعة، فيتقربون منها ويعقدون معها صلحاً، وفي فترة الصلح هذه تشترك الدولة الإسلامية مع دول الأعداء الغربيين في معركة واحدة ضد عدو مشترك لهما، فينتصرون على هذا العدو ويعودون، ويستقر معسكرهم المشترك في مرج ذي تلول، وهي أرض لبنان كما قال البرزنجي وغيره، حيث يبادر الغربيون من أعداء الله إلى نقض الصلح، والغدر بمن معهم من المسلمين، ليبدأ بعد ذلك أمر ملحمة عظمى تجري بين المسلمين والغربيين يكتب الله فيها النصر لأمة الإسلام بقيادة قائدها المظفر المهدي عليه السلام.

وقد جاءت هذه الهدنة من حديث رسول الله ﷺ الصحيح الذي جاء:

١٠٦- عن ذي مخبر ابن أخي النجاشي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(تصالحون الروم صلحاً آمناً حتى تغزو أنتم وهم عدواً من ورائهم، فتنصرون وتغنمون، وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تُلول، فيقول قائل من

الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب. فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منه غير بعيد، فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً"[١٣].

ثامناً: الملحمة العظمى (انتهاء الطغيان العالمي على يد مسلمي الأرض المقدسة)

حدثنا الرسول ﷺ في سنته الصحيحة، عن الهدنة بين المسلمين وأعداء الإسلام في الغرب والدول الأوروبية، وكيف يتغلب الحقد الدفين في قلوبهم على الوفاء بشروط الهدنة، فلا يطيقون صبراً على ضبط مشاعرهم وأحقادهم، فينفسون عن تلك الأحقاد بقتل تلك الجماعة من المسلمين التي شاركتهم في غزو عدو مشترك للطرفين، فينقضون بذلك الهدنة أو الصلح المعقود بينهم وبين المسلمين، ولا يكفيهم ذلك بل ويجمعون جموعهم الكثيرة التي يقارب تعداد الجنود فيها على المليون جندي، مدججين بالأسلحة، وتمتلأ قلوبهم بالأحقاد، ويقدمون إلى بلاد الشام -حيث الأرض المقدسة- ليقضوا على الدولة الإسلامية القائمة على أرض المسلمين في الشام وغيرها من بلاد المسلمين، جاؤوا وهم يلوحون بقوتهم، ويهددون بما يملكون من أسلحة وجبروت، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ لتحدد أعداد التجمع الكفري الغربي، الذي يأتي إلى بلاد المسلمين، جاء ذلك من طريق عدد من الصحابة:

● فمن حديث ذي مخبر أن رسول الله ﷺ قال:

(.....، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل

غاية اثنا عشر ألفاً)[١٤].

● ومن حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(... والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، يسيرون إليكم على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً...)[١٥].

● ومن حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(.... وأن تغدر الروم فيسيرون في ثمانين بنداً، تحت كل بند اثنا عشر ألفاً)[١٦].

ويجمع أهل الإسلام أيضاً جموعهم، ويعسكرون في أرض الغوطة في منطقة دمشق في الشام، ويكون معسكرهم وتجمعهم نقياً لا نفاق فيه، وينصر الإسلام في هذه المعركة كل مؤمن، يجتمعون من شتى بقاع الأرض، يأتون من جزيرة العرب، ومن الشام ومن غيرها من البقاع.

قد جاء ذلك في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم.

١٠٧- فمن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

(فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام).

وفي رواية ثانية قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

(يوم الملحمة الكبرى، فسطاط المسلمين بأرض يقال لها: الغوطة، فيها مدينة يقال لها: دمشق خير منازل المسلمين يومئذ)[١٧].

● ومن حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

(.... فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة، فيها مدينة

ويقال لها دمشق)[١٨].

١٠٨- ومن حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال:

(سيفتح عليكم الشام، وإن بها مكاناً يقال له الغوطة، يعني دمشق، هي خير منازل المسلمين في الملاحم).

وفي رواية أخرى: (ستفتح عليكم الشام، فإذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق، فإنها معقل المسلمين من الملاحم، وفسطاطها منها بأرض يقال لها الغوطة)[١٩].

وقد أخبر الرسول ﷺ أن من أبرز صفات هذا التجمع الإيماني الذي يقف متحدياً لقوى الطغيان العالمي الغربي الحاقد، أنه يتميز بصفة الإيمان الراسخ في نفوس أبنائه عند نزول هذه الفتن والابتلاءات بأرض الإسلام، جاء ذلك في:

● حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(. . . ، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام) وفي رواية (إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام)[٢٠].

● ومن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(. . . ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام)[٢١].

ونلحظ أن هذه المعركة الفاصلة والهامة، والتي ستكون سبباً لتقرير مصير التاريخ البشري، وتحويل مجراه لصالح الإسلام وأهله، يشترك في نصرة الإسلام فيها كل أهل الإسلام، يجمعون جموعهم من شتى البقاع والأماكن، لا يتأخر منهم إلا من شاب قلبه نفاق وبغض لأهل الإسلام ولدينهم جاء هذا في الأحاديث الصحيحة:

● فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي، أكرم العرب

فرساً، وأجودهم سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين)[٢٢].

١٠٩- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:

(لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ. . .) الحديث[٢٣].

١١٠- ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

(عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم. . .)[٢٤].

وقد تحدث النبي ﷺ عن هذه المعركة الفاصلة والمسماة -بالملحمة العظمى- و -الملحمة الكبرى- وبأنه سيحدث فيها -مقتلة لا يرى مثلها - أو -مقتلة لم ير مثلها- وبأنها ستكون معركة عنيفة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، يكثر فيها القتل حتى أن الطائر يمر بجنبات المعركة وأرضها، فلا يجاوز أرض المعركة حتى يسقط ميتاً لكثرة الروائح المنبعثة من القتلى الذين ينتشرون على أرض المعركة جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ حيث يقول:

١١١- عن يسير بن جابر قال:

هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله ابن مسعود! جاءت الساعة.

قال: فقعد وكان متكئاً فقال:

«إن الساعة لا تقوم، حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشام) فقال:

عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء

هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة.

ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة.

ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة.

فإذا كان يوم الرابع، نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتلون مقتله -إما قال لا يرى مثلها- وإما قال لم ير مثلها -حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتاً، فيتعاد بنو الأب، كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح! أو أي ميراث يقاسم؟

فبينما هم كذلك، إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ، إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضُونَ ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ:

(إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ، أو من خير فوارس ظهر الأرض يومئذ)[٢٥].

وفي رواية ابن حبان قال:

(..... ثم يلتقون في اليوم الرابع، فيقاتلونهم ويهزمونهم حتى تبلغ الدماء نحر الخيل (ويقتتلون حتى أن بني الأب، كانوا يتعادون على مئة) فيُقتلون حتى لا يبقى منهم رجل واحد. فأي ميراث يقسم بعد هذا، وأي غنيمة يفرح بها، ثم يستفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقسمون الدنانير بالترسة، إذ أتاهم فزعٌ أكبرُ من ذلك، :إن الدجال قد خرج في ذراريكُم، فيرفُضُون ما في أيديهم ويُقبلون، ويبعثون طليعة فوارس، قال رسول الله ﷺ: هم يومئذٍ خير فوارس الأرض إني لأعلم أسماءهم وأسماء آبائهم،

وقبائلهم، وألوان خيولهم).

١١٢- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبُوا منا نقاتلهم.

فيقول المسلمون: لا، والله! لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً:

فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان:

إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج -يعني الدجال-، فبينما هم يُعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمّهم، فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته)[٢٦].

هذا هو حديث الرسول ﷺ عن الملحمة العظمى وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، أخبر فيها الصادق ﷺ عن هذه المعركة الفاصلة كأنك تشاهدها بعينك مباشرة.

والمتتبع لما عند أعداء أمة الإسلام من اليهود والنصارى يلحظ أمراً هاماً، أن من العقائد المشتركة عند اليهود والنصارى عقيدة (الهرمجدون)، وهوالاعتقاد بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير وقوى الشر، وقد استغل اليهود هذا الاعتقاد عند النصارى ليقنعوهم أن دولة لليهود على أرض فلسطين ستكون بمثابة موقع متقدم لليهود والنصارى لقتال المسلمين في هذه

المعركة، وبهذا الاعتقاد يحاولون تغطية محاولاتهم المتكررة لهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم مكانه، ومن ثم انتظارهم لمجيء المسيح وحدوث المعركة بين قوى الخير وقوى الشر، أو ما يسمى بمعركة (مجدو) أو (الهرمجدون).

والمعروف أن بلدة مجدو التي تنسب إليها هذه المعركة هي بلد في فلسطين وهي تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب، وتقع في الجنوب الشرقي لمدينة حيفا حيث تبعد عنها ٢٠ ميلاً، وعلى بعد ١٥ ميلاً من شاطىء المتوسط.

ورغم أن رؤيتهم لهذه المعركة غائمة وغير واضحة المعالم، إلا أن هذا الاعتقاد قد نص عليه في العهد القديم، والعهد الجديد، بإشارات فهم منها مفسروا الكتاب المقدس هذا الأمر:

فقد جاء في العهد القديم في سفر عاموس الاصحاح الخامس جملة (١٨):

«ويل للذين يشتهون يوم الرب، لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور؟!»

وفي سفر أرمياء الاصحاح الخامس والعشرون جملة (١٣):

«ويكون عند تمام السبعين سنة أني أعاقب ملك بابل وتلك الأمة، يقول الرب على إثمهم وأرض الكلدانيين وأجعلها خرباً أبدية».

وفي العهد الجديد في إنجيل متّى الإصحاح الرابع والعشرون جملة (١٥-٢١):

«فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارىء، فحينئذٍ ليهرب الذين في اليهودية في الجبال، والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً، والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه، وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام، وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت، لأنه يكون حينئذٍ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون».

وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي في الإصحاح الرابع عشر جملة (١٩-٢٠):

.. وخرج ملاك آخر من المذبح له سلطان على النار وصرخ صراخاً عظيماً إلى الذي معه المنجل الحاد قائلاً أرسل منجلك الحاد واقطف عنا قيد كرم الأرض لأن عنبها قد نضج، فألقى الملاك منجله إلى الأرض وقطف كرم الأرض فألقاه إلى معصرة غضب الله العظيمة، وديست المعصرة خارج المدينة فخرج دم من المعصرة حتى إلى لُجم الخيل مسافة ألف وستمائة غلوة».

والحديث عن معركة (الهرمجدون) أو الملحمة العظمى كما سماها الرسول ﷺ. يدور ويتداول على نطاق واسع، وعلى أعلى المستويات وفي أدق القضايا العالمية وأخطرها:

وممن تداول هذا الحديث وتناقله: القس المبشر (جيمي سواجارت) والمبشر جيري فالويل، وبيلي جريهام، والمبشر أوين، والقس ديلوتش وغيرهم من المبشرين.

ويتناقل ذلك أيضاً مدراء كبار لمعاهد أبحاث علمية كبيرة، ومعلقون صحفيون منهم: الأمريكي آندرو لانج مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية والمقيم بواشنطن، والمعلق الصحفي في صحيفة نيويورك تايمز (وليام سافير).

وتعدى هذا الحديث هذه المستويات العلمية والدينية، إلى المستويات السياسية من أمثال الرئيس ريجان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق، وجيمس ملز الذي كان رئيساً لمجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا، وتوم داين من اللجنة المركزية الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة(الإيباك).

وسأذكر فيما يلي بعض التصريحات لهؤلاء الذين ذكرتهم آنفاً، فمن ذلك تصريح للقس سواجارت في برنامج تلفزيوني أذيع في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥ حيث قال:

(يجب أن لا نتوصل إلى اتفاقات مع الاتحاد السوفيتي.. إن معركة (هرمجدون) مقبلة، ستقع هذه المعركة في سهل مجدو، إنها مقبلة...)

وقد حذر القس بيلي جريهام بأن العالم يتحرك بسرعة نحو معركة مجدو، وأن الجيل الحالي قد يكون آخر جيل في التاريخ، وقال: إن أكبر معركة في التاريخ ستقع في هذا الجزء من العالم (أي الشرق الأوسط).

وفي تصريح للرئيس ريجان في اجتماع له مع اللوبي اليهودي قال:

«إنني أعود إلى أنبيائكم القدامى في العهد القديم، وإلى الدلائل التي تنبىء بمجدو، وأجدني أتساءل عما إذا كان الجيل الذي سيشهد ذلك، لا أدري إن كنت لاحظت أيا من هذه التنبؤات في الأزمنة الأخيرة... ولكن بالتأكيد هي تصف الزمن الذي نعيشه».

وفي أثناء رحلة نظمها المبشر (جيري ماكويل) لزيارة الأماكن المقدسة في أرض فلسطين، التقى مع أعضاء الرحلة وزير الدفاع اليهودي آنذاك -يعني في عام ١٩٨٣- موشي آرينز والذي كان سفيراً لدولة اليهود، والمولود في أمريكا وحدثهم بقوله:

«إن غزو لبنان ١٩٨٢ كانت بإرادة إلهية، فهي حرب مقدسة، مستمدة من العهد القديم، وهذا يؤكد النبوءة إذ أن هذا الغزو يمكن أن يعني أن معركة مجدو قد اقتربت»[٢٧].

وختاماً فهذا نص آخر في كتاب العهد الجديد في رؤيا يوحنا اللاهوتي الإصحاح التاسع عشر جملة (١٨)

(ورأينا ملاكاً... ينادي الطيور بصوتٍ عالٍ قائلاً: هلمي اجتمعي معاً إلى وليمة الله الكبرى!! تعالى!! والتهمي لحوم الملوك والقادة والأبطال والخيول وفرسانها...).

تاسعاً:- فتوحات إسلامية تنطلق من أرض بلاد الشام

أخبر النبي ﷺ من بدايات أمر الدعوة الإسلامية، حين بعث بمكة المكرمة أن الله سبحانه وتعالى سيفتح الأرض بكلمة التوحيد، ويعلي كلمة هذا الدين، ويرفع من شأنه، حتى يضرب الإسلام بجرانه في الأرض، ويعم خير هذا الإسلام العالم أجمع، وينقذ به البشرية الضالة من التيه الذي تعيش فيه، إلى نور الخير والهدى والتوحيد، ولن يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا أدخل الله فيه الإسلام، جاء هذا ضمن مجموعة كبيرة من البشارات التي حدث بها الرسول ﷺ أصحابه الكرام، وفتح باب الأمل بمستقبل مشرق للأجيال اللاحقة لجيل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم. جاء هذا عنه ﷺ.

١١٣- من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

(إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها، ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلكها ما زُوي لي منها، وأعطيتُ الكنزين الأحمرَ والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكها بسنةٍ عامةٍ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم.

وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنةٍ عامةٍ، وأن لا أسلّطَ عليهم عدواً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها -أو قال ما بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يُهلكُ بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً) اللفظ لمسلم.

وجاء في رواية ابن حبان زيادة في الحديث كما يلي:

(.. وإنه سيرجع قبائل من أمتي إلى الشرك، وعبادة الأوثان، وإن من أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإنهم إذا وضع السيف فيهم لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة، وإنه سيخرج من أمتي كذابون دجالون قريباً من ثلاثين، وإني خاتم الأنبياء، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق

منصورة حتى يأتي أمرُ الله)[٢٨].

١١٤- من حديث تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر).

وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية»[٢٩].

● بيت المدر: هم أهل المدن والقرى، والوبر: هم أهل البوادي.

١١٥- ومن حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز أو ذل ذليل، أما يعزهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها).

وفي رواية الطبراني (وإما يذلهم، فيؤدوا الجزية)[٣٠].

وقد تحدث الرسول ﷺ عن فتوحات إسلامية مستقبلية، تتم على أيدي أبناء أمة الإسلام، وعلى رأس هذه الفتوحات فتح القسطنطينية، وفتح روما (رومية)، وهذه المبشرات التي تحدث عنها رسول الله ﷺ، قد حدث جزء منها وأمة الإسلام يُنتظر منها تحقيق الجزء الآخر.

١١٦- عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟

فدعا عبد الله بصندوق له حَلَق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئل رسول الله ﷺ:

أي المدينتين تُفتح أولاً، قُسْطَنطِينِيَّةُ أو رُومِيَةُ؟

فقال رسول الله ﷺ:

(مدينة هرقل تُفتحُ أولاً، يعني قسطنطينية)[٣١].

وقد تحقق الجزء الأول من هذا الحديث ففتحت القسطنطينية بعد ثمانية قرون، على يد السلطان العثماني محمد الفاتح رحمه الله تعالى، ولا بد أن يتحقق ما وعد النبي ﷺ من فتح روما عاصمة إيطاليا في هذه الأيام، وهو ما سيتحقق على يد الخلافة الراشدة التي تحدثنا عنها عند نزول الخلافة بيت المقدس.

فتح روما عاصمة إيطاليا

وتحدث الرسول ﷺ عن فتوحات تحدث في آخر الزمان على يد المهدي عليه السلام ومن معه من أبناء أمة الإسلام، وذلك بعد الملحمة العظمى، وقد جاء الحديث عن هذه الفتوحات في طيات الحديث عن الملحمة العظمى، فتارة صرح بإسم المدينة المفتوحة بأنها قسطنطينية، وتارة ذكر ذلك دون ذكر الإسم، وإنما ذكراً وصفاً للمدينة المفتوحة، وبنظرة عجلى للأحاديث المذكورة نحتاج إلى إعادة النظر فيما ذكره شراح الحديث. لأن القسطنطنية قد فتحت على يد السلطان محمد الفاتح، فهل ستعود إلى قبضة الغرب مرة أخرى، فيعيد المسلمون فتحها أولاً ثم فتح روما ثانياً وهذا ما أستبعده لأنها فتحت وتغير اسمها وأصبحت استانبول أو الأستانة، أم أن المقصود بما ذكره النبي ﷺ هو ما له علاقة بفتح روما والتي كان يطلق عليها سابقاً (القسطنطينية الرومية) وهو اسم أطلق عليها، لأنها تقوم على الأعمدة التي أقرها قسطنطين في مجمع نيقية، وهي التي يفتحها المسلمون مع المهدي عليه السلام بعد الملحمة العظمى، والتي ذكرها النبي ﷺ بقوله «سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر...»[٣٢]، وهو ما يؤكده كلام القزويني في كتابه

آثار البلاد وأخبار العباد حيث قال:

«روما هي مدينة لها ثلاثة جوانب في البحر والرابع في البر، وبها الآلاف من الأديرة والأسواق والتماثيل التي من الذهب والمرمر، وبها مرسى تقف عنده السفن، وبها كنيسة جميع أبوابها مفتوحة في اتجاه الشرق، ويوجد بها فسقية بها تمثال (راكب على بعير) ويقول أهل المدينة أن الذي بناها قال لهم:

عندما يأتيكم قوم على هذه الصفة فهم الذين يفتحونها...)[٣٣].

وهذا ما ينسجم مع الحديث الذي ذكرته قبل قليل عن عبد الله بن عمرو ابن العاص والذي ذكر فيه فتح روما، ولذلك سأصرف الكلام عن الفتح الذي ذكره النبي ﷺ للقسطنطينية بعد الملحمة هو لمدينة روما عاصمة إيطاليا أو ما تسمى (القسطنطينية الرومية)، وبعد كل هذا أقول الله عز وجل وحده الأعلم بالصواب في هذا الأمر، وعلى كلا الوجهين سيتحقق الفتح لروما على يد أبناء الإسلام، وسأذكر نص هذه الأحاديث فيما يلي:

● فمن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

(.... ثم يستفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقسمون الدنانير بالترسة، إذ أتاهم فزعٌ أكبر من ذلك...)[٣١]

● ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(... فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون...)[٣٥].

١١٧- وعن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة رضي الله عنهما قال:

كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، قال: فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب، عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمه، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد.

قال: فقالت لي نفسي: إئتهم فقم بينهم وبينه، لا يغتالونه.

قال: ثم قلت: لعله نجي معهم، فأتبعتهم فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات، أعدهن في يدي. قال:

«تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس، فيفتحها الله، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله»[٣٦].

١١٨- وعن بشر بن عبد الله بن بشار قال: أخذ عبد الله بن بسر المازني صاحب رسول الله ﷺ بأذني فقال:

(يا ابن أخي، لعلك تدرك فتح قسطنطينية، فإياك إن أدركت فتحها أن تترك غنيمتك منها، فإن بين فتحها وبين خروج الدجال سبع سنين)[٣٧].

١١٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال:

(سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر؟)

قالوا: نعم يا رسول الله!

قال: (لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني اسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر.

ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوا، فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون)[٣٨].

وقد ذكر السلمي في عقد الدرر في أخبار المنتظر رواية مختصرة لهذا الحديث ونسبها لمسلم في الصحيح، وهي ليست في المطبوع فلعلها في نسخة مخطوطة وقعت له أذكرها فيما يلي:

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(إني لأعلم مدينة جانب منها إلى البحر، وجانب منها إلى البر، فيأتيها

المسلمون فيقولون: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فيسقط جانبها الذي في البر، فيفتحها المسلمون بالتسبيح والتكبير)[٣٩].

وقول النبي ﷺ (من بني إسحاق...) قال فيه الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: قال القاضي: كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم (من بني إسحاق) قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ من (بني إسماعيل) وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة القسطنطينية»[٤٠].

والحق أن هذا اللفظ لا يتنافى مع واقع جيش المهدي عليه السلام والذي يفتح روما، فهو يضم في طياته وبين جنوده أهل الشام، وأهل الحجاز، وأهل اليمن، وأهل المشرق من الأعاجم والفرس، والمعروف والذي تناقله المؤرخون أن أهل فارس هم من نسل إسحاق، ذكر ذلك المسعودي في مروج الذهب بقوله (عن ولد إسحاق فارس):

«وهذا النسب يقول به كثير من حكماء العرب، وينقاد إليه كثير من الفرس، على أن الفرس من ولد اسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكان أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام، وتطوف به تعظيماً له ولجدها إبراهيم عليه السلام تمسكاً بهديه، وحفاظاً لأنسابها، وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابل»[٤١].

ولعل مشاركتهم هذه في فتح روما، هو جزء من الشرف الذي تحدث عنه النبي ﷺ، حين تحدث عن دور الفرس في رفع كلمة هذا الدين، وخدمة هذه الرسالة.

١٢٠- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم).

قال: قلت: من هم يا رسول الله؟

فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً -وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان- ثم قال:

(لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجالٌ -أو رجلٌ- من هؤلاء)[٤٢].

فتح الهند على يد أهل الشام زمن المهدي عليه السلام

وعد رسول الله ﷺ هذه الأمة بأن يفتح الله عليهم الهند. وأن يغفر الله تعالى للجيش الذي يغزو الهند، وأن يحرز الله هذا الجيش من النار يوم القيامة، وسيكون لأهل الأرض المقدسة دور كبير في هذا الفتح حيث سيغنمون ويفتحون تلك البلاد ويعودون، فيجدون عيسى بن مريم عليه السلام قد خرج في أرض الشام، جاء ذلك عن النبي ﷺ.

١٢١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«وعدنا رسولُ الله ﷺ في غزوة الهند، فإن استشهدتُ كنتُ من خير الشهداء، وإن رجعتُ فأنا أبو هريرة المحرر» اللفظ لأحمد وفي رواية أخرى قال:

«حدثني خليلي الصادق رسول الله ﷺ أنه قال:

يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند» فإن أنا أدركت، فاستشهدت فذلك، وإن أنا -فذكر كلمة- رجعت، وأنا أبو هريرة المحرر، قد أعتقني من النار»[٤٣].

وقد جاء عنه بلفظ عند نعيم بن حماد في الفتن حيث قال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ -وذكر الهند- فقال:

(ليغزون الهند لكم جيش، يفتح الله عليهم، حتى يأتوا بملوكهم مغللين بالسلاسل، يغفر الله ذنوبهم، فينصرفون حين ينصرفون، فيجدون ابن مريم بالشام)

قال أبو هريرة: إن أنا أدركت تلك الغزوة، بعت كل طارق لي وتالد، وغزوتها فإذا فتح الله علينا وانصرفنا فأنا أبو هريرة المحرر، يقدم الشام، فيجد فيها عيسى بن مريم، فلأحرصن أن أدنو منه فأخبره أني قد صحبتك يا رسول الله.

قال: فتبسم رسول الله ﷺ وضحك ثم قال: (هيهات، هيهات)[11].

١٢٢- من حديث ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

(عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام)[12].

عاشراً: خروج الدجال وهلاكه في الأرض المقدسة

أخبر النبي ﷺ عن فتنة من أعم الفتن التي تواجه البشرية جمعاء، وأمة الإسلام بشكل خاص، فما من فتنة خلقها الله عز وجل منذ أن خلق آدم عليه السلام إلا ممهدة لفتنة الدجال ومهيأة الأجواء لخروجه، بل إن أعظم الفتن لتعد صغيرة بالنسبة لفتنة الدجال عليه لعنة الله، جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة عنه صلوات الله وسلامه عليه:

١٢٣- من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال:

ذكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال:

(لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا، صغيرة ولا كبيرة، إلا لفتنة الدجال).

وفي رواية ابن حبان قال:

كنا عند النبي ﷺ، فذكر الدجال، فقال:

(لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، إنها ليست من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تتضع لفتنة الدجال، فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها، وإنه لا يضرُ مسلماً، مكتوب بين عينيه: كافر مُهَجَّاة ك، ف، ر)[13].

١٢٤- ومن حديث هشام بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال)

وفي رواية أخرى لمسلم (أمرٌ أكبر من الدجال) وفي لفظ الطبراني (... فتنة أكبر من الدجال)[14].

وتبلغ فتنته الذروة في الفتن حتى إن الناس ليفرون من فتنته في الجبال ويلوذون بها، لعلهم يجدون مكاناً آمناً يحتمون به من هذه الفتنة العظيمة.

١٢٥- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

أخبرتني أمّ شريك، أنها سمعت النبي ﷺ يقول:

(لَيَفِرنَّ الناسُ من الدَّجّال في الجبال).

قالت أم شريك: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟

قال: (هم قليل)[٤٨].

علامات خروج الدجال

وقد تحدث النبي ﷺ عن علامات خروج الدجال الأكبر في آخر الزمان فقال:

١٢٦- من حديث عامرُ بن شراحيل الشعبي -رحمه الله-: أنه سأل فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأول، فقال: «حدثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله ﷺ، لا تسنديه إلى أحد غيره.

فقال: لئن شئتَ لأفعلنّ. فقال لها: أجل. حدثيني.

فقالت: نكحتُ ابن المغيرة، وهو من خيار شباب قُريشٍ يومئذٍ، فأُصيبَ في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ، فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف، في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ. وخطبني رسولُ الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنتُ قد حُدثتُ، أن رسول الله ﷺ قال:

(من أحبني فليحب أسامة).

فلما كلمني رسول الله ﷺ قلتُ: أمري بيدكَ، فانكحني من شئتَ، فقال:

(انتقلي إلى أمّ شريك)

وأم شريك امرأةٌ غنيةٌ، من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيلِ الله، ينزل عليها الضيفان.

فقلتُ: سأفعل، فقال:

(لا تفعلي، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإني أكره أن يسقط عنك

خمارُك، أو ينكشف الثوبُ عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمك، عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم)

(وهو من رجل من بني فهر، فهر قريش، وهو من البطن الذي هي منه) فانتقلتُ إليه، فلما انقضت عدتي سمعتُ نداء المنادي، مُنادي رسول الله ﷺ، ينادي: الصلاة جامعة، فخرجتُ إلى المسجد، فصليتُ مع رسول الله ﷺ، فكنتُ في صفّ النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال:

(ليلزم كلُ إنسانٍ مصلاه) ثم قال:

(أتدرون لم جمعتكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: (إني، والله! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنتُ أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني؛ أنَّهُ ركب في سفينة بَحريّة، مع ثلاثين رجلاً من لخمٍ وجُذام، فلعبَ بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرُبِ السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهمْ دابةٌ أهلبُ كثيرُ الشعر، لا يدرون ما قُبُلُهُ منْ دُبُرِه، من كثرة الشعر.

فقالوا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجسَّاسة. قالوا: وما الجساسة؟

قالت: أيها القوم! انطلقوا إلى هذا الرَّجُل في الدَّير، فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة.

قال: فانطلقنا سراعاً، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه، بالحديد.

قلنا: ويلك! ما أنت؟ قال: قد قدرتُمْ على خبري، فأخبروني ما أنتم؟

قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموجُ شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقينا دابة أهلبُ كثير الشعر، لا يدرى ما قُبُلُهُ من دُبُرِه من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسةُ؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجُل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا عن أي شأنها تستخبر؟

قال: أسالكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم.

قال: إما إنه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل فيها ماءٌ؟ قالوا: هي كثيرة الماء.

قال: أما إن ماءُها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زُغَرْ. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل في العين ماءٌ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب، قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه.

قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم.

قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح،

وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليَّ، كلتاهما. كلما اردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلني مَلَكٌ بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإنّ على كل نقب منها ملائكة يحرسونها).

قالت: قال رسول الله ﷺ، وطَعَنَ بمخصرته في المنبر، (هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة) يعني المدينة.

(ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟) فقال الناس: نعم.

(فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنتُ أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو)

وأومأ بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ[٤٩].

١٢٧- من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال:

خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال، وحذرناه، فكان من قوله أن قال:

(يا أيها الناس إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم، فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلّة بين الشام والعراق، فيعيث يميناً، ويعيث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي (.....) يقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وأنه مكتوب بين عينيه: (كافر) يقرأه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.

وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بناره، فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف، (.....).

وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيت أن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك، فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتبعه فإنه ربك!

وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن. ثم يزعم أن له رباً غيري، فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: من ربك! فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم. وإن من فتنته أن يأمر السماء تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلاتبقى لهم سائمة إلا هلكت.

وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمده خواصر وأدره ضروعاً.

وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الظريب الأحمر، عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك يوم الخلاص).

فقال أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟

قال: (العرب يومئذ قليل، (.....) وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشي القهقرى، ليقدم عيسى يصلي، فيضع عيسى

عليه السلام يده بين كتفيه ثم يقول له: قدم فصلي فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم.

فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، (.....) فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا انطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق- إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله.

(وإن أيامه أربعون، فيوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، ويوم كالأيام، وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر، قالوا: يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال: تقدرون فيها ثم تصلون، كما تقدرون في الأيام الطوال)

فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حُمَةُ كل ذات حمةٍ، حتى يدخل الوليد -أي الطفل الصغير- يده في الحية -أي في فمها- فلا تضره، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يُملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها وتُسلب قريش ملكها.

وتكون الأرض كفائور الفضة، تنبت نباتها بعهد الله، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بدريهمات (.....).

وإن قبل الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلفٍ إلا هلكت إلا ما شاء الله).

قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال:

(التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام) اللفظ لابن ماجة[٥٠].

مكان خروجه، ومدة بقائه في الأرض، وصفاته وأتباعه

حدث النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال ومكان خروجه: ومدة بقائه في الأرض، وصفاته وأتباعه، حديثاً واضحاً جلياً لا لبس فيه ولاغموض، وكأنك تراه وتنظر إليه، ولو أننا أعطينا هذه الأوصاف لرسام ما وقلنا له ارسم لنا صورة تقريبية لاستطاع ذلك، دون أن يكون هناك أي نقص في معالم شخصيته، وسأورد مجموعة من الأحاديث تدل على ذلك دلالة واضحة.

فعن مكان خروجه قال ﷺ فيما جاء

١٢٨- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ:

(أن الدجال يخرج من أرض قبل المشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأنَّ وجوههم المجانُّ المُطرقةُ)[٥١].

١٢٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أحدثكم ما سمعت عن رسول الله الصادق المصدوق؟

حدثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق:

(إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق، في زمان اختلاف بين الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء الله من الأرض في أربعين يوماً، الله

أعلم ما مقدارها، الله أعلم ما مقدارها -مرتين- وينزل عيسى بن مريم، فيؤمهم، فإذا رفع رأسه من الركعة، قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله الدجال، وأظهر المؤمنين)[٥٢].

وعن مدة مكثه في الأرض قال ﷺ فيما جاء

١٣٠- عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل، فقال:

ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقومُ إلى كذا وكذا.

فقال: سبحان الله! ولا إله إلا الله، أو كلمة نحوها، لقد هممت أن لا أحدث شيئاً أبداً، إنما قلت: أنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يُحرق البيت، ويكون، ويكون، ثم قال: قال رسول الله ﷺ:

(يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين (لا أدري: أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً).

فيبعث الله عيسى بن مريم، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه)

قال: سمعتها من رسول الله ﷺ. قال:

(فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟

فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسن عيشهم.

ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، قال: وأول

من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس. ثم يرسل الله -أو قال ينزل الله- مطراً كأنه الطل أو الظل. فتنبت منه أجساد الناس.

ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس! هلم إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون، قال ثم يقال: أخرجوا بعث النار. فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف، تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساقٍ)[٥٣].

١٣١- وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال:

ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفعْ، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا.

فقال: (ما شأنكم؟)

قلنا: يا رسول الله: ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل.

فقال: (غيرُ الدجال أخوفني عليكمْ، إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج، ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قططْ، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله! فاثبتوا).

قلنا: يا رسول الله! وما لبثهُ في الأرض؟

قال: (أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائرُ أيامه كأيامكم).

قلنا: يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كَسَنَةٍ، أتكفينا فيه صلاة يوم؟

قال: (لا، اقدروا له قدرهْ)

قلنا: يا رسول الله: وما إسراعه في الأرض؟

قال: (كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهمْ، أطول ما كانت ذُرأً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصرْ.

ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرفُ عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحلْ.

ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتينْ رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك.

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهر ودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله.

ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههمْ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة.

فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجتُ عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطورْ، ويبعث الله يأجوج وماجوج، وهم من كل حدب ينسلونْ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرةً ماء.

ويُحصَر نبي الله وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغبُ نبي الله عيسى وأصحابُهُ، فيرسل اللهُ عليهم النغفْ في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابُهُ إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأه زهمُهُمْ ونتنهم.

فيرغبُ نبي الله عيسى وأصحابُهُ إلى الله، فيُرسلُ الله طيراً كأعناق البُخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيغسلُ الأرضَ حتى يتركَها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردّي بركتك، فيومئذٍ تأكلُ العصابةُ من الرمان، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْلِ، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئامَ من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذَ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخُذُهُمْ تحت آباطهم، فتقبضُ روحَ كل مؤمن وكل مُسْلِم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة).

وفي لفظ آخر لمسلم زاد بعد قوله

(.... لقد كان بهذه، مرة، ماء -ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمُون بنشابهم إلى السماء، فيرد اللهُ عليهم نشابهم مخضوبة دماً)[٥٤].

وأما عن أتباعه الذين يسيرون معه

فهم كل منافق ومنافقة، وكل يهودي ويهودية، وكل من عميت بصيرته فلم ير الأمور على حقيقتها، وانتزع الإيمان من قلبه فأصبح لا يفرق بين الحقيقة والخداع، وبهذا يسيطر الدجال على العقول الفارغة التي لا يهمها إلا مصالحها وأهواؤها، جاء ذلك في أحاديثه ﷺ فقد جاء:

١٣٢- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق)[٥٥].

● ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(ينزل الدجال في هذه السَّبخة، بمرقناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه، وابنته، وأخته، وعمته، فيوثقها رباطاً، مخافةَ أن تخرج إليه، ثم يسلط الله المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبيء تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجر للمسلم: هذا يهودي تحتي، فاقتله)[٥٦].

● ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

(يَتْبَعُ الدجالَ من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة)[٥٧].

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال:

خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال، وحذرناه، فكان من قوله أن قال:

(..... وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته، حتى ينزل عند الظريب الأحمر، عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك يوم الخلاص)[٥٨].

وأما عن صفاته الخلقية

١٣٣- من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث طويل عن الدجال قال ﷺ:

(.... وإنه والله ما تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، اخرهم الأعور الدجال ممسوح عين اليسرى، كأنها عين أبي تحيا، شيخ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة رضي الله عنها حينئذٍ. فإنه متى يخرج فإنه سوف يزعم أنه الله عز وجل،....)[٥٩].

١٣٤- من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد، وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)[٦٠].

١٣٥- من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:

(إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحجُ، جعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئة، ولا جحراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور)[٦١].

قتال طائفة الحق له، وحصاره لهم في بيت المقدس

ذكر النبي ﷺ بأن طائفة الحق التي تبقى في هذه الأمة، ستكون للدجال بالمرصاد فتقاتله وتقوم على نصرة الإسلام، بالرغم من الصعاب التي سيواجهونها، ولذلك سيضطرون للتحصن منه في بيت المقدس، حتى يمن الله عز وجل عليهم بالفرج، فينزل عيسى عليه السلام فيقتل الدجال، ويقيم أحكام شريعة الإسلام بالحق، وسيحمي الله بيت المقدس من الدجال وشروره كما حمى المدينة ومكة المكرمة.

● عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال. وأومأ بيده إلى الشام)[٦٢].

● ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال:

(... إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف....)[٦٣].

● ومن حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه -في ذكر الدجال- أن رسول الله ﷺ قال:

(..... وإنه سيظهر على الأرض كلها غير الحرم وبيت المقدس، وأنه يسوق المسلمين إلى بيت المقدس فيحصرون حصراً شديداً ويوزلون زلاً شديداً.....)[٦٤].

١٣٦- عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ، فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال، ولا تحدثنا عن غيره وإن كان مصدقاً، قال: خطبنا النبي ﷺ فقال:

(أنذركم الدجال -ثلاثاً- فإنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا قد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعدٌ آدم ممسوح العين اليسرى، معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، ومعه جبل من خبز ونهرٌ من ماء، وإنه يُمطر المطر ولا ينبت الشجر، وإنه يُسَلَّط على نفسٍ فيقتلها، ولا يسلط على غيرها، وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد، مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى، وما يشبهُ عليكُمْ فإن ربكم ليس بأعْوَرَ)[٦٥].

هوانه على الله عز وجل

ورغم أن فتنة الدجال تعد من أعظم الفتن التي وجدت على الأرض منذ أن خلق الله السموات والأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إلا أنه أهون على الله من أن يجعله مضلاً للمؤمنين، ومشككاً لقلوبهم، بل إنما جعله ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين.

١٣٧- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: (ما يضرك منه)

قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء.

قال: (بل هو أهون على الله من ذلك)[٦٦].

هلاكه على أرض الشام على يد عيسى عليه السلام

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن الدجال سيهلك في مدينة اللد على أرض فلسطين، على يد عيسى عليه السلام، فيقتله بحربته، ويقتل المسلمون من معه من الكفار من اليهود وغيرهم ممن اتبعوه تبعاً لأهوائهم وشهواتهم جاء ذلك من طريق عدد من الصحابة:

١٣٨- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

(يأتي المسيح من قبل المشرق، همتُهُ المدينة، حتى ينزلَ دُبُرَ أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهنالك يهلك)

وفي رواية لأحمد:

(حتى إذا جاء دُبُرَ أحد تلقته الملائكة فضربت وجهه قبل الشام، هُنالك يَهْلكُ، هنالك يهلك)[٦٧].

١٣٩- ومن حديث مجمع بن جارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(يَقتل ابن مريم الدجال بباب لد)[٦٨].

١٤٠- ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي.

فقال لي: (ما يبكيك؟) قلت: يا رسول الله: ذكرت الدجال فبكيت.

فقال رسول الله ﷺ:

(إن يخرج الدجال وأنا حي كفيتكموه، وإن يخرج الدجال بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعور، إنه يخرج في يهودية أصبهان، حتى يأتي المدينة، فينزل ناحيتها، ولها يومئذٍ سبعة أبواب، على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام، مدينة بفلسطين بباب لد -وقال أبو داود مرة: حتى يأتي فلسطين بباب لد- فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ثم يمكث عيسى

عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماماً عدلاً، وحكماً مقسطاً) اللفظ لأحمد[٦٩].

● واللد: مدينة تقع على مسافة ١٦ كيلومتر جنوبي شرق يافا، وحوالي خمسة أكيال شرق الرملة[٧٠]، وعلى مسافة ٢٦ كم شمال غرب القدس.

١٤١- ومن حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:

(ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد حذر الدجال أمته، هو أعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظفرة غليظة...) وذكر الحديث حتى قال: (..... ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها، فيقول هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق)[٧١].

وعقبة أفيق: هي عقبة طويلة نحو ميلين تنزل منها إلى الأردن[٧٢].

ويجمع بين حديث سفينة وحديث عائشة بما قال ابن كثير رحمه الله حيث قال: «إن عيسى عليه السلام يدركه عند عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة اللد فيقتله بحربته وهو داخل إليها»[٧٣].

وقوله ﷺ (هو أعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظفرة غليظة) وقد جاء في حديث ابن عمر في الصحيحين فعند البخاري برقم (٣٤٣٩، ٣٤٤٠) ومسلم برقم (١٦٩) وفي حديث غيره (أعور العين اليمنى)، وقد ورد في صحيح مسلم من حديث حذيفة (أنه أعور العين اليسرى) كما في الحديث برقم (٢٩٣٤)، وقد جمع بين هذه الروايات القاضي عياض وغيره.

وخلاصة القول في ذلك: أن العور في اللغة: العيب، وعيناه معيبتان عوراوان، أحداهما طافئة بالهمزة: لا ضوء فيها، والأخرى طافية، بلا همزة ظاهرة ناتئة.

● فقد جاء هلاكه في أرض الشام أيضاً من حديث النواس بن سمعان،

وأبي هريرة، وسمرة بن جندب رضي الله عنهم أجمعين وقد سبقت قبل قليل بألفاظها وتخريجها.

ما يحمي من فتنة الدجال

أرشدنا الرسول ﷺ إلى مجموعة من القضايا الهامة، إذا قمنا بها فإنها ستحمينا -بعون الله عز وجل- من فتنة الدجال وشروره، فهي ستحمي عقولنا وقلوبنا من أن تخدع بزيف الدجال، وما معه من الأمور التي تخدع الذين يتبعون الهوى، ولا يعتصمون بحبل الله عز وجل المتين، ومن هذه الأمور التي أرشدنا إليها النبي ﷺ:

أ- الابتعاد عن طريق الدجال

١٤٢- من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشهوات)[٧٤].

وهي دعوة من الرسول ﷺ للمؤمنين ليسكنوا الأماكن المحمية والمعصومة من فتنة الدجال، وهي مكة، المدينة، بيت المقدس.

ب- قراءة فواتح سورة الكهف

١٤٣- فمن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال:

(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)

وفي رواية (... من آخر سورة الكهف....)[٧٥].

● وقد جاء من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ:

(..... فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف...)[٧٦].

ج- الاستعاذة من الدجال

١٤٤- من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة:

(اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ من المأثم والمغرم)

فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: (إن الرجل إذا غرم، حدث فكذب، ووعد فأخلف)[٧٧].

١٤٥- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال)[٧٨].

١٤٦- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول:

(قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)[٧٩].

قال مسلم بن الحجاج: بلغني أن طاووساً قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك فقال: لا قال: أعد صلاتك، لأن طاووساً رواه عن ثلاثة أو أربعة أو كما قال.

١٤٧- ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو:

(أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات)[٨٠].

د- تذكر الإيمان بالله عز وجل

١٤٨- من حديث أبي قلابة قال:

رأيت رجلاً بالمدينة وقد طاف الناس به وهو يقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فإذا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: فسمعته وهو يقول:

(إن من بعدكم الكذاب المضل وإن رأسه من بعده حبك حبك حبك -ثلاث مرات- وإنه سيقول: أنا ربكم، فمن قال: لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا، وإليه أنينا نعوذ بالله من شرك، لم يكن عليه سلطان)[٨١].

وبعد: فلشدة خطورة الدجال، وعظم فتنته كانت الدعوة من الرسول ﷺ للمؤمنين بقوله:

(يا عباد الله فاثبتوا...)[٨٢].

وقد ميز الله تعالى الأرض المقدسة فجعلها مقبرة لكل طامع يريد بالإسلام والمسلمين شراً، وبهذا يعلم أن الله سبحانه قد اختارها درعاً حصيناً تتحطم عليها كل الأطماع والشرور، درعاً يحمي الأمة الإسلامية بأكملها، فكلما كانت هذه الدرع قوية ومتينة، كلما كانت الحماية للأمة الإسلامية أقوى وأمتن، وكلما ضعفت هذه الدرع بتضييع أمة الإسلام لها، أو بتفتيتها لقوتها كلما سهل على الأعداء السيطرة على الأمة الإسلامية.

الهوامش

١- لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٧٠).

٢- المصدر السابق: (٢/ ٨١).

٣- لمزيد من التفاصيل عن المهدي أنظر كتاب (عقد الدرر في أخبار المنتظر للعلامة يوسف بن يحيى السلمي بتحقيق أخينا الفاضل الدكتور مهيب صالح الحصان حفظه الله.

٤- أخرجه الحاكم (٤/ ٥٥٧ ، ٥٥٨) وأحمد في المسند (٣/ ٢٨، ٣٦، ٧٠) وأبو يعلى برقم: (٩٨٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣١٤) عن أسانيد أحمد وأبي يعلى رجالهما ثقات، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والحديث إسناده صحيح.

٥- أخرجه أبو داود برقم: (٤٢٦٤)، وابن ماجة برقم: (٤٠٨٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٧)، وسنده رجاله كلهم ثقات، والحديث صحيح.

٦- أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٧) وابن حبان كما في الإحسان برقم: (٦٨٢٦) بإسناد حسن.

٧- أخرجه أبو داود برقم (٤٢٨٦) (٤٢٨٧)، وابن حبان كما في الإحسان برقم: (٦٧٥٧)، وأبو يعلى برقم: (٦٩٤٠)، وأحمد في المسند: (٦/ ٣١٦)، والطبراني في الكبير: (٢٣/ رقم ٩٣١) والأوسط برقم: (١١٧٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣١٥): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن القيم في المنار المنيف ص (١٤٤) الحديث حسن، ومثله ما يجوز أن يقال فيه: صحيح.

وجاء مختصراً من حديثها: أخرجه الحاكم: (٤/ ٤٣١)، وابن أبي شيبة

(١٥/ ٤٥-٤٦)، وأبو داود برقم: (٤٢٨٨)، والطبراني في الكبير (٢٣/ برقم ٩٣٠)، وقال الهيثمي في المجمع: (٧/ ٣١٤) في الصحيح طرف منه، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، وفيه عمران القطان، وثقة ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح، قلت: وخلاصة القول فيه أنه حديث حسن.

٨- أخرجه أبو داود برقم: (٤٣٢٢)، وابن ماجة برقم: (٤٠٧٧)، وابن خزيمة في التوحيد ص(١٢١) والبيهقي في البعث برقم: (١٦٠)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩٣-٢٩٤)، والآجري في الشريعة: ص(٣٧٥)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٧٢) برقم: (٧٦٤٤، ٧٦٤٥)، والحاكم (٤/ ٥٣٦)، والسنة لابن أبي عاصم برقم: (٣٩١) (٤٢٩)، والمقدسي في فضائل بيت المقدس برقم (٣٧) والحديث صحيح، صححه الحاكم وأقره الذهبي، ومدار الحديث على عمرو بن عبد الله الحضرمي وهو ثقه.

٩- سبق تخريجه برقم: (٧٤).

١٠- أخرجه الحافظ أبو نعيم في مناقب المهدي، كما عزاه إليه السلمي في عقد الدرر ص (٨٤) برقم (٣٥)، والسيوطي في الجامع الصغير وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٩٢٠)، والحديث صحيح لشواهده والله أعلم.

١١- العرف الوردي ص(٨١، ٨٣، ٨٤)، والمنار المنيف لابن القيم ص(١٤٨) وابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٩٣) وسكتوا عليه.

١٢- تجديد الدين وإحيائه ص(٣٧-٤٠).

١٣- أخرجه أبو داود برقم: (٢٧٦٧، ٤٢٩٢، ٤٤٩٣)، وابن ماجة برقم: (٤٠٨٩)، وابن حبان كما في الإحسان برقم: (٦٧٠٨، ٦٧٠٩)،

وأحمد في المسند: (٤/ ٩١، ٥/ ٤٠٩)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٢١)، والطبراني في الكبير برقم: (٤٢٢٩، ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ٤٢٣٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والحديث إسناده صحيح.

١٤- سبق تخريجه برقم: (١٠٦).

١٥- سبق تخريجه برقم: (٥٤).

١٦- سبق تخريجه برقم: (٥٥).

١٧- أخرجه أبو داود برقم: (٤٢٩٨)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٧) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأقره المنذري في الترغيب (٤/ ٦٣) والحديث صحيح كما قالوا.

١٨- سبق تخريجه برقم: (٥٤).

١٩- أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٧٠) بإسناد فيه ضعف، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٩): رواه أحمد وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف، قلت: للحديث شواهد يرقى بها إلى درجة الحديث الحسن منها: حديث عوف بن مالك، وحديث أبي الدرداء وقد ذكرتهما آنفاً، فالحديث بها حسن.

٢٠- سبق تخريجه برقم: (٤).

٢١- سبق تخريجه برقم:(٥).

٢٢- سبق تخريجه برقم: (٧٦).

٢٣- سيأتي تخريجه برقم: (١١٢).

٢٤- سيأتي تخريجه برقم: (١١١).

- لأهل الإسلام: لقتال أهل الإسلام.
- يشترط المسلمون شرطة: يضربون على أنفسهم الشروط والعهود للقتال حتى الموت.

● ردة شديدة: عطفة قوية.

● يفيء: يرجع.

● نهد: نهض وقام.

● الدبرة: الهزيمة.

● بجنباتهم: بنواصيهم.

● يخلفهم: يجاوزهم.

● فيرفضون: يتركون.

٢٥- أخرجه مسلم برقم: (٢٨٩٩)، والطيالسي برقم: (٣٩٢)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٥/ ١٣٨-١٣٩)، وأبو يعلى برقم: (٥٣٨١)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٧٦-٤٧٧) وأحمد في المسند: (١/ ٣٨٤-٣٨٥، ٤٣٥) وعبد الرزاق في المصنف برقم: (٢٠٨١٢)، والبغوي برقم: (٤٢٤٧)، وابن حبان كما في الإحسان برقم: (٦٧٨٦).

٢٦- أخرجه مسلم برقم: (٢٨٩٧)، وابن حبان كما في الإحسان برقم: (٦٨١٣).

● دابق والأعماق: موضعان بالشام بين حلب وأنطاكية.

● سُبوا: بضم السين وفتحها كلاهما صواب: لأنهم سُبوا أولاً ثم سبوا الكفار.

● لا يتوب الله عليهم أي لا يلهمهم الله التوبة.

٢٧- لمزيد من التفاصيل حول تصريحات الشخصيات الذين ذكرت أسماءهم وغيرهم يراجع كتاب الحقيقة التوراتية للموقف الأمريكي لاسماعيل الكيلاني، وكتاب المبشرون البروتستانت والنية القاتلة لجريس هالسيل، وكتاب المسيح الدجال للأستاذ سعيد أيوب.

٢٨- أخرجه مسلم برقم: (٢٨٨٩)، والبيهقي في السنن: (٩/ ١٨١)، وابن ماجة برقم: (٣٩٥٢)، وابن حبان كما في الإحسان برقم: (٦٧١٤، ٧١٣٨). والترمذي برقم: (٢١٧٦)، وأبو داود برقم: (٤٢٥٢) وأحمد في المسند: (٥/ ٢٧٨).

٢٩- أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠٣) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٠-٤٣١) والطبراني في الكبير برقم: (١٢٨٠)، والبيهقي في السنن (٩/ ٨١)، وابن منده في الإيمان برقم (١٠٨٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في (٦/ ١١٤) ورجال أحمد رجال الصحيح.

٣٠- أخرجه أحمد في المسند(٦/ ٤)، والطبراني في الكبير (٢٠/ برقم ٦٠١) وابن منده في الإيمان برقم: (١٠٨٤)، والبيهقي في السنن: (٩/ ١٨١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٠) وابن حبان برقم: (٦٦٩٩، ٦٧٠١) بإسناد صحيح.

٣١- أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٧٦)، والدارمي: (١/ ١٢٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٢٩-٣٣٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٢٢) (٤/ ٥٠٨)، وابن عبد الحكم في فتوح مصر ص(٢٥٦-٢٥٧) وزاد الشيخ الألباني عزوه إلى أبي عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢/ ١١٦) ولعبد الغني المقدسي في كتاب المعلم (٢/ ٣٠/ ١) وقال: حديث حسن الإسناد، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢١٩) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقه). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم: (٦٦٤٥)، والألباني في الصحيحة برقم (٤) فالحديث صحيح.

٣٢- سيأتي تخريجه برقم: (١١٩).

٣٣- آثار البلاد وأخبار العباد ص(٥٩١ - ٥٩٢)

٣٤- سبق تخريجه برقم: (١١١).

٣٥- سبق تخريجه برقم: (١١٢).

٣٦- أخرجه مسلم برقم: (٢٩٠٠)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٥/ ١٤٦-١٤٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٣٧-٣٣٨) وابن ماجة برقم: (٤٠٩١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٦)، وعلقه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٨١-٨٢)، وابن حبان في الإحسان برقم: (٦٦٧٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

٣٧- أخرجه نعيم بن حماد في الفتن برقم (١٣٢٠، ١٤٦٧) بسند حسن.

٣٨- مسلم برقم: (٢٩٢٠).

٣٩- عقد الدرر في أخبار المنتظر ص(٢٥٢).

٤٠- شرح صحيح مسلم للنووي: (١٨/ ٤٣).

٤١- مروج الذهب (١/ ٢٣٨، ٢٤٢)

٤٢- أخرجه البخاري برقم: (٤٨٩٧، ٤٨٩٨)، ومسلم برقم: (٢٥٤٦)، والنسائي في فضائل الصحابة برقم (١٧٣) والترمذي برقم: (٣٣١٠، ٣٩٣٣)، وأبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢) وابن حبان كما في الإحسان برقم (٧٣٠٨، ٧٣٠٩).

٤٣- أخرجه النسائي في السنن: (٦/ ٤٢) برقم: (٣١٧٣، ٣١٧٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٢٩، ٣٦٩) والحاكم في المستدرك (٣/ ٥١٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١/ ٢٤٣) ونعيم بن حماد في الفتن برقم (١٢٣٧)، وسكت الحاكم والذهبي عليه وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم (٧١٢٨) وأنكر على الذهبي قوله بأن الخبر

منكر» قلت: والصواب ما ذهب إليه أحمد شاكر رحمه الله، وله متابعات عند نعيم بن حماد في الفتن بأرقام: (١٢٣٦، ١٢٣٩) وإن كان فيها بعض الضعف إلا أنها تصلح للمتابعة، فالحديث بها صحيح، بل بدونها أيضاً كما ذكر الشيخ أحمد شاكر.

٤٤- الفتن لنعيم بن حماد برقم (١٢٣٦).

٤٥- أخرجه النسائي (٦/ ٤٢-٤٣) برقم: (٣١٧٥)، وأحمد في المسند: (٥/ ٢٧٨)، والتاريخ الكبير (٣/ ٢/ ٧٢)، وابن عدي في الكامل (٢/ ١٦١) والحديث صحيح. وقد زاد الألباني في عزوه لأبي عروبة الحراني في حديثه (٢/ ١٠٢) وصححه في سلسلته الصحيحة برقم: (١٩٣٤).

٤٦- أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٩) والبزار كما في كشف الأستار برقم: (٣٣٩١، ٣٣٩٢) وابن حبان كما في الإحسان برقم: (٦٨٠٧) وقال الهيثمي في المجمع: (٧/ ٣٣٥) رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح». والحديث إسناده صحيح.

٤٧- أخرجه مسلم برقم: (٢٩٤٦)، وأحمد في المسند: (٤/ ١٩، ١٩-٢٠، ٢٠، ٢١) والحاكم (٤/ ٥٢٨) والطبراني في الكبير: (٢٢/ ١٧٣-١٧٤) برقم: (٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣).

٤٨- أخرجه مسلم برقم: (٢٩٤٥)، والترمذي برقم: (٣٩٣٠) وأحمد في المسند (٦/ ٤٦٢) والطبراني في الكبير: (٢٥/ ٢٤٩).

● أصيب في أول الجهاد: قال العلماء ليس معناه أنه قتل في الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وتأيمت منه، إنما تأيمت بطلاقه البائن.

● تأيمت: صارت أيماً، وهي التي لا زوج لها.

● الصلاة جامعة: دعوة للاجتماع لأمر هام.

● ارفؤا إلى جزيرة: التجأوا إليها.

● أقرب السفينة: السفن الصغيرة التي يقضي بها أهل السفينة حوائجهم، وقيل أي ما قارب إلى الأرض منها.

● أهلب: كثيرة الشعر.

● إلى خبركم بالأشواق: شديد الأشواق إليه، أي إلى خبركم.

● فرقنا منها: أي خفنا.

● أعظم إنسان: أكبر جثة، أهيب هيئة.

● اغتلم: هاج وجاوز حده المعتاد.

● الجساسة: سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال، وقيل أنها دابة الأرض.

● بيسان: مدينة في فلسطين كثيرة النخيل.

● بحيرة طبرية: بحيرة موجودة في فلسطين وهي حد فاصل بينها وبين الأردن.

● عين زغر: عين ماء تقع جنوب البحر الميت باتجاه خليج العقبة وهي بين القدس والعقبة.

● طيبة: هي المدينة.

● صلتاً: مسلولاً.

● ما هو: قال القاضي: لفظة ما هو زائدة، صلة للكلام، ليست بنافية والمراد إثبات أنه في جهة المشرق.

٤٩- أخرجه مسلم برقم: (٢٩٤٢)، وأبو داود برقم: (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، وابن ماجة برقم: (٤٠٧٤)، والترمذي برقم: (٢٢٥٣)، وابن مندة في الإيمان برقم: (١٠٥٧ حتى ١٠٧٠) والآجري في الشريعة: ص(٣٧٦) والحميدي برقم: (٣٦٤)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٤-١٥٦) والطبراني

في الكبير (٢٤/ ٣٨٥-٤٠٣) من رقم (٩٥٦ حتى ٩٦١) وفي الأحاديث الطوال برقم: (٤٧)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٧٣-٣٧٤).

● ذرأ: خلق الله.

● وأنا بين ظهرانيكم: أي وأنا موجود بينكم.

● حجيج كل مسلم: أي محاج الدجال ومغالبه بإظهار الحجة عليه ومبطل أمره مناصرة لكل مسلم.

● حجيج نفسه: أي كل مسلم يدافع عن نفسه، والله تعالى هو نعم العون على دحره.

● خلة بين الشام والعراق: أي من طريق واقع بينهما.

● يعيث يميناً ويعيث شمالاً: يفسد عن يمينه وشماله.

● أرأيت: أي أخبرني.

● شقتين: قطعتين.

● أشد بصيرة بك مني اليوم: أنا اليوم أعرف بكذبك من كل يوم مضى.

● سائمة: دابة ترعى.

● تروح مواشيهم: ترجع آخر النهار.

● نقب: الطريق بين جبلين.

● صلته: مسلوله.

● الظريب: تصغير ظرب وهو الجبل الصغير.

● السبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

● رجفات: أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه، ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال.

● الكير: الزق الذي ينفخ فيه الحداد.

● خبث الحديد: ما تلقيه من وسخ الحديد.

● يوم الخلاص: الخلاص من المنافقين والفاسقين.

● القهقري: يرجع إلى الوراء.

● افتحوا الباب: باب المسجد.

● الساج: نوع من الثياب الفاخرة.

● ذاب: اختفى وتوارى.

● يتوارى: يختفي.

● الغرقدة: وهو شجر له أغصان ذات شوك معروف في منطقة فلسطين.

● يترك الصدقة: يترك جمع الزكاة وتحصيلها لاستغناء الناس جميعاً آنذاك.

● حمة كل ذات حمة: ينزع سم كل ذات سم من الحيوانات السامة.

● تفر الوليدة الأسد: تمسك البنت الصغيرة فم الأسد، وتكشف عن أسنانه فلا يؤذيها.

● تسلب قريش ملكها: تسترده من أيدي الكفرة والظلمة، لأن المهدي عليه السلام من قريش.

● الفائور: الخوان: يعني تؤتي الأرض خيراتها على أوفى ما تكون الخيرات.

● القطف: العنقود.

● ذات ظلف: لا تبقي دابة ذات حافر كالبقر والغنم.

٥٠- سبق تخريجه برقم: (١٠٢)، وما ذكرته بين قوسين ( ) فهو من مستدرك الحاكم، وما أشرت إليه (.....) فهو بعض الجمل المحذوفة المخالفة لما جاء في الأحاديث الصحيحة.

٥١- أخرجه الترمذي برقم: (٢٢٣٨)، وابن ماجة برقم: (٤٠٧٢)، وأحمد في المسند (١/ ٧٠٤) وأبو يعلى في مسنده برقم: (٣٤، ٣٥،

٣٦) وإسناده صحيح.

٥٢- أخرجه البزار برقم (٣٣٩٦) وابن حبان كما في الإحسان (٦٨١٢) والموارد برقم: (١٩٠٤) وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٩) ونسبه للبزار وقال: رجاله رجال الصحيح، غير علي بن المنذر وهو ثقة؛ قلت والحديث حسن.

● كبد جبل: وسطه وداخله.

● في خفة الطير وأحلام السباع: قال العلماء: معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير، وفي عدوانهم وظلمهم لبعض في أخلاق السباع العادية.

● أصغى ليتا ورفع ليتا: أمال صفحة عنقه وهي جانبه.

● يلوط: يطينه ويصلحه.

● كأنه الطل: الندى الخفيف، الرذاذ.

● يكشف عن ساق: يكشف عن شدة وهول عظيم.

٥٣- أخرجه مسلم برقم: (٢٩٤٠)، وأحمد في المسند: (٢/ ١٦٦)، والبيهقي في الاعتقاد: ص(٢١٣ - ٢١٥)، والنسائي في الكبرى كما في التحفة: (٦/ ٣٩١)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٥٥٠ - ٥٥١) (٤/ ٥٤٣) وابن حبان كما في الإحسان برقم (٧٢٥٣).

● خفض فيه ورفع: خفض معناه حقر، ورفع أي عظمه وفخمه.

● غير الدجال أخوفني عليكم: غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم.

● قطط: شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة.

● خلة بين الشام والعراق: طريق أو منطقة بين البلدين.

● عاث يميناً وعاث شمالاً: أفسد وأكثر الفساد في جميع الجهات.

● أقدروا له قدره: قدروا الوقت بين كل صلاة والصلاة الأخرى.

● فتروح عليهم سارحتهم: تروح: ترجع آخر النهار والسارحة: الماشية.
والذرا: الأعالي والأسنمة جمع ذروة، وأشبعه: أطوله لكثرة اللبن،
وأمد خواصر: كثرة امتلائها من الشبع.

● يصبحون ممحلين: أصابهم المحل من قلة المطر.

● كيعاسيب النحل: اليعسوب ذكر النحل.

● يقطعه جزلتين: قطعتين.

● مهرودتين: ثوبين مصبوغين.

● تحدر منه كجمان اللؤلؤ: الجمان حبات الفضة.

● فيمسح عن وجوههم: يمسح على وجوههم تبركاً وبراً، أو إنه إشارة إلى
كشف ما بهم من الشدة والخوف.

● لا يدان لأحد بقتالهم: لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم.

● حرز عبادي إلى الطور: أي ضمهم وأجمعهم واجعله حرزاً لهم.

● وهم من كل حدب ينسلون: من كل أكمة أو مرتفع يمشون مسرعين.

● يرغب نبي الله: أي يدعو الله عز وجل.

● النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

● فرسى: قتلى، واحدهم فريس: قتيل.

● زهمهم: دسمهم.

● البخت: الإبل الخراسانية، وهي جمال طوال الأعناق.

● لا يكن: لا يمنع من نزول الماء.

● مدر: الطين الصلب أو البناء الحجري.

● كالزلفة: وقيل الزلفة: المرآة، شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها.

● العصابة: الجماعة.

● بقحفها: مقعر قشرها.

● الرسل: اللبن.

● اللقحه: القريبة العهد بالولادة، واللقوح ذات اللبن.

● القثام: الجماعة الكثيرة.

● الفخذ من الناس: الجماعة من الأقارب وهم دون البطن.

● يتهارجون تهارج الحمر: يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس،
كما يفعل الحمير. والهرج: الجماع.

● جبل الخُمر: هو الشجر الملتف الذي ينشز من فيه وهو جبل بيت
المقدس.

● النشاب: السهام.

٥٤- أخرجه مسلم برقم: (٢٩٣٧)، والترمذي برقم: (٢٣٤١)، وأبو داود
برقم: (٤١٥٢، ٤٢٩٩)، وابن ماجة برقم: (٤٠٧٥)، والحاكم في
المستدرك: (٤/ ٤٩٢-٤٩٤)، وأحمد في المسند (٤/ ١٨١).

٥٥- أخرجه البخاري برقم: (١٨٨١)، ومسلم برقم: (٢٩٤٣)، والنسائي
في الكبرى كما في التحفة (١/ ٨٣) وأحمد في المسند (٣/ ١٩١) وابن
حبان كما في الإحسان برقم (٦٨٠٣).

٥٦- سبق تخريجه برقم: (٨٨).

٥٧- سبق تخريجه برقم: (٨٩).

٥٨- سبق تخريجه برقم: (١٠٢).

٥٩- أخرجه أبو داود برقم: (١١٢٧)، والترمذي برقم: (٥٦٢)، والنسائي
(٣/ ١٤٠، ١٤٨، ١٥٣) وابن ماجة برقم: (١٢٦٤) والبيهقي في
السنن: (٣/ ٣٣٩) والطحاوي في معاني الآثار (١/ ١٩٧) وابن خزيمة
برقم: (١٣٩٧)، وأحمد في المسند (٥/ ١٣، ١٦، ١٩، ٢٣) والحاكم
في المستدرك (١/ ٣٢٩ - ٣٣١، ٣٣٤) وصححه الحاكم ووافقه

الذهبي وابن خزيمة والترمذي وأقر ابن حجر تصحيح الحديث في فتح الباري (١٣/ ٨٥).

٦٠- أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٠) (٧١٣٠) ومسلم برقم (٢٩٣٤، ٢٩٣٥) وأبو داود برقم: (٤٣١٥)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٣٤) وابن حبان كما في الإحسان برقم (٦٧٩٩) والطبراني (١٧/ برقم ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤).

● أفحج: الذي إذا مشى باعد بين رجليه.

● الجحراء: التي قد انخسفت فبقي مكانها غائراً كالحجر.

٦١- أخرجه أبو داود برقم: (٤٣٢٠)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٤٥٩).

٦٢- سبق تخريجه برقم: (٦٦).

٦٣- سبق تخريجه برقم: (١١٢).

٦٤- سبق تخريجه برقم: (١٣٣).

٦٥- أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٦٤، ٤٣٤-٤٣٥) وابن أبي شيبة (١٥/ ١٤٧) برقم: (١٩٣٥٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٥٢، ٥٣٢، برقم ١٠١٦، ١٢٣٢)، والآجري في الشريعة ص(٣٧٥) والبيهقي في البعث رقم: (١٤٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٣) أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٠٥) رواه أحمد ورجاله ثقات، قلت: والحديث صحيح.

٦٦- أخرجه البخاري برقم: (٧١٢٢)، ومسلم برقم: (٢١٥٢، ٢٩٣٩)، وابن ماجة برقم: (٤٠٧٣)، وابن مندة في الإيمان برقم: (١٠٣٠، ١٠٣١)، وأحمد في المسند: (٤/ ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢) وابن حبان برقم: (٦٧٨٢)، والطبراني (٢٠/ من رقم ٩٥٠ - حتى ٩٥٨).

٦٧- أخرجه مسلم برقم: (١٣٨٠)، وأحمد في المسند: (٢/ ٣٩٧، ٤٠٧، ٤٥٧)، والترمذي برقم: (٢٢٤٣)، وأبو يعلى برقم: (٦٤٥٩)، وابن حبّان برقم: (٦٧٧١).

٦٨- أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٢٠) والترمذي برقم: (٢٢٤٤)، والحميدي برقم: (٨٢٨)، والطيالسي برقم: (١٢٢٧)، وعبد الرزاق برقم: (٢٠٨٣٥)، وابن حبان برقم: (٦٨١١)، والطبراني في الكبير (١٩/ برقم ١٠٧٥-١٠٨١) والحديث صحيح لغيره.

٦٩- أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٧٥) وابن أبي شيبة في المصنف: (١٥/ ١٣٤) برقم: (١٩٣٢٠)، والبيهقي في البعث برقم: (١٩٨)، وابن حبان برقم: (٦٧٨٣)، وقال الهيثمي في المجمع: (٧/ ٣٣٨) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة، قلت: الحديث صحيح الإسناد.

٧٠- معجم بلدان فلسطين لمحمد محمد شراب ص(٦٣٧)

● ظفرة: لحمة تنبت عند المآقي وقد تمتد إلى السواد فتغطيه.

٧١- أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٢١-٢٢٢) والطيالسي برقم: (١١٠٦)، والطبراني في الكبير (٧/ ٩٨-٩٩) برقم: (٦٤٤٥)، والبيهقي في البعث برقم: (١٥٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩٦)، وقال إبن كثير في الفتن ص(٨٦) إسناده لا بأس به ولكن في متنه غرابة ونكارة والله أعلم، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٠) بعد عزوه لأحمد والطبراني: ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر.

٧٢- معجم البلدان لياقوت (١/ ٢٣٣).

٧٣- الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١١١)

٧٤- أخرجه أبو داود برقم: (٤٣١٩)، وأحمد في المسند: (٤/ ٤٣١)،

والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣١) وصححه الحاكم وسكت عليه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٣٠١)، قلت : والحديث إسناده صحيح.

٧٥- أخرجه مسلم برقم: (٨٠٩)، وأبو داود برقم: (٤٣٢٣)، والترمذي برقم: (٢٨٨٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١).

٧٦- سبق تخريجه برقم: (١٣١).

٧٧- أخرجه البخاري برقم: (٨٣٢)، ومسلم برقم: (٥٨٩)، وأبو داود برقم: (٨٨٠)، والنسائي: (٣/ ٥٦).

٧٨- أخرجه مسلم برقم: (٥٨٨)، وأبو داود برقم: (٩٨٣)، والنسائي: (٣/ ٥٨) وابن ماجة برقم (٩٠٩).

٧٩- أخرجه مسلم برقم: (٥٩٠)، وأبو داود برقم: (١٥٤٢)، والترمذي برقم: (٣٤٩٤) وقال حسن صحيح، والنسائي (٤/ ١٠٤).

٨٠- أخرجه البخاري برقم: (٤٧٠٧)، ومسلم برقم: (٢٧٠٦).

● حبك: أي شعر رأسه متكسر من الجعودة.

٨١- أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٧٢، ٤١٠) وإسناده صحيح.

٨٢- سبق تخريجه برقم: (١٣١)، وهو جزء من حديث النواس بن سمعان.

أحد عشر: نزول عيسى عليه السلام وإقامته في الأرض المقدسة

إن نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض، وقتله للدجال، وحكمه بشريعة الإسلام من العقائد الثابتة عند أهل السنة والجماعة، فعيسى عليه السلام رفعه الله عز وجل إليه إبان محاولة اليهود صلبه، فنجاه الله منهم، وسينزل قبل قيام الساعة، ونزوله قد تواترت به الأخبار كما قال الكثير من العلماء:

● قال الإمام الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء»[1].

● وقال الإمام المفسر ابن عطية الأندلسي رحمه الله:

«وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام، في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض العدل وتظهر به ملة محمد ﷺ، ويحج البيت ويعتمر»[2].

● قال الإمام السفاريني رحمه الله:

«أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد إنعقد الإجماع أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء»[3].

● قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى «وإنه لعلمٌ للساعة»:

«وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عدلاً، وحكماً مقسطاً»[4].

● وقد أطال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية القول في أن «ابن مريم عليه

السلام حي في السماء وسينزل قبل قيام الساعة»[٥].

● وقال العلامة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله:

«وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع» ثم قال: «والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجال، وفي نزول عيسى بن مريم عليه السلام»[٦].

وغير هؤلاء العلماء كثير منهم: ابن جرير الطبري، وابن حجر العسقلاني، ومحمود الآلوسي، والشوكاني، وأحمد شاكر، والألباني، والغماري، وعشرات غيرهم.

وسأورد فيما يلي خلاصة لأعمال المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حين ينزل في آخر الزمان، وهي أعمال جليلة وخطيرة، ذكرها الرسول ﷺ في أحاديثه الصحيحة:

١- كسر الصليب واستئصال عبادة النصرانية.

٢- قتل الخنزير.

٣- مقاتلة الدجال وأعوانه من اليهود.

٤- قتله من بقي من اليهود حتى لا يجد أحد منهم ملاذاً يلجأ إليه.

٥- عدم قبوله إلا دين الإسلام وانتهاء الملل كلها.

٦- مقاتلة يأجوج ومأجوج.

٧- إنتهاء الجهاد في عصره لزوال راية الكفر والكفار.

٨- إنتهاء حكم الجزية.

٩- يؤم المسلمين بعد أن يصلي وراء إمام المسلمين.

١٠- الحج من فج الروحاء.

١١- السفر للسلام على رسول الله وصلاته في روضته الشريفة.

١٢- الدعوة إلى القرآن والسنة والحكم بهما.

وفي زمانه يعم الخير على الأرض، وتظهر بركات كثيرة تعم الناس في زمانه منها:

١- إنتهاء الحقد والضغينة من القلوب.

٢- فيض المال حتى لا يقبله أحد.

٣- البركة في الثمار (الرمانة التي تكفي الجماعة) (قطف العنب الذي يكفي الجماعة).

٤- لبن الناقة الواحدة الذي يكفي الجماعة من الناس.

٥- لبن الشاة الواحدة وكفايته لقبيلة واحدة.

٦- زوال العداء بين الإنسان والحيوانات، وبين الحيوانات بعضها لبعض.

٧- انتشار السلم في الأرض.

٨- زوال الفقر وترك الصدقة.

وقد ذكرت غالبية هذه الأحاديث في كتابي (الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم السلام) أثناء حديثي عن قصة عيسى بن مريم عليه السلام، ولكني هنا سأورد بعض الأحاديث التي يقتضيها هذا المقام لتوضيح قضية نزوله في الأرض المقدسة، وإقامته في بيت المقدس، وحكمه بالعدل والإنصاف، وقتله للدجال، ومحاربته يأجوج ومأجوج، والبركات الظاهرة التي تعم العباد في زمانه ﷺ.

مكان نزوله عليه السلام في دمشق

١٤٩- من حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عليه ممصرتان، كأن رأسه يقطر منه الجمان)[٧].

١٥٠- من حديث كيسان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق)[٨].

صلاته خلف المهدي عليه السلام

● فمن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)[٩].

وقد ذكرت أحاديث أخرى عند حديثي عن المهدي عليه السلام فانظرها هناك.

قتله الدجال في منطقة اللد بفلسطين

● فمن حديث عائشة رضي الله عنها -عن الدجال- قالت: قال رسول الله ﷺ:

(..... حتى يأتي الشام، مدينة بفلسطين يقال لد -وقال أبو داود مرة: حتى يأتي فلسطين باب لد- فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، .....)[١٠].

● ومن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه -في حديثه الطويل عن الدجال- قال رسول الله ﷺ:

(..... فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله.....)[١١].

قتله لمن بقي من اليهود من أتباع الدجال

● فمن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(.....ثم يسلط الله المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن

اليهودي ليختبيء تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجر للمسلم: هذا يهودي تحتي، فاقتله)[١٢].

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال:

خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال... إلى أن قال (..... فيقول عيسى ﷺ: إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه عند باب لُد الشرقي فيقتله، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل شيئاً يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا شجرة ولا حجر ولا دابة إلا قال: يا عبد الله المسلم: هنا يهودي فاقتله -إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق...)[١٣].

حكم عيسى عليه السلام بالعدل وبعض أعماله الأخرى

١٥١- فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكن عليهم شهيداً)

وفي لفظ لمسلم (ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد)[١٤].

١٥٢- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

(الأنبياء أخوة لعلات، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة، والبياض، سبط كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويعطل الملل حتى تهلك في زمانه كلها غير الإسلام، ويهلك الله المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جَميعاً، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر

بعضهم بعضاً، فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه)[١٥].

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه -في حديث الدجال الطويل- قال: قال رسول الله ﷺ:

(..... فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد -أي الطفل الصغير- يده في الحية -أي في فمها- فلا تضره، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السلم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها)[١٦].

إخراج الأرض بركاتها في زمانه عليه السلام

● فمن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(..... ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة.

ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس.....)[١٧].

حفظ الطائفة التي تقاتل معه من النار

● فمن حديث ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ:

(عصابتان من أمتي أحرزهما الله تعالى من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام)[١٨].

زيارته لقبر الرسول ﷺ

١٥٣- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(ليهبطن عيسى بن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً، أو ليثنينهما، ولياتين قبري حتى يسلم عليّ ولأردنّ عليه).

قال أبو هريرة: «أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام»[١٩].

مدة مكثه في الأرض

١٥٤- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال:

(ليس بيني وبين عيسى نبي، وأنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون)[٢٠].

● ومن حديث عائشة رضي الله عنها -في أمر الدجال-

قال رسول الله ﷺ:

(..... فيخرج إليه شرار أهلها، فينطلق حتى يأتي لد، فينزل عيسى ابن مريم فيقتله، ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة، أو قريباً من أربعين سنة، إماماً عدلاً وحكماً مقسطاً)[٢١].

١٥٥- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة)

وزاد الإمام أحمد في روايته: (لو يقول للبطحاء سيلي عسلاً لسالت)[٢٢].

● البطحاء: الأرض التي فيها حصى صغير.

ثاني عشر: إنهاء خطر أقوى أمة على الأرض المقدسة (إنهاء فتنة يأجوج ومأجوج)

لقد شاءت إرادة الله عز وجل أن تكون أرض الشام -الأرض المقدسة- منطقة الحسم لأهم أحداث التاريخ البشري، حيث يتم على هذه الأرض تحويل مجرى التاريخ البشري بأكمله باتجاه رجحان كفة الإسلام، وإنهاء الأخطار التي تتهدده، لحظنا ذلك من خلال الأحداث التي ذكرنا آنفاً. ولقد حدثنا رسول الله ﷺ عن خطر يتهدد أمة الإسلام على يد أمة من أقوى الأمم تخرج في آخر الزمان، وهي فتنة أمة يأجوج ومأجوج، وينتهي خطر هذه الفتنة على الأرض المقدسة.

ولم تشر الأحاديث الصحيحة إلى أصل يأجوج ومأجوج، أو تاريخهم، أو أماكنهم وبلدانهم، أو أشكالهم، أو تفاصيل حياتهم.

لكن الأحاديث الصحيحة أشارت إلى خروجهم في آخر الزمان، وعدت خروجهم من علامات الساعة الكبرى.

وسأورد فيما يلي مجموعة من الأحاديث الصحيحة، ذكرت فتنة هذه الأمة لتقدم صورة واضحة حول هذه الفتنة العظيمة.

شدة خطرهم واستعاذة الرسول بالله من شرهم

١٥٦- من حديث زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ قالت:

«خرج رسول الله ﷺ فزعاً، محمراً وجهه، يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعه الإبهام، والتي تليها.

قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: (نعم إذا كثر الخبث)[٢٣].

كثرة عددهم

إن قوم يأجوج ومأجوج هم من أكثر الأمم عدداً، وهم الذين يُكثرون الكفار في جهنم يوم القيامة:

١٥٧- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال:

(يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك.

فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعندها يشيب الصغير، وتضع كل ذات حملٍ حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله: وأيّنا ذلك الواحد؟

قال: أبشروا، فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف» ثم قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا.

فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود)[٢٤].

كون خروجهم من علامات الساعة الكبرى

١٥٨- عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال:

«كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال: (ما تذكرون؟)

قلنا: الساعة.

قال: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آياتٍ، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة

الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونارٌ تخرج من قعرة عدن ترحل الناس).

وفي لفظ آخر قال: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار يخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم)[٢٥].

قوتهم وبطشهم الشديد الذي لا قدرة لأحد به

● فمن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

(..... فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام اني قد أخرجتُ عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور.

ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرُ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مَرةً ماء.

ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى، كموت نفسٍ واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم! فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله).

وفي رواية أخرى لمسلم قال:

(..... لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر،

وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوباً دماً...)[٢٦].

وفي رواية ابن ماجة قال:

(سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم، وأترستهم سبع سنين)[٢٧].

١٥٩- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس، كما قال الله عز وجل (وهم من كل حدب ينسلون) (الأنبياء: ٩٦)، فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر، فيقول: قد كان ها هنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس إلا أحد في حصن، أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء، قال: ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع مختضبة دماً، للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله دوداً في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حساً، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو.

قال: فيتجرد رجل منهم لذلك محتسباً لنفسه، قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض.

فينادي: يا معشر المسلمين ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها راعي

إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط)[٢٨].

وبعد

فهؤلاء قوم سيبتلى بهم المسلمون في آخر الزمان، ليس لأحد قوة عليهم، ولا يستطيع أحد قتالهم، يصل البغي بهم إلى حد لم يصل إليه أحد، فهم يرون من أنفسهم أنهم انتصروا على أهل الأرض، ثم يبالغون في تجبرهم فيظنون أنهم يستطيعون قتال أهل السماء، فيقهرهم الله عز وجل بأضعف مخلوقاته وهو الدود، فيقتلهم جميعاً كقتل نفس واحدة، في أقل من ساعة من الزمن، ويأهون شيء وهو النغف، وهكذا ينتهي شر أخطر الأمم التي وجدت منذ خلق الله تعالى آدم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، في الأرض المقدسة، ويأهون مخلوقات الله عز وجل، ليعتبر المعتبرون بهذا، وليقفوا خاضعين أمام قهر وقوة وجبروت خالق السموات والأرض، الذي بيده مقاليد الأمور، وبيده تصريفها، وليكرم الله عز وجل بإظهار قوته على هؤلاء عباده المؤمنين، فحين لا يقدرون على دفع هذه الفتنة، يرغبون إلى الله مع عيسى عليه السلام، ويرفعون أكف الضراعة إلى الله عز وجل خاضعين متذللين له سبحانه، فيكرمهم بنصره فيقضي على هذه الفتنة بأضعف جند من جنوده. (وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر) (المدثر: ٣١).

وهكذا تنتهي أخطر فتنة تواجهها الأمة -فتنة يأجوج ومأجوج- بسلاح لا تملكه الأمم الأخرى، ولكن تملكه أمة الإسلام إنه أخطر سلاح على الأرض، سلاح الدعاء -وصدق الله القائل في كتابه: (وترجون من الله ما لا يرجون) والقائل: (أدعوني أستجب لكم)، فبدعوات نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الذين يكونون معه في بيت المقدس، يرتفع هذا البلاء، وتنتهي هذه الفتنة، فيالها من فضيلة لأهل الأرض المقدسة، ويا لها من منزلة يكرمهم الله بها.

ثلاثة عشر: العيش الطيب بعد المسيح عليه السلام في الأرض المقدسة وغيرها

١٦٠- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، وبطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاح، ولا تحاسد، ولا تباغض)[٢٩].

وقد جاء شبيهاً بهذا من حديث النواس بن سمعان، وأبي أمامة الباهلي، وأبي هريرة وقد ذكرتها جميعاً بنصها وتخريجها عند حديثي عن البركات الظاهرة التي تحدث في زمن عيسى عليه السلام، وبعد وفاته ﷺ، فنبينا ﷺ أخبر عن حياة سعيدة هانئة، لأهل ذلك الزمان خالية من التباغض، والشحناء، والتحاسد، تخرج الأرض بركتها، وتنزل السماء خيرها، ويعم الخير أهل ذلك الزمان، فهنيئاً لمن عاش ذلك الزمان، والذي عبر عنه عليه صلوات الله وسلامه بقوله -طوبى لعيش بعد المسيح.

أربعة عشر: خروج الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين من الأرض المقدسة

وحين يأذن الله عز وجل باقتراب الساعة، وانتهاء الحياة البشرية على الأرض، يرسل ريحاً طيبة من أرض الشام -الأرض المقدسة- فتقبض أرواح المؤمنين، وأهل الإسلام، فلا يبقى على الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان، ويبقى في الأرض شرارها وعليهم تقوم الساعة.

● فمن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(. . . . فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس! يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة)[٣٠].

.. ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(. . . ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبلٍ لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس، في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌ رزقهم، حسن عيشهم. . . .)[٣١].

وقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أن هذه الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين، تستثني شرار الخلق الذين لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، ولا يعرفون أي معنى من معاني التوحيد، وحتى لا يذكر إسم الله عز وجل في الأرض أبداً، جاء هذا عنه صلوات الله عليه:

١٦١- فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال:

(لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)[٣٢].

١٦٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:

(لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله)[٣٣].

١٦٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة على أحد يقول: لا إله إلا الله)[٣٤].

١٦٤- ومن حديث علباء السلمي رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ يقول: (لا تقوم الساعة إلا على حثالة الناس)[٣٥].

خمسة عشر: حشر الناس إلى الأرض المقدسة (أرض المحشر والمنشر)

وحين يأذن الله عز وجل بحشر الناس، فقد اختار لهم الأرض المقدسة لتكون المكان الذي يحشرهم إليه، ويحاسبهم فيه، وهذه الميزة تعد من فضائل الأرض المقدسة، وقد ذكر النبي ﷺ هذه الفضيلة للأرض المقدسة في مجموعة من أحاديثه ﷺ:

● فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ:

(الشام أرض المحشر والمنشر)[٣٦].

● ومن حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: «يا رسول الله: أفتنا في بيت المقدس؟

قال: (أرض المحشر والمنشر). . .»وذكرت الحديث[٣٧].

ومن حديث بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال: «قلت: يا رسول الله أين تأمرني؟

قال: (ها هنا) وأومأ بيده نحو الشام.

قال: (إنكم محشورون رجلاً وركباناً، ومُجَرّون على وجوهكم)[٣٨].

● ومن حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(. . . . . ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر. . .)[٣٩].

● ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(سيخرج نار من نحو حضرموت، أو من حضرموت تحشر الناس، قلنا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟

قال: عليكم بالشام)[٤٠].

قال العز رحمه الله: «أشار ﷺ بالشام عند خروج النار، لعلمه بأنها خير للمؤمنين حينئذ من غيرها، والمستشار مؤتمن»[٤١].

الهوامش

١- شرح العقيدة الطحاوية ص(٥١٤).

٢- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي نقلاً عن ابن عطية: (٢/ ٤٧٣).

٣- لوامع الأنوار البهية (٢/ ٩٤-٩٥).

٤- تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٢)

٥- مجموع الفتاوى الكبرى (٤/ ٣٢٢-٣٢٣).

٦- نظم التناثر من الحديث المتواتر: ص(١٤٧)، وانظر كتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح للإمام الكشميري بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله ففيه الكثير من أقوال العلماء.

● ممصرتان: الثوب الذي فيه صفرة خفيفة.

● الجمان: صغار اللؤلؤ، أو قيل أنه حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ.

٧- رواه الطبراني في الكبير برقم (٥٩٠) وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٠٥) رجاله ثقات، وصححه الألباني في تخريج فضائل الشام للربعي برقم (٢٢).

٨- أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ برقم ٤٤٠) والبخاري في التاريخ الكبير: (٤/ ١/ ٢٣٣-٢٣٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢١٦-٢١٧) وقال الحافظ في الإصابة (٣٠٧٣) ونسبة لابن السكن وابن مندة وقال: ورجاله ثقات، قلت: والحديث إسناده صحيح.

٩- سبق تخريجه برقم: (٧٤، ١٠٤).

١٠- سبق تخريجه برقم: (١٤٠).

١١- سبق تخريجه برقم: (١٣١).

١٢- سبق تخريجه برقم: (٨٨).

١٣- سبق تخريجه برقم :(١٠٢).

١٤- أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٢، ٢٤٧٦، ٣٤٤٨، ٣٤٤٩)، ومسلم برقم: (١٥٥)، والترمذي برقم (٢٢٣٣) وابن ماجة برقم (٤٠٧٨) والطيالسي برقم (٢٢٩٧) وأبو يعلى برقم (٥٨٧٧) وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٠، ٢٧٢، ٢٩٠، ٢٩٤، ٤٠٦، ٤١١، ٤٨٢، ٤٩٤، ٥٣٨).

١٥- أخرجه البخاري برقم: (٣٤٤٣) ومسلم برقم: (٢٣٦٥)، وأبو داود برقم: (٤٦٧٥)، وعبد الرزاق برقم: (٢٠٨٤٥) وابن حبان برقم: (٦١٩٤، ٦١٩٥) والحاكم (٢/ ٥٩٢، ٥٩٥) وأحمد في المسند (٢/ ٣١٩، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٢١).

١٦- سبق تخريجه برقم:(١٠٢).

١٧- سبق تخريجه برقم: (١٣١).

١٨- سبق تخريجه برقم: (١٢٢).

١٩- أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي.

٢٠- أخرجه أبو داود برقم: (٤٣٢٤)، وأحمد في المسند: (٢/ ٤٠٦)، وابن حبان برقم: (٦٧٨٢)، والحديث صحيح.

٢١- سبق تخريجه برقم: (١٤٠).

٢٢- قال الهيثمي في المجمع: (٨/ ٢٠٥) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، وعزاه في مرقاة الصعود ص(١٨٩) للإمام أحمد في الزهد وهو غير موجود في المطبوع من نسخة الزهد.

٢٣- أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥)، ومسلم برقم: (٢٢٨٠) وعبد الرزاق برقم (٢٠٧٤٩) والحميدي برقم: (٣٠٨)، وابن أبي شيبة برقم: (١٩٠٦١)، وابن ماجة برقم: (٣٩٥٣)، والترمذي برقم: (٢١٨٧)، والبيهقي في السنن: (١٠/ ٩٣) وأحمد في

المسند: (٦/ ٤٢٨، ٤٢٩).

٢٤- أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٤٦٥٣١، ٧٤٨٣)، ومسلم برقم: (٢٢٢)، وأحمد في المسند: (٣/ ٣٢-٣٣)، والنسائي في الكبرى كما في التحفة: (٣/ ٣٤٦) وابن مندة في الإيمان برقم: (٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١).

٢٥- أخرجه مسلم برقم: (٢٩٠١)، وأبو داود برقم: (٤٣١١)، والترمذي برقم: (٢١٨٣)، والطيالسي برقم: (١٠٦٧)، والحميدي برقم: (٨٢٧)، وابن أبي شيبة: (١٥/ ١٦٣)، وابن ماجة برقم: (٤٠٤١)، وابن حبان برقم: (٦٧٩١)، والطبراني برقم: (٣٠٢٩، ٣٠٣٠، ٣٠٣١، ٣٠٣٢، ٣٠٣٣).

٢٦- سبق تخريجه برقم: (١٣١).

٢٧- أخرجه ابن ماجة برقم: (٤٠٧٦)، والترمذي برقم: (٢٣٤٠) بإسناد صحيح.

٢٨- أخرجه ابن ماجة برقم: (٤٠٧٩)، وأحمد في المسند: (٣/ ٧٧)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٨٩ - ٤٩٠) وأبو يعلى برقم: (١١٤٤)، وابن حبان برقم: (٦٨٣٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وقال ابن كثير في النهاية (١/ ١٨١) إسناده جيد، قلت: والحديث إسناده حسن والله أعلم.

٢٩- أخرجه أبو بكر الأنباري في حديثه (ج١/ ورقة ٦/ ١-٢) والديلمي (٢/ ١٦١) والضياء في المنتقى من مسموعاته بمرو (١٢٧/ ١-٢) وابن المحب في صفات رب العالمين (١/ ٤٢٧) وهذا كله عزاه إليهم الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٩٢٦) وصحح الحديث.

٣٠- سبق تخريجه برقم: (١٣١).

٣١- سبق تخريجه برقم: (١٣٠).

٣٢- أخرجه مسلم برقم: (٢٩٤٩)، وأحمد في المسند: (١/ ٤٣٥)، والطيالسي برقم: (٣١١)، وابن حبان برقم: (٦٨٥٠)، وأبو يعلى برقم: (٥٢٤٨).

٣٣- أخرجه مسلم برقم: (١٤٨)، وأحمد في المسند: (٣/ ٢٦٨)، وأبو يعلى برقم: (٣٥٢٦)، وأبو عوانة: (١/ ١٠١)، وابن حبان برقم: (٦٨٤٩)، والبغوي في شرح السنة برقم: (٤٢٨٣).

٣٤- أخرجه مسلم برقم: (١٤٨)، والترمذي برقم: (٢٢٠٧)، وأحمد في المسند: (٣/ ١٠٧)، وعبد الرزاق برقم: (٢٠٨)، وأبو عوانة: (١/ ١٠١)، والبغوي برقم: (٤٢٨٤)، وابن حبان برقم: (٦٨٤٨).

٣٥- أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٩٥-٤٩٦) وأحمد في المسند (٦/ ٤٩٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والحديث حسن.

٣٦- سبق تخريجه برقم:(٦).

٣٧- سبق تخريجه برقم:(٧).

٣٨- سبق تخريجه برقم:(٨).

٣٩- سبق تخريجه برقم:(٩).

٤٠- سبق تخريجه برقم: (١٠).

٤١- ترغيب أهل الإسلام: ص(٢٨).

الخاتمة

إن أمتنا تمر بمرحلة من أخطر مراحل وجودها منذ نشأتها...! فلأول مرة تحيط بها معسكرات الكفر المدججة بأقوى الأسلحة، وأخبث الأفكار، وأمكر العقول.

فمن الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، ومن القلب في الأرض المقدسة -فلسطين وبلاد الشام... الكل يضرب، الكل ينهش، الكل يقتل، الكل يدمر.

إن كل ما مضى من تاريخنا الإسلامي من أحداث ليتواضع أمام الغزو الشرس في عصرنا، وإن كل ما مر بأمتنا من محاولات تدميرية دبرها لها أعداء عقيدتها، لتهون أمام ما نراه من تدمير، وكيد وبطش، يمارس في حق هذه الأمة على يد الأعداء ومن والاهم، فهم يتكلمون بألسنتنا، ويعيشون على أرضنا من أبناء جلدتنا.

إنّ كل هذا لن يفت في عضد أبناء الأمة الإسلامية، وهم يتدبرون آيات الكتاب العظيم، وهدي النبي ﷺ. وهما يحددان معالم المستقبل المشرق لهذه الأمة.

ولقد عشت ساعات ممتعة مع هذا البحث وأنا أتدبر أحاديث المصطفى ﷺ، وهو يحدث عن مستقبل هذه الأمة مبيناً وموضحاً، وواضعاً معالم الطريق الصحيح لها، رأيت حرصاً عظيماً منه ﷺ على أمته، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨)

لقد ربط الرسول ﷺ الأرض المقدسة بأصلها الأصيل وهو الإسلام، فهو مستقبلها وبه حياتها، ولن يتم لها أمر، أو يعلو لها شأن إلا من خلال هذا

الدين، إن هذا الربط يعطي لقضية الأرض المقدسة إطاراً رحباً، وعمقاً استراتيجياً لا يتحقق لها من خلال النظرة الإقليمية الضيقة، أو النظرة القومية، ولن يعيبنا أن نربط قضيتنا -قضية الأرض المقدسة- ببعدها الإسلامي، بل إن ذلك يشرفنا على مستوى العالم أجمع.

يقول اللواء الركن عبد الله التل رحمه الله:

«سيظل الغرب المستعمر يهزأ بنا ويسخر منا، ما دمنا نعالج مشكلة فلسطين على أساس أنها أرض عربية اغتصبها الاستعمار والصهيونية، ذلك لأن منطقنا هذا لا تقبله شعوب أمريكا التي تكونت من الطلائع الأولى للاستعمار، والاغتصاب في العالم، وعاشت حياتها كلها تستحل مال سواها، وتغتصب أملاك غيرها من الشعوب الضعيفة، وحجتنا هذه لا تقنع شعوب أوروبا التي عاشت -ولا تزال تعيش- على حساب غيرها، وتشارك شعوب أمريكا في تمجيدها للاستعمار، فشعوب أوروبا وأمريكا لا ترى أي جرم في أن يحتل اليهود المتمدنون!! بلاد العرب المتوحشين.

وحينما نغير الخطة، ونوجه سير المعركة وجهة أخرى، ونعلن أن فلسطين ليست أرضاً عربية فحسب، وإنما هي ملك ٧٠٠ مليون مسلم يفتدونها بالأرواح والمهج، لأنها أرض مقدسة، تربطهم بها روابط دينية وتاريخية، أقوى من رابطة بضعة ملايين من اليهود بفلسطين، عندها ترجح كفتنا، ويصبح زمام الأمر بأيدينا»[1].

ومن خلال وقفاتنا مع أحاديث النبي ﷺ وهو يتحدث عن الأرض المقدسة، يتضح لنا مدى التلازم والارتباط بين قضية فلسطين -الأرض المقدسة- وقضية الإسلام نفسه، إن قضية الأرض المقدسة -فلسطين وبلاد الشام- لا تنفصل أبداً عن قضية الإسلام الكبرى، باعتباره فكرة وهداية وعقيدة ومنهج حياة، ورابطة تجمع وتوحد، وشريعة تحكم المجتمعات وتسوسها،

فلولا ضعف الإسلام في نفوس أتباعه، وأهله وأبنائه، وفي حكوماتهم العلمانية المختلفة ما استطاعت الصهيونية أن تجد لها وطناً في قلب دار الإسلام، وعقر دار المؤمنين في فلسطين.

ويوم تعالج قضية الإسلام نفسها، ستعالج معها قضية الأرض المقدسة، بل وكل قضايا المسلمين المعلقة.

ويوم تسود شريعة الإسلام وعقيدته وأخلاقه ومفاهيمه، وآدابه وشعائره، وتتجسد هذه كلها في مجتمع مهما يكن هذا المجتمع صغيراً في حجمه ورقعة أرضه، وفي حكم يقود هذا المجتمع باسم الله.. يومئذ لا تستطيع دولة اليهود أن تبقى وتعيش.

فإذا كان أبناء فلسطين، وإذا كان العرب، وإذا كان المسلمون حريصين على تحرير فلسطين وطرد أعداء الله وأعدائهم من أرضها، فليحرروا أنفسهم أولاً من العبودية لغير الله، ومن اتباع غير هداه، وليصمموا صادقين على العودة إلى الإسلام فهذا هو أضمن طريق -وإن كان أشق طريق- لإنقاذ فلسطين -الأرض المقدسة- وإذا كانت قضية الإسلام ذاته لا تستحق أن تحظى بتفكيرهم ولا اهتمامهم ولا جهادهم، وكانت العقيدة أهون عندهم من الأرض، والشريعة أرخص من التراب، فهيهات أن يتنزل عليهم نصر الله الذي وعد به المؤمنين.

لقد قال هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول لزعماء قومه:

«إن عودتنا إلى صهيون يجب أن تسبقها عودة إلى الصهيونية»!

وإذا كان المؤمن ينتفع بالحكمة ولو من فم عدوه فعلينا أن نقول لقومنا: «إن عودتنا إلى فلسطين يجب أن تسبقها عودة إلى الإسلام»[٢].

وبعد

فإن من سنن الله تعالى أن تكون العاقبة للمتقين طال الزمان أو قصر،

ولكن حين يتخلى أهل الإيمان عن إيمانهم فإن سنة أخرى هي التي ستحكم هؤلاء المتراجعين ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾[٤].

والمتتبع لأحاديث المصطفى ﷺ التي ذكرت في طيات هذا المبحث، سيلحظ أن حديثه ﷺ هو حديث الواثق من تحقيق ما وعد الله عز وجل لهذه الأمة، بتحقيق مجد الإسلام، وعز الإسلام، على أيدي الصفوة من عباده الأخيار الذين يكون مقر قيادتهم، ونقطة انطلاقهم، هي الأرض المقدسة، ولن تستطيع قوى الأرض مجتمعة أن تحول دون تنفيذ هذا الوعد الرباني، وستكون كل جهودهم وأموالهم التي يبذلونها للحيلولة دون تنفيذ هذا الوعد الرباني، حسرة عليهم، ووبالاً ونكالاً لهم في الدنيا والآخرة، وصدقه الله تعالى وهو يقول: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم، أولئك هم الخاسرون﴾ الأنفال: آية (٣٦-٣٧).

وقوله عز وجل:

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو كظلمات في بحرٍ لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ النور: (٣٩-٤٠).

وقوله عز وجل:

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾ الكهف: آية (١٠٣- ١٠٦).

فالنصر والتمكين لدين الله قادم لا محالة، بنا أو بغيرنا ﴿هو الذين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ التوبة: (٣٣)، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الله سبحانه سيحقق على أيدي المؤمنين أتباع هذا الدين، النصر على اليهود أولاً، ثم رفع راية هذا الدين عالياً في ربوع الأرض وخص أبناء هذه الأرض المباركة -الأرض المقدسة- بالنصيب الوافر، والشرف العظيم لتحقيق هذا الوعد، فقد أخبر صلوات الله عليه وسلامه أصحابه ونصحهم بالسكنى في الأرض المقدسة في أيام الفتن، ليحقق الله على أيدي من يقيمون فيها وعد الله سبحانه فبقية المؤمنين وخيارهم سيقيمون فيها، وإليها يجتبي سبحانه الخيار من عباده، فقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«يوشك أن تطلبوا في قراكم هذه طستاً من ماء فلا تجدونه، ينزوي كل إلى عنصره، فيكون في الشام بقية المؤمنين والماء»[٥].

وستبقى بقية أهل الإيمان على الأرض المقدسة تنافح عن الحق وعن الإسلام، ضد الباطل وأهله إلى أن تقاتل هذه الفئة الدجال في آخر الزمان، نصرة لهذا الدين وإعانة لسيدنا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.

عن نهيك بن صريم السكوني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتقاتلن المشركين حتى تقاتل بقيتكم الدجال -على نهر بالأردن أنتم شرقيه وهم غربيه»، وما أدري أين الأردن يومئذ من الأرض[٦].

فأول القتال سيكون مع المشركين -من اليهود أبناء القردة والخنازير- على نهر الأردن المسلمون شرقي النهر واليهود غربيه، ويمن الله تعالى بالنصر على عباده، فيقتل اليهود، وتبقى بقية أهل الإيمان حتى يقاتلوا الدجال في آخر الزمان.

لقد حاولت في هذا الكتاب أن أقدم صورة واضحة المعالم، متكاملة الجوانب عن الأرض المقدسة من حيث فضلها وتاريخها الماضي، وما يتوقع لها في حاضرها ومستقبلها من أحداث جسام هامة وخطيرة من خلال السنة العطرة، فإن أحسنت فذلك من رضى الله وفضله، وإن أخطأت فأسأل الله عز وجل أن يغفر زلتي وخطأي، وشعاري أن المجتهد المصيب له أجران، والمجتهد المخطىء له أجر، فعلى كل الوجوه أبتغي الأجر من الله سبحانه، والله ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إبراهيم محمد العلي
في ٣ ذو الحجة ١٤١٥ هـ
الموافق ٣ أيار ١٩٩٥ م
عمان - الاردن

الهوامش

١- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية.

٢- درس النكبة الثانية للدكتور يوسف القرضاوي ص(١٠٥-١٠٦).

٣- المائدة: (٥٤).

٤- محمد: (٣٨).

٥- أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/ ٥٠٤)، وقال حديث صحيح، وقال الذهبي صحيح، قلت: وهذا لا يقال من قبيل الإجتهاد فهو إخبار بأمر غيبي، فيكون هذا مرفوعاً أو له حكم الرفع.

٦- أخرجه البزار برقم: (٣٣٨٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني برقم: (٢٤٥٨)، وعزاه ابن حجر في الإصابة (٣/ ٥٤٥) للطبراني وابن منده، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٨) رواه الطبراني والبزار ورجاله رجال الصحيح.

كتب صدرت للمؤلف

١- صفحات مضيئة من عبادة السلف.

٢- علي بن المديني.

٣- الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم السلام.

٤- صحيح السيرة النبوية.

٥- تفسير سورة الانعام.

٦- الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل(دراسة حديثية تحليلية).

٧- حذيفة بن اليمان.

الكتب المحققة

٨- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين.

٩- كتاب الرؤية للإمام الدارقطني.

١٠- كتاب مختصر قيام الليل للمروزي.

١١- كتاب مختصر قيام رمضان للمروزي.

١٢- كتاب مختصر صلاة الوتر للمروزي.

١٣- ثلاث رسائل في الجهاد لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٤- رسالتان في حياة الأنبياء للبيهقي - السيوطي.

كتب تحت الطباعة

١٥- صفحات مضيئة من حياة السابقين (١)

١٦- صفحات مضيئة من حياة السابقين (٢)

صدر من

منشورات "فلسطين المسلمة"

١- حرب الأيام السبعة	غسان دوعر
٢- لمن تحمل الرصاص (مجموعة قصصية)	جهاد الرجبي
٣- القسام (رواية)	عبد الله الطنطاوي
٤- هكذا أبعدوني	غسان هرماس
٥- عماد عقل ، أسطورة الجهاد والمقاومة	غسان دوعر
٦- شعارات الإنتفاضة	طارق محمد وإبراهيم محمد
٧- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية	د. صلاح الخالدي
(الطبعة الثانية - مزيدة ومنقحة)	
٨- إتفاق أوسلو وتداعياته	منير شفيق
٩- سجل المبعدين في مرج الزهور	بإشراف د. عبد الفتاح العويسي
١٠- الطريق إلى القدس	د. محسن محمد صالح
١١- موعد مع الشباك	غسان دوعر

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٩٩٥/٩/٩٥٢)

رقم التصنيف : ٩٥٦

المؤلف ومن هو في حكمه : ابراهيم محمد العلي

عنوان المصنف : الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل (دراسة حديثية تحليلية)

رؤوس الموضوعات : ١- بلاد الشام - تاريخ

٢- الحديث النبوي الشريف

رقم الايداع : (١٩٩٥/٩/٩٥٢)

الملاحظات :

× تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

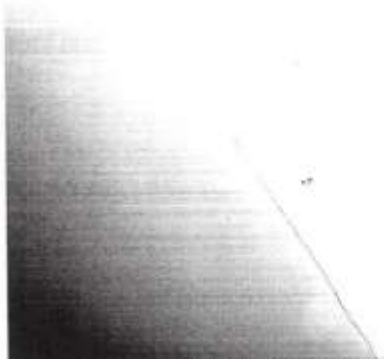

هذا الكتاب

في الإصدار السابع من هذه السلسلة المباركة قدمنا للأخوة القراء رؤية قرآنية حول القضية الفلسطينية، وذلك في كتاب الدكتور صلاح الخالدي «حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية». ولذلك كان لزاماً علينا، ولاستكمال البعد الآخر للموضوع أن نقدم للأخوة القراء دراسة (حديثية) تعالج الموضوع الفلسطيني ببعده التاريخي والعقدي والمستقبلي، ذلك أن السنة النبوية التي جاءت شارحة للقرآن الكريم ومبينة له لم تكن لتتجاهل موضوع فلسطين والأرض المقدسة، في الوقت الذي عالجه القرآن بتلك الصراحة وذلك الوضوح.

في «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل- دراسة حديثية تحليلية» يقدم لنا ابراهيم العلي الباحث المتخصص في علم الحديث وجبة دسمة من المعلومات التي حملتها الأحاديث الصحيحة للمصطفى ﷺ والتي تعنى بالموضوع الفلسطيني، وما حمله، وسيحمله من صراعات ومعارك. ولعل أجمل ما في هذه الوجبة هو روح البشارة التي تفوح منها، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى البشارة، حيث يطبق الزمن الصهيوني على أرواحنا، ويسرق منا بهاء الأمل وروح التفاؤل. في هذا الكتاب ثمة ما يستحق القراءة والتأمل،لأنه محاولة جديدة في استنطاق الأحاديث الصحيحة ووضعها في إطارها الزماني والمكاني، خارج إطار التهويل والإثارة أو البحث عن الخرافة والحكايات الكاذبة. ذلك أن محاكاة النصوص واستنطاقها لتقول ما تحمله من معانٍ حقيقية هو شيء غير النقل الجاف الظاهري، والذي قد يضع النص في غير سياقه، ويوجهه غير وجهته، وهو ما فعله كاتبنا في هذه الدراسة التي نثق بأنها تضيف جديداً إلى مكتبة القضية الفلسطينية وحقائق الصراع مع العدو الصهيوني. ■

الناشر

تطلب جميع منشوراتنا من :
FILISTINE AL MUSLEMAH / P.O. BOX : (2502) / LONDON NW2 4JQ - UK
أو / الأردن – عمان، ص.ب : (٩٦١٦١٨) – المدينة الرياضية